فريق
متميزون
E-BOOK

لمس أكتاف

أسامة غريب

دار الشروق

مكتبة فريق (متميزون)

لتحويل الكتب النادرة إلى صيغة نصية

قام بالتحويل لهذا الكتاب:

كلمه مهمة:

هذا العمل هو بمثابة خدمة حصرية للمكفوفين، من منطلق حرص الجميع على تقديم ما أمكن من دعم للإنسان الكفيف، الذي يحتاج أكثر من غيره للدعم الاجتماعي والعلمي والتقني بحيث تعينه خدماتنا هذه على ممارسة حياته باستقلالية وراحة، وتعزز لديه الثقة بالنفس والاندماج بالمجتمع بشكل طبيعي.
وبسبب شح الخدمات المتوفرة للمكفوفين حرصنا على توفير خدمات نوعية تساعد الكفيف في المجالات التعليمية العلمية والثقافية وذلك بتسخير ما يتوفر من تقنيات خاصة لتحويل الكتب إلى نصوص تكون بين أيديهم بشكل مجاني، ويمكن لبرامج القراءة الخاصة بالمكفوفين قراءتها.

مع تحيات:

فريق (متميزون)

انضم إلى الجروب

انضم إلى القناة

لمس أكتاف

الكاتب: أسامة غريب

إهداء..

إلى الأديب الدكتور علاء الأسواني

ذلك الرجل الذي حمل نجاحه وتألقه رسالة

مفرحة للمصريين بأن الانحناء ليس هو الحل

وأننا يمكن أن ننجح دون أن نكون مع الرصين

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

مقدمة

سُئلت السؤال ذاته مئات المرات مصحوبا بالدهشة والتعجب.

تلقيته وجهًا لوجه من أصدقاء عديدين، ووُجه إلي من القراء في الندوات والفعاليات المختلفة، وحمله لي بريدي الإلكتروني وما زال يأتيني بلا انقطاع.

السؤال هو: لماذا عدت من كندا؟ وكيف يا رجل تقضي بها خمس سنوات في حال من الاستقرار والحياة الهانئة الرغدة ثم تقرر بمحض إرادتك أن تترك هذا النعيم وتعود إلى مصر؟

هذا هو السؤال، وكل هذا لأنني رويت للقراء في مقدمة كتابي الأول (مصر ليست أمي.. دي مرات أبويا) أنني بعد غيبة سنوات قضيتها في مونتريال عدت لأجد أحوال البلد على النحو الذي أعرف وتعرفون.

من وقتها والسؤال يلاحقني وأصحابه يظنون بي (عبطًا) أو سذاجة حتى أترك وطنًا يحلم به الملايين من أبناء بلدي الذين لم يتركوا بابًا للهجرة والفرار إلا طرقوه!

في البداية كنت أجاوب بالرد الذي يأتي على خاطري لحظة السؤال وأقول أي كلام يخطر على بالي لأن السؤال نفسه كان مربكًا بالنسبة لي؛ ذلك أنني كنت أعتقد أن العودة إلى الوطن هي الشيء الطبيعي بالنسبة للإنسان وليس العكس.. ولكن مع مرور الوقت بدأت الإجابة الحقيقية تتبلور في ذهني وبدأتُ أعرف الأسباب الحقيقية التي حدت بي إلى القيام بالهجرة العكسية من كندا إلى مصر.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ذات صباح شتوي جليدي في مونتريال استيقظت من نومي في البيت الكائن بمنطقة ويست ماونت الراقية على جرس يقرع الباب، فتحت فوجدت خواجة مفتخرًا فارع الطول يشبه الممثل الأمريكي الراحل (كاري جرانت) يقف بالباب وعلى شفتيه ابتسامة مهذبة، وكان بصحبته حارس البناية. قبل أن أسأله من يكون وماذا يريد بادر بمد يده مصافحًا ومعرفًا نفسه: (جاك كارتييه) المرشح للبرلمان عن منطقة ويست ماونت. نظرت للبواب فأمن على كلامه بإيماءة من رأسه. سألته: أي خدمة؟ قال: أتيت لأطلعك على برنامج الحزب ولأتعرف على مقترحاتك فيما يخص البرنامج، كذلك أي طلبات قد تكون لسكان الحي فيما يخص الخدمات وتطويرها. دعوته للدخول وقدمت له شايًا وجلست معه أتجاذب أطراف الحديث. دفعني الفضول لتركه يتحدث ويحكي عن حزبه وبرنامجه السياسي، كذلك عن أحلامه في تطوير ملاعب الحي وحديقته الكبيرة والمكتبة التي تتوسط الحديقة ومستوى المستشفى ودور الحضانة بالحي والأتوبيس المسائي وزمن التقاطر وما إذا كنا نرغب في جعله يعمل طوال الليل. حدثني أيضًا عن المدرسة التي يدرس بها أبنائي ورغبته في تطوير خدماتها التعليمية.

كنت أستمع إليه وأهز رأسي متصنعًا الجدية وباذلًا في الوقت نفسه جهدًا لمنع نفسي من الضحك، وكلما أوغل في الشرح كلما سمعت الصبي العابث داخلي وهو يطلق

الضحكات المخلوطة بكلام بذيء يريد أن يشق لنفسه طريقًا للخارج!.. ليس بسبب أي شيء سيئ قاله الرجل لا سمح الله، ولكن بسبب أن هذا الرجل الطيب لا يعرف من أنا ومن أين أتيت، ولا يدرك أن الحديقة التي يريد أن يطورها هي واحدة من أجمل الحدائق التي رأيتها في حياتي والملاعب العامة المتاحة للسكان بالمجان هي خدمة لا يحلم بها من أتى من بلد يبيعون فيه نسمة الهواء للناس، وأن المكتبة الكائنة في وسطها تعير الكتب لأهل الحي بدون فلوس كما تؤجر لهم الأفلام باشتراك سنوي مقداره ٢٠ دولارًا في السنة، وأن الخدمة الطبية الراقية والمجانية تمامًا بالمستشفى هي شيء لا يستوعبه عقلي الذي لا يحمل سوى ذكريات أليمة عن الطب والتمريض.. ذكريات أتيت بها من مستشفيات وعيادات في وطن يقتل الفقراء إذا مرضوا عن قصد، ويقتل الأغنياء إذا مرضوا بعد أن يسلبهم فلوسهم.. عن جهل!

وأي مدرسة تلك التي يريد تطوير الخدمات التعليمية بها؟ هل هي المدرسة التي تضم عشرة تلاميذ فقط في الفصل الواحد والتي يتناول بها أولادي وجبتين في اليوم؟ هل هي المدرسة التي بها معامل وملاعب ومسارح وجيم رياضي؟ هل هي المدرسة التي أرسلت لي خطابًا مليئًا بالأسف والاعتذار لاضطرارهم إلى طلب التبرع بمبلغ ٢٥ دولارًا لمن يرغب من أولياء الأمور من أجل المشاركة في الأنشطة الاجتماعية مع تأكيدهم على حقي في الرفض لأن التعليم في كندا بالمجان؟!

ماذا يريد مني هذا الرجل؟ وأي اقتراحات يمكنني أن أقدمها له فيما يتعلق بخدمات الحي الذي من فرط نظافته وبهائه يصيبني بالضيق والحزن على حال أهلي وناسي الذين تركتهم ورائي للمسئولين في مصر يفترسونهم؟!

وأما عن حزبه وبرنامج حزبه فما لي أنا إذا كانوا يبيحون الإجهاض أو يجرمونه؟ وما لي إذا قلصوا وارداتهم من الولايات المتحدة أو فتحوا باب الاستيراد على البحري؟ وما شأني بزيادة الضريبة على التبغ؟ وماذا يعنيني إذا كانوا يسمحون بإدخال المارلبورو الأمريكي الأحمر في الحال أم ينتظرون حتى تستجيب شركة فيليب موريس للطلب الكندي وتوافق على وضع صورة الجمجمة المخيفة على علب السجاير؟!

هذا الرجل لا يعرف أنه في الوقت الذي يحدثني هذا الحديث فإنني كنت أتابع على النت أخبار الانتخابات البرلمانية في بلدي التي كانت تجري في نفس الوقت، ولا يعرف أنني كنت أتنقل مثل المجنون من موقع إلى موقع لأعرف آخر أخبار التزوير في هذه الدائرة أو تلك، وعدد القتلى الذين سقطوا بسبب إصرارهم على الإدلاء بأصواتهم، وأتابع صور الذين تسلقوا الأسوار معرضين أنفسهم لضربات عصي الأمن الذي منع الناس من التصويت، وأتابع الفضيحة المدوية التي حدثت في دمنهور وقامت بتوثيقها القاضية نهى الزيني. هذا الرجل لا يعرف شيئًا من ذلك، وكيف له أن يعرف؟

شكرته ووعدته خيرًا ولكن بعد انصرافه غرقت في بحر من الحزن لأنه دون أن يقصد أهاج مشاعري وجعلني أدرك الحقيقة التي لم أكن أعرفها.. أدركت أنني لا أستطيع أن أنتمي لوطن غير مصر ولا أستطيع أن أحظى بالسعادة في مكان آخر.. هي لعنة أو شيء أقرب للعنة هذه الذاكرة التي ربطتني بوطن قد تعفن وأخرج دوده. هي لعنة أو شيء يشبه اللعنة هذه الروابط التي تشدني إلى القرية الظالمة التي يلتهم فيها القوي الضعيف، بينما تجعلني عاجزًا عن الاندماج مع أماني أناس أستطيع أن أتحدث لغتهم بسهولة ومع ذلك فليست لي أحلامهم ولا تشغلني همومهم ولا أرى نفسي واحدًا منهم رغم تقبلهم لي وترحيبهم بي ومودتهم الغامرة.

هل يفهم الأصدقاء الآن لماذا عدت، أم تراهم سيظلون يلاحقونني بالسؤال الذي يحمل اتهامًا واضحًا لي بأنني رجل فقري وأنني سأندم على النعمة التي تبطرت عليها بعد أن تركت مكانًا يهاجر إليه حتى الأوربيون من فرنسا وألمانيا وإنجلترا لأنه الأول على مستوى العالم في صيانة حقوق الإنسان وكرامته، وعدت لوطن تم تثبيت أكتافه وأصبح أشبه بوضع مصارع جاهد وحاول الصمود حتى تغلب عليه الوحش وجابه لمس أكتاف؟!

قطوف من النذالة

واحد جاسوس ابن جاسوسة

طلعت له حتة فسفوسة

راح للـطـبيب يفـقعـها لـه

قلبت بإنفلونزا طيور

(أحمد فؤاد نجم)

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

حنفي

كلما مررت بميدان الجيش بالقاهرة وشاهدت محل العطارة على الناصية تذكرت أنه كان في السابق قهوة نجلس عليها ونحن طلبة، وتذكرت حنفي زميلي بمدرسة الأهرام الثانوية.

كنا في الصف الثالث الثانوي والامتحانات على الأبواب عندما لقيته مصادفة يتسكع في الشارع. سألني: إلى أين؟ أجبت بأنني مفلس وبالتالي ليس عندي خيارات كثيرة، والأفضل أن أعود للبيت لأبدأ سهرة مذاكرة أعوض بها ما فات. لعن حنفي الدراسة والكتب والمدرسين وتلا على مسامعي خلاصة تجربته في الحياة وهي أن الشخص ذا الدماغ الفارغ فقط هو من يهتم بالمذاكرة، أما صاحب الفكر مثلي ومثله فلا يحتاج لحشو رأسه بمناهج وضعها مدرسون لا يدرون من الدنيا شيئًا!.. ثم أتبع كلامه الحكيم بعرض سخي وجدته أحلى من المذاكرة بكثير. قال حنفي: ما رأيك في أن أدعوك على واحد سحلب في القهوة، وبالمرة نلعب دورين شطرنج؟ عندما لمح ترددي قال: لا تخف.. أنا الداعي ولن أكلفك شيئًا. قلت له: أنت لا تستطيع أن تكلفني أي شيء؛ لأن الريح تصفر في جيوبي وليس معي مليمًا واحدًا.

دخلنا المقهى فجلسنا وانجعص حنفي في كرسيه واضعًا ساقًا فوق ساق وهو يطلب من القهوجي كوبين من السحلب بالبندق وشطرنج، بالإضافة إلى شيشة تمباك!

شعرت أن اجتماعًا يدور بين العاملين وصاحب المقهى لمناقشة طلب الفتى الصغير للشيشة قبل أن يحسموا أمرهم، وينتصر البيزنس على أي تحفظات.

أخذ حنفي يسحب أنفاسًا بهدوء وهو يفكر في حلول للمشكلات التي سببتها له في الشطرنج (وكنت لاعبًا جيدًا في ذلك الوقت).

بعد أن هزمته كالعادة جحظت عيناه وأصر على لعب دور ثان. لم أتحمس؛ لأنه لم يكن ندًّا، لكنه حتى يقوم بإغرائي عرض أن (نطبّق) وهو مصطلح يعني دور شطرنج ثان ودور سحلب جديد أيضًا. وجدت العرض لا بأس به وقلت أعابثه: هل وقعت اليوم على كنز أم مات عمك الذي في الأرجنتين حتى تكون بهذا الكرم الذي لم أعهده فيك؟ قال: العب وأنت ساكت. لم يستغرق الأمر كثيرًا وهزمته للمرة الثانية ثم استأذنت منه في الرحيل، لكنه أصر أن نلعب دورًا أخيرًا.

في الحقيقة كانت الجلسة قد بدأت تصير أكثر إمتاعًا خصوصًا بعد أن تهور حنفي وطلب لنا طبقين من العاشورة بالزبيب، الأمر الذي دفعني لسؤاله بجدية عن مصدر المال الذي ينفقه بسخاء. أجابني بأنه يساعد والده في محل الكهربائي الخاص به، وأنه يحصل منه على أجر مثل باقي العاملين. غرقنا في الشطرنج وانقضى الوقت سريعًا ووجدت الساعة تقترب من الواحدة بعد منتصف الليل فشعرت بضرورة الانصراف. قال حنفي وهو محمر العينين من أثر الشيشة التي لم تفارقه طيلة الجلسة: سنخرج معًا لكن بعد أن أشرب حجرًا أخيرًا. قلت: وهذه الشيشة أيضًا ما حكايتها، منذ متى تدخن الشيشة؟ قال وعلى شفتيه ابتسامة ذات مغزى: ما دامت مجانية ولن أدفع فيها فلوسًا فلماذا لا أدخن وأستمتع؟ هل تحب أن أطلب لك واحدة؟

أربكني كلامه ولم أفهم شيئًا. سألته ماذا تقصد بأنك لن تدفع شيئًا؟ جاء رده صاعقًا: يا عزيزي لست أنت المفلس الوحيد.. أنا مفلس مثلك تمامًا وفي جيبي من الريح أكثر مما لديك!

دارت الدنيا بي وأحسست أنه أغمد خنجرًا في قلبي ولم أدر كيف أتصرف. قلت له بصوت خفيض يمتلئ غضبًا: الله يخرب بيتك وبيت أيامك السودا.. كيف طاوعتك نفسك أن تفعل بنا هذا؟ الآن سيطلبون لنا البوليس وقبل ذلك سنأكل علقة من عمال القهوة وستكون فضيحة.. ماذا أقول لأبي؟ ضحك حنفي وقال: استعمل مواهبك يا أخي.. أنت لست مجرد لاعب شطرنج ماهر، أنت أسرع واحد في المدرسة في العدو، وقد جاء الأوان الذي تجري فيه من قلبك مدفوعًا بالرعب! قال هذا ثم نهض، وتقدم خطوتين للأمام فأصبح على الرصيف، ثم أطلق ساقيه للريح!

أحسست بمزيج من الحيرة والخجل، لكن قبل أن يفيق العاملون بالمقهى وهم يشاهدون حنفي يطوي الأرض طيًّا وجدت نفسي أحذو حذوه، وأقفز في الهواء قفزة رشيقة وضعتني بالشارع ثم عدوت بأقصى قوة، فلما ابتعدت قليلًا نظرت خلفي فأبصرت العاملين بالمقهى يقفون على الرصيف يضربون كفًّا بكف وهم عاجزون عن الفهم.

ظل الشعور بالعار يلازمني؛ لأنني كنت مضطرًّا لتجنب السير على نفس الرصيف، وكانت مشكلتي أنني لا أستطيع أن أذهب إليهم وأدفع الفلوس بعد أن أقول: أنا شريك اللص، وقد شربنا وأكلنا ثم جرينا.. كان الأمر أصعب من قدرتي على مواجهته.

مرت سنوات قبل أن أذهب إلى نفس المقهى وأجلس وأطلب سحلبًا، ثم أنتحي بصاحب المقهى وأحكي له الحكاية التي لم يتذكرها فينفجر في الضحك. ولم أشعر بالراحة قدر شعوري بعد أن دفعت للرجل حقه مضروبًا في مائة.

أما حنفي فيقبع بالسجن حاليًّا وفاء للعقوبة عن آخر جريمة نصب ارتكبها!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون E-BOOK

أنانية بلا حدود

بعد التخرج في الجامعة كان يشاركني حلم عبور البحر والسفر لبلاد الشمال الكثير من الأصدقاء. وكان من بينهم واحد هو الأكثر قربًا من الجميع حيث كان رفيق دراسة وجار سكن في الوقت نفسه، لذا فقد قررت أن يكون هو رفيقي في الهجرة إلى أمريكا؛ لنبدأ حياتنا هناك بعيدًا عن بلاد وصفها نزار قباني بأنها بلاد القهر والكبت، وبأنها شبعت من الموت وبأن الله إليها لا يأتي!

في السفارة الأمريكية أخبرونا أن الحصول على التأشيرة يقتضي أن يكون للشخص عمل واضح، ووظيفة مستقرة تنفي عنه الظن بإمكانية الاستقرار هناك وعدم العودة. ولما كنا لا نخلو من مواهب فلم يكن الحصول على وظائف جيدة أمرًا صعبًا، فوجد كل منا وظيفة معقولة ذات راتب ثابت يرضي موظفي القسم القنصلي بالسفارة. وأخذنا نجتهد في محاولة جمع مبلغ من المال يساعد في إتمام رحلة العمر المرتجاة.

ومن الطبيعي بعد أن يستقر الإنسان في عمل، ويذهب إليه كل يوم أن يصير لديه ارتباط بالمكان والناس وتتكون لديه صداقات، وأن يدخل في تحديات يثبت بها تفوقه على أقرانه، وهذا كله من شأنه أن يدعم فكرة الاستقرار والبقاء ونبذ حلم السفر الذي كان الداعي الأصلي لقبول الوظيفة. لهذا كنت عند اللقاء أسأل صديقي إذا كان لا يزال على العهد مخلصًا لفكرة الهجرة، أم أن الاستقرار الوظيفي قد أنساه إياها. لم أكن لألومه لو أنه تعلق بموقعه؛ لأنني أنا نفسي كنت قد أصبت نجاحًا وتقديرًا جعلني أراجع الأمر وأقلبه من حين لآخر.. لكنه كان على العكس مني صلبًا لا يلين، وأكد لي أنه لن يهدأ حتى يصير من رعايا الرئيس رونالد ريجان!

كنا في هذه الأ ثناء نتابع أخبار من سبقونا من الأصدقاء وانتشروا في الولايات المختلفة، فكان منهم من وجد عملًا، ومنهم من ينتظر، كما أن من بينهم من انجرف في سكة الجريمة ودخل السجن!

بعد مضي عامين رأينا أن الوقت أصبح مناسبًا لنشد الرحال إلى نيويورك فجلست مع صديقي لنضع اللمسات الأخيرة قبل السفر، وكان قد أخبرني أن لديه خطة محكمة تضمن لنا النجاح، ولا تجعلنا عرضة لتقلبات الظروف في الغربة. سألته عن خطته فقال: لا نضع البيض كله في سلة واحدة. قلت: بمعنى؟ أجاب: لا نسافر معًا، بل يسافر أحدنا في البداية يستكشف الوضع ويسعى لترتيب سكن وعمل مناسب لكلينا، وعندها يخطر صاحبه ليلحق به. سألته في دهشة: أجاد أنت فيما تقول؟ قال: كل الجد. قلت له: وهل قررت أن تسافر أنت أولًا لتمهد الأرض، ثم تخطرني لألحق بك؟ قال: بل تسافر أنت؛ لأنني سأخسر وظيفتي فور أن أسافر. قلت له وأنا لم أفق من المفاجأة: وأنا ينطبق عليّ الأمر ذاته، ولا تنس أننا ما قبلنا هذه الوظائف إلا لأجل السفر.. ثم أضفت حانقًا: بإمكانك أن تبقى هنا في وظيفتك وتنسى أمر السفر وهذا لن يضايقني، لكن ما يفجعني هو أنانيتك ورغبتك في أن تغامر بي وتضحي بي وتجلس في الأمان تنتظر النتيجة.. هل ظننت أنك خطيبتي أو

زوجتي حتى أسافر وأشقى في ترتيب بيت جميل وحياة معقولة، ثم أبعث في استدعائك؟!

اشمئزازي من نذالته جعلني أصرف النظر عن الفكرة من أساسها فتغيرت حياتي، وأخذت مسارًا مختلفًا تمامًا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

الكابوس الذي اشتريته

عندما هبطتُ إلى مدينة مونتريال للإقامة بها كان هذا الشخص من أوائل الذين تعرفت إليهم. كان يُعتبر مرجعًا في كل ما يخص مونتريال بعد هجرته إليها قبل عشر سنوات. والحقيقة أنه قد أسرني منذ البداية بخفة دمه، وسرعة بديهته، وقدرته على أن يجعلك تعتقد بأنك أهم إنسان في الحياة. ساعدني في الحصول على سكن مناسب وطلب مني ألا أتردد في سؤاله إذا احتجت لأي شيء. وأعترف أنني رغم مصادقتي وتعرفي في كندا على الكثيرين، إلا أنني لم أجد مثيلًا لهذا الشاب في التفاني والإخلاص. ونظرًا لامتلاكه ورشة لغسيل السيارات فقد سألته بما له من خبرة عن أفضل سيارة أشتريها. لم يتردد في إثنائي عن فكرة شراء سيارة جديدة، فلما سألته لماذا؟ قال: لأنها ستكون مرتفعة الثمن، ولن تستطيع أن تعود بها إلى مصر دون أن تدفع رسومًا جمركية باهظة. ما العمل إذًا يا صديقي؟ هكذا سألته. قال: أنت تحتاج إلى سيارة مستعملة حالتها جيدة تستخدمها، ثم تبيعها عندما تهم بالرحيل. في اليوم التالي تلقيت منه مكالمة يبشرني فيها بالعثور على سيارة ماركة أولدزموبيل بحالة ممتازة. وهكذا قمت بشراء السيارة من صاحبها مقابل أربعة آلاف دولار فقط بفضل هذا الصديق الجميل.

بعد يومين شعرت بحشرجة في المحرك وهبوط في السرعة فهرعت إلى صديقي الذي هوّن من الأمر، وطلب مني أن أترك له السيارة ليصلحها عند ميكانيكي يعرفه، ثم فاجأني في أريحية تليق به وقدم لي مفتاح سيارته الشيروكي؛ لأستعملها حتى تعود سيارتي. في اليوم التالي عاد بسيارتي وقدمها لي ومعها فاتورة بأربعمائة وثمانين دولارًا، فلما استهولت المبلغ قال لي: يا صديقي أنت في كندا ولست في مصر.. هل ظننت أنك ستدفع أربعين أو خمسين دولارًا؟ شعرت بالخجل وقلت له: معك حق. بعد أسبوع بركت السيارة ورفضت الحركة بينما كنت في الطريق لمكتبي، وطبعًا استغثت بالمنقذ الذي حضر على الفور ومنحني سيارته كالعادة. بعد يومين عادت السيارة ومعها فاتورة بخمسمائة وعشرين دولارًا. لم أشأ أن أبدو ساذجًا مرة أخرى فدفعت دون تعليق. وظل الأمر هكذا لمدة ستة أشهر ترددت عليه فيها أكثر من عشرين مرة ودفعت آلاف الدولارات، وصار جليًّا بالنسبة لي أنني تعرضت لخدعة، وأن السيارة كانت في النزع الأخير عند شرائي لها، لكنني لم أعرف ماذا أفعل.

وفي إحدى نوبات غضب السيارة وحشرجتها في الطريق قمت بطلب صديقي كالمعتاد، لكنه كان مسافرًا خارج المدينة. مضيت بالسيارة وهي تعرج أبحث عن ميكانيكي، حتى لمحت واحدًا فتوجهت إلى ورشته. ظل الرجل يعمل بكل همة لساعة كاملة ثم سلمها لي ومعها فاتورة بعشرين دولارًا! نظرت إلى الفاتورة في دهشة وسألته كم المبلغ؟ قال: كما هو مكتوب عشرون دولارًا. قلت في بلاهة: وهل يوجد في كندا تصليح سيارات بعشرين دولارًا؟ فرد في دهشة: ماذا تريد مني بالضبط.. هل تحب أن تدفع مائة دولار؟! قلت له وفي حلقي غصة: إن أقل فاتورة

دفعتها كانت أربعمائة دولار. غرق الرجل في الضحك وقال: هنيئًا للنصابين بزبون مثلك.. إن السيارة نفسها لا تساوي هذا المبلغ.

عند عودة صديقي طلبت منه أن يبحث للسيارة عن مشتر، وقلت له: إنني سأقبل ربع ما دفعته فيها. وطبعًا لم يكن من الممكن أن يعثر على مغفل يقبل دفع ألف دولار في مصيبة كهذه! عرضتها بأي ثمن فلم أجد من يدفع فيها مائة دولار. أردت أن أتركها في الشارع وأجري بعيدًا عنها، فحذروني من المخالفة لأنها مسجلة باسمي.

أخيرًا قمت بالاتصال بشركة تقوم بسحب السيارات لوضعها في مقبرة الخردة ودفعت لهم مبلغًا ماليًّا مقابل تلطفهم بقبولها، وتخليصي من هذا الكابوس. أما الصديق فلم أعد أراه بعد أن غابت السيارة التي كانت تربطه.. بفلوسي!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون E-BOOK

العبقري

خلال السنوات التي عشتها بالكويت كنت أحرص على حضور المعارض العقارية التي كانت تقام بالفنادق الكبرى، ويقوم فيها العارضون بتقديم ما لديهم من شقق و□يلات وشاليهات وقطع أراض. وكانت رحلة هؤلاء العارضين تشمل في الغالب عدة دول خليجية ينجحون فيها في التخلص من بعض ما لديهم من ثروة عقارية معروضة للبيع.

كانت أقل الشركات تلتزم الأمانة فيما تعرض، وكانت أغلب الشركات تمارس بعض مهارات التلاعب، فلا يتطابق ما يعدون به تمامًا مع الواقع الفعلي الذي يتم اكتشافه، وقليل من الشركات كانت تمارس النصب الصريح فتبيع الشقة الواحدة لأكثر من مشترٍ، وأحيانًا يتضح أن العقار غير مملوك لمن قام ببيعه، أو أن العقار لا وجود له من الأساس!

وكانت تثور عقب كل معرض منازعات شديدة بين من تعرضوا للنصب وبين السادة النصابين كانت تصل إلى المحاكم، وأحيانًا كان المظلوم الذي سرقوا شقا عمره يتهور، ويثأر بيده من النصاب عندما يعجز القانون عن إنصافه.

ولما كنت قد خضت تجربة الشراء من أحد هذه المعارض، وذقت مرارة أن تسدد ثمن وحدتك بالكامل ثم تعجز عن استلامها؛ لأن السيد صاحب العقار ارتفع بأدوار زائدة، فعاقبوه بعدم توصيل الماء والكهرباء لشقتي! فإنني كنت أسلي نفسي بالفرجة على العارضين ومحاولة فرز النصاب منهم بمجرد النظر، وكثيرًا ما كانت نظرتي فيهم تصيب حتى إن أصدقائي كانوا يقومون بعرض الشخص عليّ قبل المغامرة بالشراء منه.

وقد لاحظت ذات مرة تزاحمًا عند أحد العارضين، وكان يبيع قطع أراض في الساحل الشمالي في منطقة مميزة للغاية.. وتأكيدًا لمصداقيته كان يحمل معه صورًا للأوراق التي تؤكد ملكيته للأرض التي يبيعها ممهورة بكل أنواع الأختام. وما جعل التزاحم عليه يشتد هو الشروط الميسرة التي كان يبيع بها؛ إذ كان يكتفي بالحصول على مبلغ رمزي هو خمسون دينارًا مقابل كتابة العقد، ثم ينتظر زيارة العميل له في مكتبه بالقاهرة لجدولة باقي المبلغ على عدة سنوات.

زارني هذا الشخص في مكتبي قبل عودته إلى مصر بعد أن باع كل القطع التي لديه، وعاتبني بشدة على تفويت الفرصة وعدم حجز قطعة أرض، غير أنه أسرّ إليّ بأن في حوزته قطعتين لم يتصرف فيهما، إحداهما على البحر مباشرة وهو يريدها أن تكون من نصيبي. لم أدر ما الذي حدث لي.. انفجرت في عاصفة من الضحك فشلت في السيطرة عليها، وكلما توقفت عاودت الضحك من جديد وسط ذهول الرجل الذي بدا عليه الحرج والارتباك وسألني: ممكن أفهم ما الذي يضحكك؟ قلت له: عبقريتك يا أستاذ.. عبقريتك هي التي تضحكني، أنت تختلف عن كل زملائك من الطماعين الذين يقعون في شر أعمالهم؛ إذ يحصلون من الزبون على مقدم لا يقل عن خمسة آلاف دينار، وعندما يكتشف أنه تعرض للنصب لا يتردد في الذهاب

لمحام ورفع قضية، بل لا يتردد بعضهم في قتل النصاب من حرقة الحنق والغضب.. أما أنت فلا تثير غضب أحد على الإطلاق.. أنت رجل مبدع وصاحب ستايل فريد.. إن أقصى ما يفعله شخص تعرض للنصب في خمسين دينارًا فقط هو أن يضحك مستهزئًا من نفسه ويقرر نسيان الموضوع، ولسان حاله يقول للنصاب: يا بن الكككككككلب.. هذا هو أقصى ما سيفعله، لكنه لن يذهب أبدًا إلى المحامي.. ويرفع قضية تكلفه ألف دينار من أجل استرداد خمسين.. هل عرفت لماذا أضحك أيها العبقري؟!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الختم الوهمي

يوجد كيان يعرفه كل من مر بتجربة أداء فريضة الحج اسمه مكتب الوكلاء الموحد. يقوم هذا المكتب من ضمن ما يقوم به بالتأكد من أن الحاج قد قام بتسديد مبلغ تم تحديده سلفًا للمطوّف الذي يكون الحاج في عهدته. وبصرف النظر عما إذا كان هذا الحاج يحتاج للمطوف أو لا يحتاج، فلا بد أن يدفع هذا المبلغ حتى يحصل على الصك الذي يتيح له مغادرة البلاد دون مشاكل! وأنا شخصيًّا قمت أكثر من مرة بسداد شيك من أجل مطوف لا أعرفه، ولا أنا في حملته أو في عهدته، ولا أريد منه شيئًا.. دفعت فقط لأنني لم أشأ افتعال مشكلة، ولم أرد أن أبدأ المناسك بالرجم ولعن الشياطين، وأردت لهذا الأمر أن يكون في ترتيبه الصحيح قرب نهاية المناسك!

المهم أن مكتب الوكلاء الموحد هذا كان يجمع جوازات السفر من الركاب عند المغادرة، وبعد أن يتحقق من أن الراكب قام بدفع المبلغ يمنح ختمًا يفيد السداد حتى يراه رجال الجوازات، ويسمحوا لصاحب الجواز بالسفر، وهذا أمر مفهوم ولا مشكلة فيه.

ولكن كان هناك موظف داهية أراد فيما يبدوأن يوسع من مساحة دوره، فأقنع شركات الطيران أن هناك ختمًا مهمًّا آخر يتعين الحصول عليه قبل السماح للركاب بالسفر، واتفق معهم على أن يضع بمكتب كل شركة طيران موظفًا من عنده يدق ختمه داخل كل جواز. كان هذا الختم الدائري عبارة عن كلمة واحدة لا معنى لها هي كلمة (تسجّل). وكانت الشركات المسكينة تضع أكوامًا كبيرة من الجوازات أمام هذا الموظف بانتظار أن يتعطف عليها، ويضع ختمه السحري المكتوب في منتصفه (تسجّل). وكثيرًا ما كان هذا الموظف يغادر كرسيه، ويخرج يتمشى في مدينة الحجاج ويترك الجميع في ورطة، ويظل مندوبو الشركات يهرولون وراءه يرجونه أن يعود إلى مكانه حتى لا يتعطل العمل. وكثيرًا ما كان هذا الموظف يتدلل، ولا يعود إلا بعد أن تتم ترضيته على النحوالمخطط له سلفًا! ظل هذا الأمر عدة أيام حتى قام أحد الشباب الذين ضجّوا من غطرسة الموظف المزروع وسطهم، ومعه ختم تافه لا معنى له بحمل أحد الجوازات والمضي به لرجال الجوازات في المطار، وسألهم عن أهمية هذا الختم، ولماذا يطلبونه بالتحديد، فأجابوه بأنهم لم يطلبوا هذا الهراء أبدًا ولا يعنيهم وجوده من عدمه.. وهنا أدرك الجميع حيلة الرجل الملعون الذي أراد أن يمارس الابتزاز، فقام دون علم مكتب الوكلاء الموحد باختراع ختم وقام بالعمل لحسابه حتى يدخر قرشين قبل انقضاء الموسم!

الغريب، أن شركات الطيران في غمار لهفتها على إنجاز العمل وتسفير الركاب في مواعيدهم، كانت تلح على السيد مخترع الختم أن يرسل لهم عدة موظفين ولا يكتفي بواحد فقط من أجل سرعة الإنجاز.. وهذا لعمري يشبه النكتة التي تقول: إن حاكمًا مستبدًّا قرر منع مرور السيارات من أحد الجسور الحيوية قبل أن يتم صفع قائد كل سيارة على قفاه من قبل أحد رجال الحاكم الذين تم وضعهم عند مدخل الجسر.. وكانت السيارات تتجمع بالمئات فوق الجسر ينتظر كل منهم دوره في الصفع،

الأمر الذي حدا بهم في النهاية إلى أن يثوروا على هذا الظلم الفظيع، وأن يطلبوا تزويد الجسر بموظفين زيادة حتى يستطيعوا اللحاق بأعمالهم!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

جناب السفير وحرمه

كنت معتادًا على الذهاب بنفسي إلى المطار مع كل رحلة عندما كنت أعمل مديرًا لشركة طيران في إحدى عواصم الغرب، وذلك من أجل الاطمئنان على سير العمل.

ذات يوم بينما كنت أقف بجوار الكاونتر أتابع طابور الركاب وجدت وجهًا أعرفه جيدًا. أقبل عليّ الرجل وحياني بشدة، فبادلته التحية قائلا: أهلا سيادة السفير.. هل أنت مسافر معنا اليوم؟ فأجاب: بل زوجتي هي المسافرة. وإن هي إلا لحظات حتى رأيت الخدم العاملين في منزل السفير مقبلين يجرون عدة عربات عليها عدد كبير من الحقائب، وخلفهم تسير الهانم في أناقتها المعهودة، وهي ترسل للأفق نظرات ناعسة.

ابتعدتُ قليلًا لمتابعة بعض الأمور وانشغلت عنهم، وبعد قليل انتبهت على صوت شجار وأرهفت السمع، فوجدت سيادة السفير مشتبكًا مع زوجته في معركة حامية، والسائق الخاص بسيادته يحاول تهدئته دون جدوى. علا الصوت على نحو لافت دفع الناس إلى الالتفاف حولهم لمتابعة منظر غير مألوف رأوا فيه رجلًا يزأر كالأسد في وجه امراة منكمشة على نفسها، وهو يلوح بيديه في وجهها ويضرب الهواء بقبضته!

تقدمت من الرجل وهو بدرجة سفير يعمل قنصلًا عامًّا ممثلًا لبلاده في هذه العاصمة محاولًا أن أفهم ما الذي يحدث بينه وبين زوجته أمام الكاونتر وعلى مرأى من الركاب، فلما رآني هدأ قليلًا وقال لي: هل يرضيك ما تفعله بي هذه السيدة؟ إنها لا تدرك حرج وظيفتي وأهمية مركزي وتتصرف كما لوكانت زوجة شخص عادي. قلت له وأنا لا أفهم شيئًا: ما هو الموضوع بالضبط يا سيادة السفير وما الذي جعلك تحتد إلى هذه الدرجة؟ قال: الهانم تريد أن تفضحني وتجعل شكلي سيئًا أمامك. قلت في دهشة: أمامي أنا.. وكيف هذا؟ قال: إنها - دون أن تسألني أو تأخذ رأيي - أحضرت معها عشر حقائب من الوزن الكبير مستغلة ما تعرفه من صداقتي بك، ومتصورة أنني يمكن أن أسبب لك حرجًا في عملك الذي أعلم أنك لا تقبل فيه أي وساطات أو تقدم فيه أي تنازلات.

وقفتُ حائرًا لا أدري ماذا أقول، والرجل يستمر في تبكيت زوجته، ويصدر أوامره للسائق والطاهي بأن يأخذا أربع حقائب من العشرة ويعودا بها إلى المنزل مرة أخرى، ثم يقدم الجواز والتذكرة إلى موظفة الكاونتر ومعهما ست حقائب!

نظرت الموظفة إلى الحقائب الست، ثم أخبرتهم بوجوب دفع مقابل أربع حقائب زائدة عن المسموح. كانت تعليماتي للموظفين هي عدم استثناء أي شخص من دفع ما عليه تحت أي ظرف، لكن الموظفة التي شهدت الموقعة نظرت لي متسائلة فوجدت نفسي أشير إليها بما يعني السماح، ذلك أن الموقف العنيف للرجل مع زوجته قد ألجمني حقيقة وجعلني لا أقوى على التصرف كما تعودت.

بعد إقلاع الطائرة وأثناء خروجي من المطارمتوجهًا إلى سيارتي فوجئت بطباخ السفير يعدو ورائي مناديًا. توقفت وسألته: ما الأمر؟ قال: عندي اعتراف لك؛ لأن ضميري يؤنبني. قلت: هات ما عندك. قال: لقد كنتَ ضحية خدعة يا أستاذ. سألته: كيف؟ أجاب: إن سيادة السفير قد دبر هذه التمثيلية التي شاهدتها وقمنا معه في البيت بملء أربع حقائب بأشياء قديمة لا قيمة لها، وقد طلب من زوجته أن تسامحه لو اشتد عليها أمامنا وهو يأمر بإرجاع الحقائب الزائفة، وكل ذلك؛ لأنه يعلم أنك لا تتساهل في تحصيل الوزن الزائد. قلت وأنا غير مصدق: ولماذا لم يطلب مني هذه الخدمة بشكل مباشر؟ قال: لقد خشي أن ترفض فيجد نفسه مضطرًّا للدفع، وأنت تعرف أن إنفاق الفلوس يؤلمه بشدة.. ثم أضاف: وأنا أرى أنه كان محقًّا؛ لأن خطته قد أثمرت وحققت الغرض المطلوب!

رغم كل ما أتصوره عن نفسي من خبرة بالحياة والبشر إلا أنني لم أتصور أبدًا أن رجلًا في هذا المركز وهذا الثراء يمكن أن يفعل ما فعل، وتساءلت بيني وبين نفسي ماذا لوأن هذا العبقري السافل وجّه شيئًا من قدراته الاستثنائية هذه في خدمة مواطنيه الذين يقاسون الأمرين من غياب السيد قنصلهم العام حينما يحتاجونه!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

السمسار اللزج

من المعروف في الأدبيات الماركسية أن مهنة السمسار أو الدلال هي من المهن الطفيلية التي لا قيمة لها، والتي يفرض فيها الوسيط نفسه على البائع والشاري، أو المالك والمستأجر، ويقف بينهما مادًّا يده ومقتنصًا أموالًا من كل منهما ليست من حقه.

ورغم أنني أبعد ما أكون عن الفكر الماركسي إلا أنني أشارك أصحابه الرأي فيما يتعلق بمهنة السمسرة، وأكره اللزوجة التي يبديها الوسطاء بكل أنواعهم من أول سماسرة الشقق والعقارات، وحتى الذين يتوسطون لتوريد النساء لطالبي المتعة الحرام!

عندما وصلت إلى مدينة مونتريال منذ عدة سنوات، وشرعت في البحث عن شقة أسكنها عرفت - ويا للغرابة - أن هذه المهنة تعتبر من أكثر المهن التي يقبل الناس على محاولة العمل بها، وفهمت أنها تحتاج قبل الممارسة إلى دراسة يتلقاها الطالب في أحد المعاهد التي تقدم كورسات في السمسرة! ولم يكن من الصعب أن أدرك أن الإقبال على هذه المهنة اللزجة يعود إلى المال الوفير الذي تدره على صاحبها دون جهد يذكر تطفلًا على طرفي المعاملة.

قام أولاد الحلال بتسليمي إلى أحد السماسرة الذي عرفت - فيما بعد - أنني كنت أول زبون يقع في يده بعد إنهائه الدورة الدراسية، واستلامه العمل بالمكتب. كنت أشعر بضيقه بالبدلة وربطة العنق المفروضتين عليه طبقًا للكورس الذي درسه! خرجت معه عدة مرات، واكتشفت أنه لا يفترق عن السمسار البلدي الذي كان موجودًا بمصر، والذي كان في الغالب يعمل مكوجيًّا أو بوابًا لإحدى العمارات، ومنحته مهنته دراية بالخريطة العقارية بالمنطقة. أردت بعد أن خرج معي أول مرة أن أمنحه عشرين دولارًا لزوم الشاي كما اعتدت أن أفعل مع المكوجية السماسرة بالقاهرة (رغم أنهم في الآونة الأخيرة أصبحوا يسمون أنفسهم خبراء عقاريين)، وهنا نبهني أحد أصدقائي إلى معلومة هامة هي أن المستأجر في كندا ليس عليه أن يدفع أي شيء للسمسار سواء وفق في العثور له على سكن أو أخفق في المهمة، وأن مكتب العقارات يتقاضى عمولته من المالك فقط بعد كتابة العقد. أضاع الرجل وقتي كثيرًا، وأخذني معه في مشاوير لا مبرر لها إلى مناطق لم أطلب السكن فيها، وأراني مجموعة من المساكن تتنافى مع طلباتي التي كنت واضحًا ومحددًا فيها، وفي كل مرة امتعضت فيها وأظهرت التأفف من غبائه كان يعدني أن الشقة التالية ستكون ملبية لاحتياجاتي ومطابقة لمواصفاتي، وهو الأمر الذي لم يتحقق أبدًا على مدى أسبوعين ضاع فيهما وقتي مع هذا المتدرب الجهول!

لاحظت أيضًا أن هذا السمسار بعد أن عرف الميزانية التي رصدتها للإيجار السنوي - ولنفرض أنها ثلاثون ألف دولار مثلًا - كان لا يريني شقة مهما كانت متواضعة إلا ويزعم أنها بهذا المبلغ! وأدركت أنه يريد أن يحمل إلى المالك خبرًا سعيدًا بعثوره على زبون سيدفع في الشقة ضعف ما تستحق وبهذا تتضاعف عمولته على حسابي!

المهم أنني شعرت بعبثية الاستمرار مع هذا الرجل فانصرفت عنه، ونجحت من خلال إعلانات الصحف أن أعثر وحدي على شقة جيدة بسعر مناسب، وأن أقوم باستئجارها وكتابة العقد مع المالك من دون وسطاء. لكن لدهشتي فوجئت بالسمسار التعيس يطاردني تليفونيًّا مطالبًا بمبلغ مالي مقابل الخروج معي لمدة أسبوعين؛ لأنه تصورني لا أعرف حقيقة التعامل في كندا. حاولت أن أتملص منه وأصبحت لا أرد على تليفوناته، فحضر إليّ في المكتب، وأخذ يلح سعيًا للحصول على أي شيء. سألته: هل يحصل السمسار في كندا على فلوس من المستأجر بالإضافة إلى المالك؟ فأجاب بثقة: طبعًا. سألته: وهل يحصل من طالب السكن على فلوس مقابل الطواف به على العمارات دون أن يعثر له على طلبه فأجاب: بالتأكيد. قلت له: إذًا فلتأت معي إلى المحامي حيث أمنحك حقك موثقًا بعقد رسمي نكتب فيه قيمة المبلغ الذي ستأخذه، ونوع الخدمة التي أديتها لي، وسنرسل صورة من هذا التعاقد إلى مصلحة الضرائب. عند هذا الحد استأذن في دخول الحمّام وقام، فخرج ولم أر وجهه مرة أخرى بعد أن نفد بجلده من ثلاث سنوات سجن كانت في انتظاره فيما لووقع العقد وأخذ الفلوس!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أصحاب الجلالة.. الخونة

كانت مصر كلها تنزف دمًا أثناء حرب الاستنزاف التي بدأت بعد هزيمة ٦٧. وكان الجنود المصريون الرابضون على خط النار يتدربون ليل نهار في ظروف مستحيلة على عبور قناة السويس من أجل استرداد الأرض وغسل عار الهزيمة.

وكان الشهداء يتساقطون كل يوم بالعشرات أثناء قيام الجنود والعمال ببناء حائط الصواريخ على طول الجبهة لحماية سماء مصر من سلاح الجوالإسرائيلي الرهيب الذي كان قد استباح المدن المصرية، وأخذ يقوم بالإغارة بشكل يومي على مدارس الأطفال وعلى المصانع والمستشفيات ودور العبادة. وكنا نلملم أشلاء ضحايانا ونمسح الدمع، ثم نستكمل التدريب والبناء انتظارًا ليوم الثأر.

وعلى الجبهة السورية كان يحدث الأمر نفسه، وكان الجنود السوريون يقومون بالمناورات التدريبية في أجواء تصل درجة حرارتها إلى ما دون الصفر؛ أملًا في خوض معركة مشرفة. وكانت المدن السورية تستقبل غارات غادرة على المدنيين بشكل يومي.

وأخذ الإعداد للمعركة يتصاعد يومًا بعد يوم، واعتمد المصريون والسوريون خطة للتمويه من أجل إخفاء موعد ساعة الصفر ومفاجأة الإسرائيليين.

وفي يوم الخامس من أكتوبر عام ٧٣ كان المتبقي على بدء المعركة أربعًا وعشرين ساعة. في هذا الصباح، وتمهيدًا للمعركة، عبرت وحدات من الكوماندوز المصريين قناة السويس دون أن يلحظ العدو، وقام أفرادها بسد فتحات النابالم التي كان الإسرائيليون قد أعدوها؛ ليشعلوا قناة السويس ويحرقوا جيش مصر أثناء العبور. وكان القادة المصريون يتضرعون إلى الله أن يمر هذا اليوم على خير ولا يفهم العدو نواياهم حتى لا يقوم بالاستعداد أو توجيه ضربة إجهاضية للقوات المصرية.

في هذا اليوم المشهود قام أحد الحكام العرب بركوب طائرته التي كان يقودها بنفسه وهبط بها داخل أراضي العدو الإسرائيلي، ثم عاد بعد أن أتم مهمته بنجاح وحذّر جولدا مائير وقادة جيشها من الهجوم المصري السوري القادم!!

وقد انكشف هذا السر من خلال الوثائق الإسرائيلية التي تم الإفراج عنها بعد مرور ثلاثين عامًا عليها، ولم يجد الإسرائيليون غضاضة في فضح رجلهم.

لكن الأغرب من الخيال هو أن مصر في زمن آخر قامت بإطلاق اسم هذا الرجل على أحد الميادين بالقاهرة!

ولم يكن صاحبنا هذا فريدًا من نوعه بين الأشاوس العرب. كان هناك أشوس آخر يقوم منذ سنوات بعيدة باستضافة مؤتمرات القمة العربية، ومؤتمرات المؤتمر الإسلامي في بلده. وكان على استعداد للدخول في خصومة مع من ينازعه من السادة الحكام في استضافة هذه الاجتماعات على أرضه ويصر على عقدها عنده هو!

وكان الظن وقتها أن هذا الإصرار راجع إلى فرط وطنية وفيض مشاعر عروبية إسلامية جياشة من الرجل الذي كان يطلق على نفسه لقب أمير المؤمنين!

لكن تمر الأيام ويكشف الإسرائيليون في وثائقهم عن أن الفارس المغوار كان يقوم بنقل وقائع الاجتماعات بالصوت والصورة إلى أصدقائه في تل أبيب، وأن فريق عمل فنيًّا من جيش العدو كان يحضر في كل مرة من أجل تجهيز القاعة، وإعداد الكاميرات وأجهزة الصوت.

والآن بعد أن قام الإسرائيليون بكشف هذا الرجل الذي عمل في خدمتهم كما كشفوا زميله.. ألا ينبغي أن تقوم مصر بتكريمه، وإطلاق اسمه هو الآخر على أحد ميادينها أسوة بزميله الواشي الذي كاد يجهض النصر العسكري اليتيم الذي عرفناه في حياة مليئة بالهزائم والنكبات؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

يا كارتر يا ندل

من المعروف أن الحكام في الدول الديموقراطية لا يعملون إلا لصالح شعوبهم التي حملتهم إلى مقاعد الحكم، وتستطيع ببساطة إقصاءهم عن هذه المقاعد. لأجل هذا لا نجد لديهم حسابًا للعواطف أو الخواطر في القرار السياسي مثلما هو الحال لدينا.

بعد قيام الثورة الإيرانية واستيلاء الثوار على الحكم، وجد الشاه نفسه وحيدًا بعد أن تنكر له حلفاؤه، وخشي الجميع من قبوله لاجئًا لكي لا تتأثر علاقتهم بالحكام الجدد. وكان بعض الواهمين يتصورون أن الولايات المتحدة التي قدم لها الرجل خدمات جليلة حين كان رجلهم القوي بالمنطقة ستأويه وتمنحه اللجوء السياسي.. لكن خاب أملهم بعد أن تغلبت البراجماتية السياسية على رومانسية الحالمين، وتم رفض استضافته في الولايات المتحدة بشكل قاطع. والمفارقة العجيبة أن يكون للأمريكان هذا الموقف العملي البارد الذي يعتد فقط بالمصالح، في الوقت الذي يقوم فيه الرئيس السادات في حركة شهامة لا مبرر لها بالموافقة على استضافة الرجل بمصر! وكانت الحجة أن الشاه وقف إلى جانبنا في السابق ولا بد من رد الجميل له! هذا وقد فشل شعب مصر في التعرف على أي من الجمايل والأفضال التي كانت لهذا الرجل، والتي يبدو أنها كانت مشفرة فلم يرها أحد!

ووجه الغرابة لا يتمثل فقط فيما يحمله القرار من تحد للشعب الإيراني الذي خلع الشاه ومعاداة الحكم الجديد، وإنما أيضًا في أن الشاه لم يكن في يوم من الأيام صديقًا للعرب بل كان طول الوقت حليفًا ونصيرًا لإسرائيل، والجميع يعرف أن وقود الطائرات والدبابات التي قصفت مصر وقتلت المصريين في كل الحروب مع إسرائيل كان وقودًا إيرانيًّا!

في ذلك الوقت لم يترك الشاعر أحمد فؤاد نجم هذا الموقف يمر دون أن يضع بصمته عليه، فكتب واحدة من أظرف قصائده السياسية التي غناها رفيق دربه الشيخ إمام، وكانت تصف نذالة الرئيس الأمريكي كارتر عندما تخلى عن صديقه الإمبراطور رضا بهلوي. وكان الرئيس الأمريكي وزوجته والشاه وزوجته قد قاموا بقضاء سهرة رأس السنة قبل أسابيع قليلة من قيام الثورة معًا في القصر الإمبراطوري بطهران، وحملت كبرى الصحف ووكالات الأنباء صورًا لهم وهم يتبادلون الأنخاب ويراقص كل منهما زوجة الآخر. كتب أحمد فؤاد نجم تحت عنوان (يا كارتر يا ندل):

يا كارتر يا ندل

حبيبك وصاحبك وصاحب مراتك

وتبقى انت صاحبه وصاحب مراته

وكان والده أيضًا مصاحب حماتك

كمان برضه والدك مصاحب حماته

وطول عمره نافذ على استخباراتك

وشغّال جاسوسك على استخباراته

وقاعد يزوّد رصيد ملياراتك

وسارق وشايل معاك ملياراته

وراجل مآمنك وخاين ضميره

وخايف وحاطط في إيدك مصيره

ودابح في حبك ألوف الضحايا

ودايس في طين الدنس والخطايا

يقوم لما يطبق عليه المحيط

تطنّش يا كارتر وتعمل عبيط

وتخلع وتنسى الحمار والغبيط

وتاكل عيالك بدون أي عدل

صحيح انت ندل

نجحت الأغنية في ذلك الوقت وحققت دويًّا كبيرًا وصارت على كل لسان، كما استغلتها أبواق السلطة في الترويج للقرار العجيب باستضافة الشاه باعتباره قرارًا إنسانيًّا شجاعًا يجافي النذالة التي أحاطت بالرجل من كل جانب. غير أن الشاعر المتمرد الذي لم تعجبه نذالة كارتر لم تعجبه أيضًا شهامة السادات، وكانت له في الأمر قصيدة جديدة نتناولها في حديث آخر.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

عبقرينو

لم يكن افتتاح فرع جديد للشركة بهذه المدينة الأوربية أمرًا هامًّا، فالشركة لها فروع نمطية في معظم عواصم العالم، ومع هذا فقد أراد المدير الشرير أن يستثمر الحدث العادي من أجل مصلحته الشخصية، وفكر في أن يستغل رئيس مجلس الإدارة الذي عرف بالعدوانية والشراسة، والذي يعتبره شخصيًّا مثله الأعلى في الحياة وأن يدعوه لافتتاح الفرع الجديد.

كان هذا الرجل من أغرب من عرفت من البشر.. لديه عن نفسه فكرة عجيبة مؤداها أنه يمتلك عبقرية ليست عند سواه. وكان يعدّ حياكة المؤامرات الرخيصة لإيقاع الناس في المهالك، من تجليات هذه العبقرية، ويرى أن وضع قشرة موز في الظلام لأحد الخصوم بجوار باب السلم هي فكرة لا تعن إلا للأفذاذ من ذوي القدرات العقلية الراقية! ولعل ساديته هذه هي التي جعلته يعشق رئيس مجلس الإدارة الذي كان يفوقه في السادية، ويمتلك منها مخزونًا يكفي لبناء الجدار الفولاذي، ويفيض منه قطعة تصلح لعمل سروال داخلي لسيادته!

وبالرغم من كونه ينحدر من أسرة ميسورة ونال تعليمًا جيدًا وحصل على الدكتوراه من لندن، ثم تزوج من أستاذة جامعية جميلة ومثقفة، إلا أن المشكلة كانت في نفسه الصغيرة، وفي الإحساس الدفين بعدم الجدارة الذي كان يلازمه طوال الوقت. كان يعلم أن المرءوسين والزملاء يطلقون عليه اسم عبقرينو ويتندرون عليه من وراء ظهره، لذلك كانت نقمته عليهم عظيمة وتفتق ذهنه عن حل عملي لضرب الخصوم - حتى الرؤساء منهم - وهو أن يتقرب من رئيس مجلس الإدارة ويعمل من خده مداسًا لجزمة سعادته، ومن ثم يضمن أن يضعه في جيبه ثم يضرب به الجميع! وكان يرى في هذه الخطة عبقرية فريدة يتفوق بها على سائر الناس الذين كانوا لخيبتهم يضطرون لمنافقة عشرات البشر، والانحناء لكل من هب ودب، أما هو فلا يعمل خادمًا إلا عند سيد واحد فقط!

كان المتبقي له على الخروج للمعاش بضعة شهور ولم يكن يصدق أنه سيغادر الدولة الأوربية، ويترك المنصب الذي يمنحه المال والنفوذ ويمكّنه من إذلال المرءوسين. جلس يفكر ويعتصر الجمجمة من أجل حل هذه المشكلة، ثم هبط عليه الوحي بأن يقوم بعمل احتفال كبير بمناسبة افتتاح الفرع الجديد يدعو إليه الرجل الكبير الذي في يده قرار مد الخدمة له بعد المعاش. وقرر صاحبنا أن يشغّل كل ماكينات التزلف واللزوجة بأقصى عزم! قام بالاتصال برئيس مجلس الإدارة سليط اللسان صاحب السطوة والهيلمان، وأخبره بأن المدينة الأوربية تنتظر بشوق قدومه لافتتاح الفرع الجديد للشركة. سأله الرئيس: ومن أين يعرفني الناس عندكم في غرب أوربا؟ أجاب وهو يضغط على الحروف: أنت شخصية دولية تعرفها الدنيا كلها، وقد اقترح الناس هنا أن يكون الافتتاح يوم ٢٦ القادم وهو يوم مولدكم. قال الرئيس في دهشة: أويعرفون عيد ميلادي أيضًا؟ أجاب: بلى يا سيدي يعرفونه ويستعدون لتشريفكم للاحتفال به معكم.. ولا تنس أن تحضر الهانم معك كما يقضي البروتوكول.

في الأيام التالية قام بعمل استعدادات مشابهة لتلك التي تم عملها عشية قدوم الإمبراطورة أوجيني عند افتتاح قناة السويس، فقام بحجز قاعة ملكية فاخرة باهظة الثمن، وكلف أمهر الطهاة بإعداد مائدة تكفي ألفًا من المدعوين وقام بتوجيه الدعوات بشكل عشوائي لكل من صادفه، وأحضر فرقة موسيقية تقوم بالعزف أثناء العشاء. ولم ينس أن يستأجر كومبارس يقومون بالتصفيق أثناء إلقاء المسئول لكلمته التي أعدها له! ولم يكتف بهذا، وإنما قام بتنظيم برنامج حافل باهظ التكلفة للرجل طيلة أيام زيارته. ورغم علمه أن المسئول لا يشرب، فقد حرص على تزويد الغرفة بزجاجة شمبانيا وطبق كافيار كل ليلة لإضفاء لمسة (كلاس) على إقامة الرجل وزوجته. وطبعًا قام بالحصول على توقيع سيادته على كل هذه النفقات على حساب الشركة!

كل هذا رأيته عاديًّا ولم يثر دهشتي، وقد سبق لي رؤية نفاق وفساد أفظع من هذا بكثير. لكن الذي أصابني بالغم وجعلني أحزن حقًّا هو أنه أتى بزوجته بالطائرة - وهي سيدة رقيقة وأستاذة جامعية مرموقة - وجعلها تقوم بدور الوصيفة لزوجة المسئول، وكانت حيزبونًا مقيتة شديدة الجهل والغطرسة. وكنت ألمح عذاب أستاذة الجامعة وهي تمارس دورًا لا يليق بها، وأشعر بالإشفاق عليها من زوج رخيص أناني يدفعها لملاطفة امرأة لا تستحق سوى الازدراء. ليس هذا فقط لكن عبقريته جعلته يحضر ابنته الصغرى الجميلة أيضًا؛ لتمارس دلالها الطفولي التلقائي، وتضفي على الجو مسحة براءة وحميمية.. كل شيء مدروس (على رأي عادل إمام).

انتهت الزيارة على خير، وقد حققت الغرض منها فعاد المسئول الكبير وهو في غاية السرور، وكان أول قرار وقعه هو قرار مد الخدمة لصاحبنا العبقري.

لكن سبحان الله.. بعد أقل من شهر صدر قرار أعلى بإقالة رئيس مجلس الإدارة، وخروجه إلى المعاش، وفي ذيله خرج الأخ عبقرينو.. فيالسخرية القدر!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

عصام وفوزي

هل يعرفك الناس ويقبلون على مصادقتك لخصالك الطيبة وصفاتك الحميدة، أم أنه يغريهم أكثر أن تكون أقل استقامة وأكثر التواء؟

كانوا ثلاثة أصدقاء جمع بينهم العمل خارج الوطن في دولة غربية.. فوزي الدبلوماسي الواعد الذي ينتظره مستقبل مرموق وعصام المدرس بالجامعة الممتلئ بالرغبة في الصعود والترقي.. وعادل المثقف الفوضوي صاحب المواهب الأدبية والفنية الذي يدير مكتبًا للسياحة، ويعيش الحياة بالطول والعرض.

كان يجمعهم الاهتمام بالثقافة والفكر علاوة على انشغالهم بالهموم العامة للوطن، وكثيرًا ما كانوا يلتقون بأحد المقاهي في المساء وتدور بينهم مناقشات حامية تنتهي بالحسرة على ما آل إليه الحال في الوطن من تدهور وانحدار.

لكن كان يدهش عادل أن الحماس الذي يبديه رفيقاه والاندفاع في نقد الفساد والسلبية والتنديد بهما، كان يستحيل إلى إشادة وتهليل لكل السياسات الفاسدة التي يعرف موقفهما الرافض لها، وذلك إذا ما وقفا في حضرة رئيس في العمل أو زائر مهم من الوطن. كان عادل يقدّر أن كلا منهما لا يستطيع أن يجاهر بالنقد خشية أن يفقد وظيفته أو يتعرض لوشاية تعطل مسيرته، وكان يتفهم دوافعهما رغم أنه لم يكن يحترمها. وكان يرى أن الإنسان إذا عجز عن النطق برأيه الحقيقي فعليه أن يصمت لا أن ينطق بعكسه إرضاء لفلان أو علان. لكنه للحق لم يكن يقسو عليهما ولم يكن يزهو بقدرته على أن يضع قدمه في وجه أصحاب السلطان وأن يقول رأيه في حضرة أي إنسان دون أن يبالي بالعواقب. وكثيرًا ما اصطدم ببعض أصحاب النفوذ في مناقشات عنيفة لم يتردد فيها في أن يمسح بهم البلاط على مرأى ومسمع من عصام وفوزي! ولا ينسى عادل كيف كان ثلاثتهم يضحكون أثناء جلستهم في المساء وهما يتلوان على مسامعه كيف أن المسئول الفلاني الذي كان في زيارة قد قال لهم قبل مغادرته: إنه يدرك أن الجرأة التي يتمتع بها عادل - بعد استبعاد فكرة الجنون - لا بد وأن تكون راجعة إلى قربه من القيادة السياسية، واستناده إلى هذا القرب في نقد الأوضاع، واتهام المسئولين بأعلى صوت! كان يغرق في الضحك من فكرة أنهم لا يتصورون وجود شخص محترم في هذا الكون.. هناك فقط شخص مسنود!

ظلوا على صداقتهم التي تعاهدوا على أن تستمر إلى الأبد، ثم عادوا تباعًا إلى الوطن واحدًا بعد الآخر.. عاد فوزي إلى عمله بالخارجية وعصام إلى الجامعة وبدأ عادل يشق لنفسه طريقًا آخر في الحياة.. قرر أن يهجر الوظيفة، وأن يتفرغ للكتابة التي أهملها كثيرًا. بدأ إنتاجه يظهر في الأسواق على شكل روايات ومجموعات قصصية، والأهم من ذلك مقالاته التي كانت حديث المدينة كل أسبوع والتي تميزت بفنية عالية بالإضافة إلى جرأة في تسمية الأمور بأسمائها، وتحديد الفاسدين بأسمائهم دون تزويق.

جلبت له كتاباته شعبية كبيرة في أوساط القراء ومنحته تقديرًا واحترامًا وشهرة، فأقبل عليه الناس يرجون صداقته ويتشرفون بها. فقط عصام وفوزي أفزعهما الوضع الجديد لصديقهما الذي أصبح كاتبًا معروفًا ومحترمًا، فحاذرا الاقتراب منه، وخشيا أن يعرف الناس أنه صديق لهما فيتصوروا - على غير الحقيقة - أنهما محترمان مثله وتتعثر مسيرتهما الوظيفية!

وللمرة الأولى يلمس منهما جسارة كبيرة لا يعرفها عنهما تمثلت في قطع علاقتهما به دون تردد!

ولاد اللذيذة

قالوا لنعيمة

انسي حسن يا نعيمة

خدي ابن عمك

خديه وروحوا السيما

(عصام شمورت)

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

الدعم الدومينيكي.. والدومينيكوكو

قرأت هذا الأسبوع خبرًا أثلج صدري لدرجة الالتهاب الرئوي مفاده أن جمهورية الدومينيكان - الواقعة على البحر الكاريبي - قد أعلنت مساندتها ترشيح السيد فاروق حسني في مسيرته للوصول إلى منصب مدير عام المنظمة الدولية للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو). وقد برهنت الدومينيكان على جدية المساندة للمرشح المصري بتوجيه الدعوة له من قبل وزير الخارجية الدومينيكاني لزيارة بلاده، وإطلاعهم على تجربته الرائدة في خدمة الثقافة. هذا وقد وعدت السفيرة الدومينيكانية بالقاهرة بالترويج لفاروق حسني بين دول أمريكا اللاتينية.

لم أستطع أن أخفي فرحتي بالدعم الدومينيكي الذي حصل عليه الوزير الفنان، الأمر الذي قد يعوضه عن الموقف الأمريكي الرافض لرئاسته للمؤسسة الدولية، خصوصًا وأنني قد حظيت بزيارة جمهورية الدومينيكان، وقضيت بها إجازة من أمتع الإجازات على شاطئ البحر منذ بضع سنوات في منتجع (بونتا كانا) الأمر الذي ترك في نفسي أثرًا طيبًا عن البلد وأهله، وجعلني أضرب صفحًا عن اتهامات العديد من منظمات حقوق الإنسان للنظام الحاكم هناك بالانتهاكات ضد السكان المنحدرين من أصل هاييتي وممارساته المتعسفة ضدهم.

السؤال المهم عندي هو: كيف سمعوا أصلًا في الجمهورية الواقعة بين المحيط الأطلنطي والبحر الكاريبي عن السيد فاروق حسني؟ في اعتقادي أن لوحاته العابرة للقارات كانت همزة الوصل، ومعروف طبعًا أن الفنون هي خير رسل للسلام والمحبة والتعارف بين الشعوب، ولا أشك في أن لوحاته قد لوَحَتْهم وأرغمتهم أن ييمموا شطر بلادنا البعيدة التي فيها أحمد وحَميدة.. وفاروق حسني. ومن المعروف أن هذه اللوحات تباع الواحدة منها بالشيء الفلاني ويقبل على شرائها كل الذين تربطهم علاقات ومصالح بوزارة الثقافة المصرية من عشاق الفن الأصيل. ولأن الفن بطبعه متجاوز ولا يقف على الحدود، فأعتقد أن هذا الفن المتجاوز بعد أن فرغ من القيام بكل التجاوزات في مصر قد وصل إلى الدومينيكان؛ ليتجاوز هناك ويصل إلى جزر المارتينيك وجزر باربادوس مبعوثًا فوق العادة من جزيرة بدران!

سبب آخر أظنه ما حدا اليونسكو بالدومينيكان ريبابليك إلى الانحياز للمرشح المصري لرئاسة اليونسكو هو تجربته الرائدة في وزارة الثقافة المصرية لما يزيد على عشرين عامًا كان فيها أمينًا على التراث الحضاري المصري إلى أبعد الحدود، أما موضوع سرقة وتهريب الآثار التي لم تتوقف فليست سوى أضرار جانبية أو Collateral damage للعمل الجاد والدءوب، وهو الأمر الذي يتفهمه الدومينيكيون جيدًا، كما يدركون أن الأخطاء تحدث في كل مكان بالعالم، ويتعرض لها الذين يعملون، أما الذين يترددون في العمل خشية الوقوع في الخطأ فلا يستحقون عناء الحديث عنهم. لذلك لم يزعج الإخوة المسئولين في الدومينيكان أن يعرفوا أن السكرتير الخصوصي للوزير المصري قد دخل السجن في جريمة رشوة، وكذلك ساعده الأيمن ومدير مكتبه المشرف على صندوق التنمية الثقافية قد حكم عليه بالسجن المشدد ١٠ سنوات، كما أن مدير صندوق إنقاذ آثار النوبة ومدير

الشئون الفنية والهندسية بالمجلس الأعلى للآثار قد حكم عليهما بالسجن ثلاث سنوات فيما يعرف بقضية الرشوة الكبرى. كل هذا تعرفه جمهورية الدومينيكان، وتصر على أن تقدم لنا نموذجًا رائعًا في التسامح، ومنح الناس فرصة أخرى؛ ليكملوا ما بدءوا! أما عن سرقة اللوحات من قصر محمد علي التي وقعت منذ أيام فلا يجب أن تنسينا أن ثمة لوحات لا تزال موجودة بالقصر، ولن يصل إليها اللصوص قبل سنتين على الأقل! وعندها قد يكون جحا قد مات أو الحمار هو الذي مات. ولا ينسى المسئولون الدومينيك أن فاروق حسني كان أول وزير ثقافة ينجح في إدخال قوى الممانعة إلى العشة ويضع لهم فيها الماء والحَب، ثم يتفرغ للإبداع بدون وجع دماغ. وأظن أن لدى الجمهورية الكاريبية الكثير من مسببات وجع الدماغ، ولديهم مثقفون يقفون على باب الحظيرة يترددون في الدخول، ولا يحتاجون سوى لدفعة من المرشح المصري، بعدها لن نسمعهم يقولون سوى كوكوكوكو!

ولئن كان هناك من يخشون على الشعب الدومينيكي من مغبة احتذاء التجربة المصرية في الثقافة خشية أن يصيبهم ما أصابنا، فنطمئنهم بأن الدومينيك يتسمون بالجسارة الشديدة والولع بالمغامرة وركوب الأخطار، لهذا لم يترددوا في محاولة استنساخ التجربة المصرية. ومع ذلك فقد فشلوا في إحراق قصر ثقافة بني سويف الدومينيكيكي لأن وسائل الإطفاء كانت متوفرة به، ولأن أحدًا نسي أن يغلق بابه بالجنزير على الجمهور. وحاولوا أيضًا أن يحرقوا المسرح القومي الدومينيكوكي، فاندفعت الرشاشات من السقف وأطفأت النيران فأشعلوها من جديد، لكن النار كانت بردًا وسلامًا عليه؛ لأن كوبري الأزهر الذي يتسبب في الحرائق لم يتم بناؤه بعد في العاصمة سان دومينيجو. أما محاولتهم سرقة قصر محمد علي الدومينيكوكو فباءت بالفشل؛ لأنهم نسوا نزع (الباركود) من على اللوحات فانطلقت الصفارة على البوابة!

نتمنى للمرشح المصري كل التوفيق في سعيه لاعتلاء الكرسي الكبير باليونسكو، ونرجوألا ينسى بعد النجاح أن له مناصرين ومحبين من بني دومينيك، لم يبخلوا عليه عندما بخل الآخرون بالدعم والتأييد الدومينيكاني والدومينيكيكي والدومينيكوكو!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الذين أخذوا البِـنْسة!

يزعم نفر من الأشرار أن انتخابات اليونسكو قد جرت في جولتها الخامسة بين جمهورية بلغاريا وبين جمهورية فستاكونيا العظمى، وأن شعب مصر لم يكن طرفًا في الموضوع. ومع هذا لم يوضحوا لنا لماذا لم يقف شعب مصر على الحياد بين الدولتين؟ ولماذا أبدى كل هذه الفرحة الطاغية لفوز البلغارية بوكوفا، ولماذا قام أبناؤه بتبادل رسائل التهنئة على نحو لا يليق، بالضبط كما فعلوا يوم حريق مجلس الشورى!

وقد مضى بعض الأشرار في غيّهم وقدموا تفسيرًا لجملة (ارمي ورا ضهرك يا فاروق).. تلك التي قالها السيد الرئيس لتعزية وزير الثقافة، وربطوا بينها وبين جملة شعبية تقول: (انسى وخُد البنسة). وأنا بصراحة من الممكن أن أفهم محاولة نسيان الإنسان لآلامه، لكني لا أفهم علاقة النسيان بالبنسة!

عمومًا الانتخابات انتهت، وللمرة الثانية على التوالي يفشل مرشح مصريّ في الفوز برئاسة اليونسكو. في المرة الأولى أخفق الدكتور إسماعيل سراج الدين في الحصول على المقعد، وفاز به (ماتسورا) الياباني. لكن الفرق بين إخفاق وإخفاق أن حملة سراج الدين لم تكلف مصر ودافعي الضرائب بها شيئًا، أما مشوار فاروق حسني فقد كلفنا أموالًا طائلة. وفي هذا يحضرني تعليق لأحد المحامين من أصدقائي على أمر شبيه وهو حكم الإعدام الصادر بحق هشام طلعت بعد أن دفع للمحامين مبالغ طائلة. قال صديقي: إن المحامي السوبر ستار الذي أحضروه قد لهف عشرين مليون جنيه، ومع هذا جلب لهشام حكمًا بالإعدام.. وأضاف: أنا كنت على استعداد أن أقبل مائة ألف جنيه فقط، وآتي له بنفس الحكم!

والحقيقة أننا في رحلة فاروق حسني من أجل المقعد لم نخسر أموالًا فقط، وإنما خسرنا أشياء لا تشترى بالمال.. خسرنا موقفًا محترمًا كان يحسب لوزارة الثقافة بعدم التطبيع مع إسرائيل، وذلك عندما مارس تطبيعًا كثيفًا متعدد الصور كعربون محبة مع الأعداء، وخسرنا النزاهة عندما توجه الوزير الفنان إلى باريس عقب مجزرة الإسرائيليين في غزة، وحرقهم الأطفال بالأسلحة الكيماوية، وهناك ألقى كلمة ندد فيها بمنتهى القوة بماذا؟.. بالجرائم التي تعرض لها اليهود في الحرب العالمية الثانية! وخسرنا الكبرياء عندما رجونا نتانياهوأن يرحم ضعفنا ويترك فاروق حسني في حاله! فهل بعد هذا كله يجوز أن نتحدث عن خشية إسرائيل من فاروق حسني الذي كان سيعرقل مخططاتها لتهويد القدس؟ وهل يجوز أن نتحدث عن المؤامرة التي دبرها الخونة للإطاحة بالفارس العربي!

أنا أستغرب محاولات رجال فستاكونيا العظمى الترويج أن أحدًا لا يمكن أن يعطي صوته لامرأة مثقفة نزيهة لا غبار عليها، وتجيد خمس لغات إلا إذا كان يضمر شرًّا لمصر. وهو نفس المنطق الذي تعودنا سماعه عند خسارة مباريات الكرة.. دائمًا تواطؤ الحكام ومؤامرات الاتحاد الإفريقي هي السبب في خروجنا من البطولات. والآن يتحدثون عن تسييس الانتخابات متجاهلين من هو الطرف الذي لعب سياسة من البداية للنهاية. لقد كنا نتباهى بأننا شكّلنا كتلة مؤيدة على أساس عرقي وديني!

والآن نبكي من الغرب الذي مارس التكتل والدهلزة مثلما فعلنا فهزمنا. إنني على استعداد لأن أسوق عشرات الدلائل على تعصب الغرب وعدوانيته ضدنا إلا هذه المرة. لقد انطلق الغرب في اختياره من حرصه على مصلحته بوسيلة ديموقراطية هي الانتخابات، فما لنا نرفض الاحتكام إلى الانتخابات إذا أدت إلى خسارتنا؟ وعندما نصم الغرب بالتعصب ضد العروبة والإسلام في معركة اليونسكو، فإننا بهذا نطلق نكتة بايخة، وكأننا قد دفعنا للانتخابات بالدكتور محمد سليم العوا أو المستشار طارق البشري وليس برجل قدم نفسه للغرب باعتباره من منح جائزة لسيد القمني المستهزئ بالعروبة والإسلام! إن نفس هذا الغرب هو الذي سمح لبطرس غالي باعتلاء مقعد الأمين العام للأمم المتحدة، وللبرادعي برئاسة وكالة الطاقة الذرية، وهو نفسه الذي انتخب الإفريقي المسلم مختار إمبو لرئاسة اليونسكومن قبل.

ومع هذا فإنني على استعداد أن أصدق أن الأمريكان وقفوا ضد فاروق حسني وحرضوا الآخرين على التصويت ضده لسبب أراه وجيهًا.. لقد أعلن فاروق حسني من قبل أنه لا يكترث لعدم تأييد أمريكا له ولا يحتاج إلى صوتها، وأظن أن مقتله كان في هذا التصريح، ذلك أن الإخوة الأمريكان الذين يعرفون الخريطة الإعلامية عندنا جيدًا (اللي ربّى خير من اللي اشترى) كانوا يعلمون ماذا سيحل بهم على صفحات جرائدنا إذا تراخوا وتركوا حسني يفوز، وأحسبهم بصراحة لم يكونوا مستعدين لرؤية صحيفة الأهرام وأسامة سرايا يكتب فيها غداة فوز وزير الثقافة المصري عن الصفعة التي وجهناها لأمريكا، والنجاح الذي حققناه رغم أنفها، ولم يكونوا ليقبلوا أن يكتب محمد علي إبراهيم عن حكمة الرئيس التي ردت كيد الأمريكان إلى نحورهم، ولا أن يكتب سمير رجب عن الرئيس الذي وعد فأوفى وأتى بالمقعد إلى فاروق، ولا أن يحكي ممتاز القط عن صينية البطاطس باللحمة التي حرم فاروق حسني منها نفسه، فقهر العم سام، وفاز برئاسة اليونسكو!

الدكتور سيد القمني والدكتور عصام شمورت

أثارت جائزة الدولة التقديرية التي منحتها وزارة الثقافة للأستاذ سيد القمني لغطًا كثيرًا بين أوساط المثقفين وغيرهم في المجتمع المصري. فما بين قائل بأن القمني هو إله التنوير عند المصريين الجالسين في قهوة البستان وبين قائل بأنه يستحق الرجم في منى والمزدلفة.

والحقيقة أن سيد القمني هو حالة بذاتها تستحق التفكير والتأمل. والحقيقة أيضًا أنني لست ذلك الشخص الذي يفكر في سيد القمني أو يتأمل في سيرته، لكن هناك شخص آخر هوالذي لا يكف عن تدوير أسطوانة القمني كلما قابلته. ذلك الشخص هو طيب الذكر الدكتور عصام شمورت بياع البرشام وصاحب كشك السجاير المجاور لقهوة كوكو بالهضبة الوسطى. ولعصام شمورت دقات جدعنة حفرت اسمه وسط مشجعي أبوصليبة بحروف من نور، منها أنه أول تاجر برشام يطهّر ماله ويزكيه بإذابة عشرين قرص كل طلعة شمس في الزير الذي يضعه سبيلا بجوار الكشك ويتركه للعابرين يروون ظمأهم منه، الأمر الذي جعل شعبيته ترتفع في أوساط السواقين الذين كسروا الزير أكثر من مرة أثناء تدافعهم للشرب منه. ولا يستغربن

أحد من أن يسبق اسم شمورت اللومانجي لقب دكتور، ذلك أنه حاز اللقب عن استحقاق ومن حر ماله ولم يتكرم به أحد عليه. ولئن كان سيد القمني قد حصل على الدكتوراه بمائتي دولار من جامعة كاليفورنيا الجنوبية، فإن الدكتور عصام شمورت قد حصل عليها من جامعة جنوب مقديشيو مقابل حلة محشي كاملة حصل عليها القراصنة الصوماليون الذين منحوه الدكتوراه! والحكاية أن شمورت كان ذات يوم على مركب تهريب يتسلم شحنة مخدرات من المياه الدولية عندما اعترضهم زورق مسلح عليه جنود صوماليون قاموا بسحب المركب، وأخذوهم رهائن. والثابت أن شمورت ورفاقه لم ينتظروا أن يتدخل الدكتور نظيف، ويفاوض الخاطفين، أو أن يتدخل أهل الخير ويجمعوا مبلغ الفدية بعد صلاة الجمعة، وإنما قاموا بافتداء أنفسهم بحمولة الكيف التي تخلوا عنها كاملة للقراصنة مقابل حريتهم، وعند الرحيل ترك عصام لهم حلة المحشي التي طبختها له أخته عواطف شمورت، وزودته بها قبل السفر. وإزاء حركة الكرم هذه لم يجد زعيم القراصنة سوى أن يكافئه بمنحه الدكتوراه من جامعة جنوب مقديشيو التي يشرف شخصيًّا بعمادتها.. ومن يومها وعصام شمورت يعلق الشهادة في الصالون. لكن الذي كهرب دماغ الدكتور شمورت وجعل نافوخه يشتعل هو أنه سمع أن صاحب دكتوراه مثل التي معه قد فاز بأرفع جائزة مصرية في العلوم الاجتماعية، ومعها مائتا ألف ذهوب صاحي. كذلك عرف أن الجهة التي رشحته للجائزة هي كوفي شوب في وسط البلد يقدم أحلى سحلب بالبندق، وهو ما أثار أطماع شمورت في أن تقوم قهوة كوكو بترشيحه في العام القادم للحصول على جائزة مماثلة، خاصة وقد أخبروه أن السادة الذين يمنحون أصواتهم للمرشحين أغلبهم موظفون إداريون، وبعضهم لم يقرأ كتابًا في حياته، وحتى المثقفون منهم لا يطلعون على الإنتاج العلمي للمرشح، والأهم أن أفقهم رحب للغاية، ولذلك لا يعنيهم إذا كان حاصلًا على شهادة مضروبة من عدمه، ولا يرون في شراء الشهادات المزورة ما يجرح نزاهة المرشح!

كل هذا كوم، والفرحة الأكبر التي عاشها شمورت عندما عرف أن الرجل قد فاز بالجائزة لأنه تطاول على دين المسلمين وتهكم على رسولهم، كذلك تطاول على دين المسيحيين، ووصف السيدة العذراء البتول بأوصاف مشينة! كانت فرحة شمورت طبيعية؛ لأن سب الدين كان جزءًا أساسيًّا من مفرداته في التعبير، والإقناع، وتبادل الحوار، ووجهات النظر مع أخته السيدة عواطف شمورت، وزوجها قدّورة. هذا وقد أعرب عصام عن ضيقه من السادة الذين هاجموا الرجل ويريدون سحب الجائزة منه، ولم يكتفوا بذلك وإنما حصلوا على فتوى من دار الإفتاء تدين الرجل وتستنكر حصوله على الجائزة، وأدرك بفطرته الملوثة أنهم بالضرورة من أنصار الظلام أعداء الإضاءة والكهارب والزينات، ولكن أعجبه موقف بعض المفكرين الأقباط الذين يحبون القمني، ويحتفون به وبآرائه العلمية عن وحشية الإسلام وبربرية أصحابه.. أعجبه موقفهم عندما ووجهوا بأن القمني كتب عن السيدة العذراء مريم الطاهرة البتول أنها منذورة للعهر المقدس، وأسعده أنهم ترفعوا عن الغوغائية، واتخذوا موقفًا استناريًّا كلوبَّاتيًّا يحفظ للدولة المدنية كيانها، وقالوا: لا نستطيع التعليق على هذا الكلام؛ لأننا لم نقرؤه! ورفض عصام شمورت الكلام الفارغ القائل بأنهم كانوا سيغفرون ليوسف زيدان رواية عزازيل التي

أغضبتهم لو أنه كتب إلى جانبها بضعة أشياء لطيفة عن تزوير الإسلام، ووحشية نبي الإسلام كما فعل القمني.

والآن، هل هناك من يساند الدكتور عصام شمورت في سعيه المشروع لنيل جائزة الدولة التقديرية للعام القادم؟ وهل إذا تخلت عنه قهوة كوكو نتيجة حزازيات قديمة ولم تقم بترشيحه.. هل يستطيع الاعتماد على كيانات ثقافية أخرى في وسط البلد مثل قهوة ريش والجريون والنادي اليوناني واستوريل وأفتر إيت؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

فاروق وسيد وبينهما طازج

نشرت صحيفة الشروق حوارًا مع الوزير فاروق حسني قال فيه: (إن وجود مزارات لليهود في مصر يحمل فائدتين: الأولى رسالة للعالم أننا دولة متحضرة، والثانية فائدة اقتصادية بحتة تأتي من توافد سياح يهود من كل دول العالم إلى مصر). وبسؤاله عن احتفال اليهود بمولد أبوحصيرة في مصر، قال الوزير الفنان: (وماذا يمنع أن نستثمر أوهامهم لصالحنا، هناك ناس في قرية ديميتوه حيث يقع ضريح أبوحصيرة قالوا لي يا باشا خليهم ييجوا، إحنا بنسترزق منهم). واختتم كلامه قائلًا: (يجب أن أستفيد من وهمهم.. إذا كانوا دهاة فلا بد أن نكون أكثر ذكاء ودهاء منهم).

وقبل يومين من تصريح فاروق نشرت صحيفة الراية القطرية عن سيد القمني دعوته الحكومة المصرية إلى إنشاء كعبة بسيناء لكل الأديان؛ ليحج إليها الناس من جميع الملل والنحل من شتى بلاد العالم، ليس في وقت محدد من السنة وإنما طوال العام وبشكل لا ينقطع وذلك حتى يتم قطع السبيل على بيت الله الحرام في مكة المكرمة.

قد يلاحظ القارئ أنني نقلت ما قرأت على لسان فاروق وسيد دون أن أبدي دهشة، أو أضع علامات تعجب، ذلك أن ما طرحاه من أفكار قد وقع مني موقعًا طيبًا ولقي تأييدي ومباركتي، ولهذا فلا يعتقد أي قارئ أنني قد أسمح له بأن يصدر أي أصوات إسكندراني وهو في حضرة هذا المقال الجليل الذي يتحدث عن أفكار قوية تتعلق بقرطسة البشر بعد دهنهم مرهم عن طريق استغلال ميلهم الفطري للأديان والإيمان بالغيبيات، خاصة أن هذه الأفكار النبيلة التي طرحها فاروق وسيد تتعلق بهدف رفيع هو ملء الخزانة المصرية الفارغة التي نحت منها أبوالسيد ٢٠٠ ألف أهيف بتوقيع الوزير الفنان نظير أفكار مثل هذه وضعها في كتب!

والحقيقة أن فكرة الكعبة الموازية هذه فكرة لطيفة للغاية لا تصدر إلا عن شخص لطيف مثل سيد، لكن عليه أن يتدارك في مشروعه الجديد الأشياء غير الموجودة بكعبة المسلمين في مكة، مثل ضرورة أن يقيم بجوارها فسقية يعوم فيها البط، ويفد إليها العشاق ليلقوا بها العملات المعدنية ويتمنون أمنية حلوة، ومثل ناد ليلي لتسلية الحجيج وإسعاد أيامهم ولياليهم، كذلك صالة بلياردو وترابيزات بنج، ومحل فاهيتا لأجل مؤمني المكسيك الذين سيأتون للحج عندنا، وطبعًا كازينو قمار حتى نقوم بتشليح السادة الزوار إلى آخر فلس!

ويبقى أن مشروعًا دينيًّا مثل هذا سيحتاج بالضرورة إلى أنبياء من أجل الدعوة للكعبة الجديدة، ولا أظن أن هذا الأمر يمكن أن يفوت أبوالسيد، وربما يقوم في الوقت الحالي - وبدون شوشرة - بإعداد كوادر تحت إشرافه تصلح لأداء المهمة.

ولوقال قائل إن الوزير الفنان والأستاذ الفنان لا يؤمن أي منهما بالأوهام التي يهيأ المسرح لها، فليس في هذا ما يعيبهما؛ لأنهما يفكران في مصلحة مصر التي نسيها الجميع ما عدا سيد وفاروق. وهما صحيح يريدان أن يمارسا البكش في أوسع

صوره، والأونطة في أنصع أشكالها، لكن من أجل جلب عملة صعبة للوطن من جيوب أعداء الوطن. ولا ننسى أن الأستاذ فاروق قال: (لو كان أحد ضد الصهاينة فهوأنا) ومع ذلك فهو يريد أن يستثمر أوهامهم وإيمانهم بأبوحصيرة وأبوسجادة ليأتي لنا بالمال. وكذلك أبوالسيد الذي يعرفه الناس متهكمًا على الأديان ومستهزئًا بالأنبياء والرسل، وها هو من أجل عيون مصر يريد أن يبني كعبة للمؤمنين العُبط مستغلًّا تدهورهم الذهني وتعلقهم بالأوهام كوسيلة للحصول على فلوسهم، وكذلك لمنافسة الكعبة الأخرى التي يكرهها بشدة، تلك الواقعة في مكة عند السعوديين.. فهل هناك حب للوطن أكثر من هذا؟ وهل هناك أفكار طازجة تضاهي هذه؟ ومن يدري.. ربما فكر أصدقاء سيد وفاروق من المسئولين الكبار عند أي زنقات قادمة في بيع الكعبة الجديدة، ومعها أضرحة اليهود لمستثمر رئيسي.. أو منحها للوليد بن طلال؛ ليقوم بتسقيعها!

آه يا ولاد اللذيذة!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

الأستاذة وأزواجها الأربعة

قرأت الأسبوع الماضي مقالًا طريفًا بالمصري اليوم كتبته امرأة طلبت فيه الزواج من أربعة رجال.

أثار المقال دهشة البعض وامتعاض البعض الآخر. والحقيقة أن دعوتها المجتمع أن يسمح لها بالاقتران بأربعة رجال، ومعاشرتهم جنسيًّا لم يثر في داخلي دهشة ولا امتعاضًا، وذلك بسبب أن هذه الأنواع من الكتابات التي تعمد إليها بعض النسوة ممن تمور الهرمونات داخلهن ضاغطة على الأعصاب، فتفقدهن التوازن؛ لا تشغلني ولا أحفل بها وقد قرأت منها الكثير، ولم أجد بها ما يستحق المناقشة؛ لأنهن في الغالب لا يعنين ما يقلن، وإنما يرغبن فقط في إثارة الغبار والإيحاء بوجود قضية يناضلن من أجلها، في حين أن الأمر لا يعدو حدوتة تقليدية عن امرأة سبايسي تفترسها الرغبة وتخرجها عن طورها فيعلو صوتها بالصراخ، وهن في الأساس لا يكتبن لنا وإنما أعينهن دائمًا على جهات في الغرب يحلمن باعترافها ويرجون جوائزها، ويسعين للحديث عن مجتمعاتهن العربية والإسلامية بالشكل الذي يرضي الأسياد. الأمر الذي يترتب عليه دعوتهن إلى بعض الجامعات وإلقاء محاضرات بها! كذلك نشر كتاباتهن الساذجة وترويجها على أكبر نطاق ما دامت تنال من الإسلام وتزري بالمسلمين.

وهن من خلال الكتابة يردن إشراك الناس في حالة خاصة تتعلق بطلباتهن ورغباتهن ولا تهم أحدا. والمشكلة أنهن لا يكتفين بتلبية تلك الطلبات، وهاتيك الرغبات في صمت كما تفعل الكثيرات، وإنما يردن أن يفعلن ذلك في وجود شهود، منهم الساخط اللاعن ومنهم الراضي المنتظر لنصيبه في اليغمة!

وبالتجربة اكتشفت أن هاتيك النسوة في الغالب ينعمن بالفراغ ودعة العيش، ويعانين الترف الزائد الذي يقود للملل والرغبة في تجربة كل شيء، وعليه لا يصح أن نسمح لهن بأن يشغلننا ويحرفن انتباهنا عن مصائب أوطاننا ودكتاتورية حكامنا وأعدائنا المتربصين على الأبواب؛ لأننا حتى لو فرضنا جدلًا أهمية القضية المعبأة بالجنون وسمحنا للأستاذة أن تتزوج من أربعة رجال حتى تهدأ وتشعر بأنها تعيش في مجتمع عادل، فمن يضمن لنا أنها لن تعود بعد فترة وتطلب أن نسمح لها بأن تتزوج أربعة نساء هذه المرة؛ لأنها شبعت من الرجال.

وللعلم فإن فتيات الليل اللواتي استشهدت بهن الكاتبة للتدليل على أن المرأة تستطيع أن تنام مع عدة رجال في اليوم الواحد.. هؤلاء الفتيات يفعلن ما يفعلن دون ثرثرة فارغة ودون ادعاء بأن ما يفعلنه تكمن وراءه أفكار عميقة وفلسفات غويطة.. أما الكاتبات الحداثيات الملتهبة أشياؤهن، فيحاولن تصوير الرغبات الجامحة على أنها وليدة حكمة وتأمل ونظريات جديدة يدعون الناس لاعتناقها!

ولا أعرف لماذا يجنح البعض إلى محاولة استقطاب الآخرين لما يؤمن به، ولا يمارسه وحده في هدوء؟ هل لأن الإنسان يسعى دائمًا لأن يستدفئ بغيره، ولا يكون وحيدًا خصوصًا لوكان ما يدعو إليه شديد الغرابة وبالغ الشذوذ!

تقول الكاتبة: لماذا لا يسمحون لي بأن أتزوج أربعة؟ والإجابة: وهل نملك أن نعترض إذا تزوجت عشرين؟ من حقك أن تفعلي بنفسك وبجسدك ما تشائين.. فقط افعليه في هدوء مثلما تفعل آلاف النساء ممن يستمتعن بالخيانة ويرفلن في نعيم الرذيلة، ولا تشركينا في الأمر لأنه لا يعنينا، ولا تحاولي إقناعنا بروعة التنقل بين أحضان الرجال لأننا لا نراه شيئًا رائعًا، كما لا نرى تنقل الرجال بين أحضان الغواني والمحظيات شيئًا رائعًا أيضًا. إن الكاتبة تنطلق من فكرة خاصة بها وتحاول أن تجعل منها قضية العرب أجمعين وتندهش من معارضة الرجال والنساء على السواء لأفكارها، وهي لا تدري أن عشرات الملايين من الشباب العربي لا يستطيع الواحد منهم الزواج من فتاة واحدة بسبب الفقر والعوز، وحتى متوسطو الحال لا يحلم الواحد منهم سوى بأسرة صغيرة وبيت صغير، وليس كل الأغنياء ماكينات جنس كما تتوهم الأستاذة.. فأين هم اليوم هؤلاء الرجال السلاطين الذين تحكي عنهم، وتغار منهم ومن قدرتهم على التمتع بالتنوع في ممارسة الجنس وتتمنى أن تحذو حذوهم. إن المقال سالف الذكر لا يعدو أن يكون صفحة من مذكرات إيفا التي كنا نتناقلها في سرية ونحن في المدرسة الثانوية أو أحد كتب الأستاذ خليل حنا تادرس التي كانت تملأ فرشات بيع الكتب بوسط البلد وتمثل الزاد الثقافي للشباب الخرمان الذي تعتصره التخيلات، وتفترسه الأحلام الحمراء. أما تصوير الأمر على أنه قضية حقيقية تحتاج للمناقشة من أجل هز المجتمع الخامل وإيقاظه من سباته كما حاول الذين أثنوا على الكاتبة أن يقنعونا فهو هراء لا يقول به سوى من حلموا بأن يكونوا من ضمن حريم الأستاذة.. أقصد من بين رجالها الذين ستضعهم في الحرملك وتتداولهم تباعًا. ولا أظن الكاتبة قد فكرت في نوعية الرجال الذين قد يستجيبون لهذا النوع من العروض، ولا أظنها تحفل بأن أحدًا منهم لن يكون رجلًا حقيقيًّا وإنما سيكون السادة أزواجها الذين سيمنحونها الدلال الذي تحدثت عنه.. من ذوي القرون الطويلة!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريكيكو.. لا تلمْني

الذين تهكموا على عقوبة اللوم التي تلقاها نائب مجلس الشعب بعد أن طالب بإطلاق النار على شباب مصر الذين يخرجون للتظاهر مطالبين بالحرية والديموقراطية والعدل، لم يفهموا أن هذه العقوبة هي في الواقع شديدة القسوة والمضاء وليست عقوبة هينة لينة كما يتصورون.. وللدقة قد تكون عقوبة بسيطة فقط إذا كان من توجه له شخصًا من النوع الحلّوف، جبان عديم الإحساس يتمتع بجلد خنزير، أما إذا كان إنسانًا حساسًا رقيقًا مثل سيادة النائب فإن هذه العقوبة تكون بالنسبة له أشد قسوة من أي طلقة خارقة حارقة طالب سيادته باستقرارها في صدور أبنائه الطلبة والطالبات!

وفي اعتقادي أن الذين اهتموا بالعقوبة الواقعة على النائب لم يسأل أحدهم نفسه: وكيف يكون هذا اللوم؟ بمعنى آخر: لقد عرفنا أن الرجل سيوجه إليه اللوم ولكن لم يخبرنا أحد عن شكل هذا اللوم.. والعبارات التي صاغت العقوبة، ولم يقل لنا أحد هل الذي لامه هوالدكتور فتحي سرور رئيس المجلس فقط أم اشترك في اللوم وكيلا المجلس وزعيم الأغلبية.. كذلك لم نعرف هل سُمح لأعضاء المعارضة والنواب المستقلين أن يشاركوا في اللوم أم أن اللائحة تجعل حزب الأغلبية وحده صاحب الحق في تنفيذ العقوبة! وتساءل البعض: هل اشتركت سيدات المجلس في لوم النائب كأحد أشكال تمكين المرأة أم اقتصر الأمر على النواب الذكور فقط؟!

وبسبب غياب إجابات قاطعة عن الأسئلة السابقة فإن حالة الغموض التي أحاطت بالموقف قد فتحت الباب للخيال وللتكهنات التي ربما لا تكون دقيقة.. فمثلًا هناك من قال إن اللوم اشترك فيه طابور طويل من الأعضاء وقفوا صفًّا واحدًا وأقبلوا بالدور على السيد النائب وكلما وقف أحدهم قبالته رسم على وجهه أحد أشكال الامتعاض أو لوى شفته أو أشاح بوجهه ثم قال له جملة تحمل معنى اللوم.. كذلك حتى انتهوا جميعًا وبعدها كان النائب قد نال جزاءه وفتح صفحة جديدة في تاريخه النيابي.

من الجمل القاسية التي تردد أنها وجهت للرجل وشارك فيها الرجال والنساء من كل التيارات والأحزاب جمل من عينة:

- إخص عليك يا سونة.. كده برضه؟

- ما كانش العشم أبدًا.

- آخر حاجة كنت أتصورها منك.

- ليه عملت كده.. ناقصك إيه؟

- أقول إيه لأصحابي.. لو عرفوا؟

- على العموم كتّر خيرك.

- يا سم كده!.. (امرأة تسعى للتمكّن).

- ليه بس يا ابني؟

- ربنا يسامحك.

- منك لله.. منك لله.

- إنت نبيه وكويس.. لكن أقول إيه؟!

- كنت عارف إن ده ح يحصل.

- ما فكرتش في اخواتك؟

- لا حول ولا قوة إلا بالله!

- يعني عاجبك الموقف ده؟

- تصدق بالله.. أنا مش لاقي حاجة أقولها!

- يا خسارة!

- حرام عليك يا شيخ.

- أنا زعلان.. حقيقي أنا زعلان.

- ممكن ما تعملش كده تاني؟

- نهيتك ما انتهيت والطبع فيك غالب.

- إوعدني إن دي أول وآخر مرة.

- ياما قلت لك لكن ماسمعتش كلامي.

- الحجر الداير...

- دول اللي كنت عاوز تضحكنا عليهم.. اللي ما في حد ما أعجبش بيهم (من فيلم ليلى بنت الأغنيا).

كانت هذه عينة من الجمل التي تردد أنها قيلت وواجه بها النواب زميلهم لتنفيذ عقوبة اللوم، وهي كما ترون محرجة وقاسية، لكنها في الحقيقة كانت ضرورية لإجهاض المخطط الذي رسمه بعض النواب إذا ما مرت مسألة ضرب المتظاهرين بالرصاص بسلام.. وكانت الخطوة التالية هي قصف المتظاهرين بصواريخ سكود!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

متلازمة كوكي

على الرغم من أن عقوبة اللوم التي نالها نائب الطلقات النارية قد حظيت بقدر عظيم من التهكم من جانب الناس، إلا أن القريحة المصرية لا تتوقف عن الجود بالأفكار التي يمكن دراستها وتمحيصها لوضع المفيد منها موضع التنفيذ.

على سبيل المثال هناك من القراء من طلبوا مني أن أطرح مجموعة من الأساليب العقابية التي تأخذ بها بعض البرلمانات في أوربا والدول المتقدمة كعقوبة الحقد مثلًا! والحقد أنواع منه السطحي ومنه الدفين، ويمكن التعامل مع الحالات الجانحة بالتدريج فنبدأ بالحقد السطحي وهو أن يصعد المتهم سطوح البرلمان ومعه السادة الذين سيطبقون العقوبة بحقه ثم يأخذون في الحقد عليه لمدة ثلاث ساعات في الشمس حتى يثوب إلى رشده ويعرف أن الله حق، ولكن بعض الفقهاء القانونيين أفتوا بأن هذه العقوبة تنال أيضًا ممن ينفذونها بتعرضهم لأشعة الشمس مع المتهم، ومن هنا أتى الاقتراح بالانتقال إلى الحقد الدفين الذي يتم في قبو المجلس بعيدًا عن حرارة الشمس!

وفي الحقيقة لا أدري إذا كان موضوع الحقد هذا موجود فعلًا أم أن بعض القراء يعابثونني ويسخرون مني لعلمهم بطيبة قلبي وتصديقي لكل ما أسمعه. لكن ما أنا أكيد منه أن اللوم كعقوبة موجود بقوة في برلمانات شرق المحيط الهادي وجزر البحطيطي، ويجدر هنا أن نروي القصة الحقيقية للوم تلك التي يتحرج الناس من روايتها بدون سبب مفهوم.. عقوبة اللوم لم تأت وحدها من فراغ ولم تكن منقطعة الصلة بمجموعة من أخواتها، بل إنها متلازمة واحدة على شكل عقد وتعرف في الغرب ب- (متلازمة كوكي) وهي لا تأتي فرادى، فاللوم إذا لم يصلح ناهيًا عن السلوك السيئ يجب أن نتبعه دون تأخير أو على الأقل نمزجه بشيء من العتاب، فإذا لم تكن النتيجة مرضية تعين الانتقال لمرحلة أعلى وهي المكاشفة أي أن يقوم الأعضاء بفضح العضو على الملأ ويحكون للناس عن عمليات النصب التي قام بها والشيكات بدون رصيد التي تورط فيها، لكن يعيب المكاشفة أنها سلاح ذو حدين، ذلك أن المتهم قد يقوم هو الآخر بالمكاشفة ويحكي عن كل شيء وهو الأمر الذي لا يحتمله زملاؤه! وفي حالة فشل المكاشفة هنا تكون عقوبة الخصام حتمية وهي عقوبة رآها بعض القراء أكثر قسوة من اللوم والعتاب والمكاشفة حيث إنها تتضمن إجراءات تأديبية في حق من تتخذ ضده، كأن نأكل بدونه وندعه يأكل وحده ومثل أن نحرمه من خروجة يوم الجمعة أو نمنع عنه المصروف لمدة تتراوح بين أسبوع وأسبوعين.

ثم تتوالى بعد ذلك الوسائل العقابية، ولا بد من التذكير بأهمية تناسبها مع حجم الجرم، فمن لم يردعه اللوم والعتاب ولا أثر فيه الخصام ولا أدبته المكاشفة ممكن أن ينصلح حاله من خلال الصد.. والصد لمن لا يعرف هو أن تعرض عمن يحبك ولا تلقي إليه بالاً.. أحيانًا يكون الصد مصحوبًا بالدلال ولكنه قد يأتي أيضًا في صورة جافة خالية من المرطبات حتى يكون أكثر نجاعة وأقوى تأثيرًا. وأخيرًا بعد أن نكون قد استنفدنا كل الوسائل المعروفة نأتي إلى العقوبة الأخيرة في متلازمة

كوكي والتي لم نكن نحب أن نصل إليها أبدًا، ألا وهي الهجر في المضاجع.. ولتلك حديث آخر فابقوا معنا!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

رجال شمورت

يد الله في يدنا أجمعين

تصُب الهلاك على أم اسماعين

(عواطف شمورت)

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

قدّر الله وما شاء فعل

ذهبت أبحث عن فني لإصلاح الدش الذي تعطل، فوصف لي أولاد الحلال كهربائي على ناصية الشارع. توجهت إليه وشرحت له الموضوع. قال لي بلهجة جدية: قدّر الله وما شاء فعل. هززت رأسي موافقًا، وانتظرت أن يتحرك معي، لكنه بقي داخل الدكان وكأنني لست موجودًا. اضطررت إلى تنبيهه إلى أنني أقف في انتظاره. رد بأنه لن يستطيع أن يأتي معي قبل صلاة العصر. نظرت إلى الساعة فوجدت أن موعد أذان العصر يأتي بعد حوالي ٤٥ دقيقة. عندما قلت له هذا قال: قدر الله وما شاء فعل! قلت له في دهشة: قدر الله وما شاء فعل إزاي يعني!.. أنا أحدثك حديثًا لا يحتمل الرد بهذه الجملة التي أراها خالية من المعنى في هذا السياق. رد في هدوء: بعد الصلاة أذهب معك، ثم قدّم لي كرسيًّا لأجلس عليه. جلست عنده أقرأ الجريدة، وأنا لا أفهم لماذا يضيع الوقت بهذا الشكل، حتى اقترب موعد الصلاة فذهبت معه للزاوية المجاورة، وفوجئت بأنه هو من يؤذن للصلاة. استفزتني جدًّا طريقته في الأذان التي تشي بجهل وعدم قدرة على فهم ما ينطق به. بدأ الأذان قائلًا: أشهد أنّ لا إله إلا الله. لم أفهم كيف سمحت له نفسه أن ينطق النون مشددة مع أن أي طفل يعرف أنها لا بد أن تنطق ساكنة، وأدهشني بعد الصلاة أن السادة المصلين ومنهم الطبيب والمهندس والمحامي والضابط كانوا يتعاملون مع هذا الكهربائي الجاهل بإجلال لا يستحقه، كما لوكان فقيهًا عظيمًا لمجرد أنه لا يكف عن ترديد جملة تقول: (قدر الله وما شاء فعل) بمناسبة وبدون مناسبة!

بعد الصلاة تعطف عليّ وحضر معي إلى البيت. عنّ لي أن أسأله عن اسمه فأجاب: إبراهيم إن شاء الله! لم أستطع أن أمسك نفسي من الضحك، وقلت له: إبراهيم إن شاء الله يعني إيه؟ يا حبيبي أنا لا أسألك عن شيء تنوي فعله في المستقبل.. أنا أسأل عن اسمك، ولا يخالجني شك في أن الله قد شاء بالفعل أن يكون اسمك إبراهيم! نظر إليّ في دهشة، ووشى وجهه بغضب بدأ يعتمل في نفسه. وجدت في نفسي إصرارًا على أن أعرف إذا كان قد فهم ما أقول أم لا، فأعدت عليه الكلام مرة أخرى وشرحت له أن (إن شاء الله) هذه تستعمل في الحديث عن المستقبل لا عن الماضي. رد في تهكم: يعني حضرتك زعلان بسبب ذكر اسم الله؟ قلت له في فزع: يا نهار اسود ومنيّل.. هل هذا هو ما فهمته من كلامي؟! ثم أدركت عبث ما أفعل، وقررت ألا أستمر في الحديث معه. طلب مني قلمًا، فسحبت القلم من جيبي وأعطيته له. بعد أن عاين السلك نظر نحوي في هدوء وقال: ثمانون جنيهًا إن شاء الله. قلت له: لقد قام العامل منذ شهرين بتركيب الدش كله بخمسين جنيهًا وأنت تطلب ثمانين جنيهًا في لحام سلك متآكل؟ قال بنفس الهدوء: مهمتي تتحدد في عمليتين: الأولى هي الكشف على الطبق، والثانية هي ربط السلك المقطوع بشريط اللحام والعمليتان تتكلفان ثمانين جنيهًا، فإذا وافقت أكملت العمل، وإذا لم توافق فادفع لي أربعين جنيهًا قيمة الكشف! شعرت بغضب من هذا الإنسان الهادئ الذي يسرقني وهو يردد جملًا خالية من المعنى يظن لها علاقة بالدين. لم أدر ماذا أفعل، لكنني في النهاية قررت الموافقة حتى لا أضيع المزيد من الوقت مع شخص لا يفرق معه الوقت. أخذ يصعد إلى السطوح ويهبط ويقص في السلك قطعة من هنا

وقطعة من هناك حتى لم يعد السلك يصل إلى الشقة، ثم أعلن لي وهو في حالة سعادة واضحة ضرورة شراء سلك جديد. لمح الغضب في وجهي، فقال لي جملته الأثيرة: قدّر الله وما شاء فعل. قدّمت له نقودًا وأنا أجز على أسناني ورجوته أن يحضر السلك سريعًا حتى تنتهي هذه الليلة على خير. طلب مني من خلال ابتسامته أن أبعث أحدًا آخر لشراء السلك؛ لأنه على حد قوله فني إصلاح وليس صبي مشاوير! اجتاحني شعور بالغضب وأحسست أنني أتعرض للتلاعب بي على يد شخص جاهل وخبيث ولص لا يجتهد حتى في تحسين أدواته، ويعتمد اعتمادًا كليًّا على حالة الخور العام التي أصابت الجميع، وجعلتهم يتعاملون مع هذا الفسل باعتباره من أولياء الله الصالحين مع أنه لا يحسن قراءة آية قرآنية، وشعرت بحسرة على مصر عندما تصورت موقف الناس مع الأشرار المحترفين الذين يحسنون الكلام على عكس هذا الولد، وكيف أنهم يعتبرون المشعوذين ومفسري الأحلام هم الصواريخ التي ستحملهم إلى الجنة! أخرجت له ٤٠ جنيهًا وقلت: خذ قيمة الكشف يا دكتور، وانصرف بسرعة من هنا لو سمحت، ثم أغلقت وراءه الباب.

بعد ثوان اكتشفت أنه رحل، ومعه قلمي الغالي فجريت وراءه ولحقته أسفل العمارة. طلبت القلم، فأنكر وجوده معه، وأكد أنه أعاده لي، ثم اقترب مني وربّت على كتفي في حنان أبوي وهو ينظر في عيني قائلًا: قدّر الله وما شاء فعل!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

تلبيس الأتـّوح في تهريب ممدوح

قال صديقي المتشائم:

قد مر عامٌ يا سعاد وعام. وابن الكنانة في حماه يضامُ

صبوا البلاء على البلاد فنصفهم. يجبي البلاد ونصفهم حكامُ

أكملت لصديقي قصيدة حافظ إبراهيم في بيتها الأخير وقلت:

ودعا عليك الله في محرابه. الشيخ والقسيس والحاخامُ

لكن ما مناسبة هذه الأبيات يا صديقي، وعلى من تدعو يا رجل؟ قال: المناسبة هي مرور عام وعام وعام على ملحمة ممدوح إسماعيل البحرية التي وقعت أحداثها يوم ٣ فبراير ٢٠٠٦ في البحر الأحمر بين فريق مكون من أسماك القرش المفترسة ومياه البحر الطائش ومعهم ممدوح من جهة، والفريق الآخر مكون من ركاب السفينة السلام٩٨.. وقد انتهت الموقعة بانتصار ممدوح إسماعيل على شعب مصر وإغراق السفينة في قاع اليم ومصرع ١٠٣٣ من ركابها غير ٢٦٨ من الجرحى. سألته: وعلى الجانب الآخر.. كيف كانت الخسائر؟ قال: في هذه الموقعة لم يلحق بالطرف المنتصر أي خسائر، لقد قبض مبلغ التأمين عن مركبه الخردة وقام باقتسامه مع أصحابه الحلوين، وسافر إلى لندن؛ ليريح أعصابه من عناء الموقعة. قلت: لكن الرجل تم تقديمه للمحاكمة وقد قضت ببراءته، وحُكم المحكمة كما نعرف هو عنوان الحقيقة. قال: هل تقصد أن تقلل من حجم انتصار ممدوح إسماعيل صاحب الضربة البحرية الأولى التي جعلت المصريين طعامًا للأسماك؟ قلت: أنا لا أقصد أن أقلل من حجم الإنجاز، فالرجل ينتمي إلى حزب وشلة مشهورة بالإنجازات وهو سائر على درب صحابته الذين أهلكوا الزرع والحرث، وأطعموا الناس الحمير البرازيلي! قال مفزوعًا: هل الحمير اللي يأكلها الناس في ساندوتشات الشاورمة والكبدة والشيش طاووق هي حمير برازيلي؟ قلت: نعم يا صاحبي برازيلي مثلجة. قال مغتمًّا: وأنا الذي كنت أحسبها حمير بلدي وآكل منها وأنا مطمئن! قلت: لا تخدعنك المظاهر ولتعد بي إلى سيرة الحبيب ممدوح.. أراك غاضبًا على الرجل الذي برهن على حكمة ومهارة بالغتين، فقد أغرق المركب وقبض التأمين وحصل على البراءة وسافر من مطار القاهرة واستقر في لندن.. ألا تستحق سيرته أن تدرس حتى تتعلم الأجيال القادمة كيفية تحقيق النجاح. إنّ كتب التنمية البشرية التي تتحدث عن كيف تحقق النجاح وتصير من نجوم المجتمع أو كيف تصبح مليونيرًا وصديقًا للكبار، أو الكتب التي تتحدث عن كيفية إدارة الأزمات والخروج منها مثل الشعرة من الأطاطة.. كل هذه الكتب يجب أن تستلهم سيرة ممدوح، وتتمثل القيم التي آمن بها، والتراث الذي أخلص له والحِكم التي اهتدى بهديها حتى حقق كل هذا النجاح في فترة وجيزة بدأت بصداقته بالسعداء، فنشروا عليه من سعادتهم، وفرشوا له المظلة التي وقته شر النار والحرور والبرد والزمهرير. قال صديقي: أكثر ما يثير دهشتي في سيرة ممدوح هو قصة خروجه.. هل تعرف بالضبط كيف خرج؟ قلت: لا أزعم بالضبط أنني أعرف كيف خرج، لكن

المتداول أنه عبر البرزخ الفاصل بين سجن وادي النطرون، وبين فندق الريتز كارلتون في لندن، وهذا البرزخ يقع في صالة كبار الزوار بالمطار، وهناك رسوم لعبور البرزخ يتعين دفعها قبل السماح بالمرور، والرجل للحق قد سدد كل مستحقاته، ولم يبق عليه مليم واحد لجنس بني آدم، ومن يزعم أنه مر دون أن يدفع إما حاقد أو موتور. هذا، وقد أخرج هذا البرزخ من قبل مجموعة من أنبه أبناء مصر الذين انتشروا في لندن وباريس ومونتريال ومعهم الفلوس، ولكن ميزة ممدوح عليهم جميعًا أنه صاحب ضربة بحرية كبيرة رفعت رأسه وسط سارقي البنوك في الخارج! قال صديقي: أنت ساذج ولا تعرف شيئا عن الحقيقة! قلت في دهشة: وهل الحقيقة تختلف عما قلت؟ ألم يدفع ممدوح رسوم عبور البرزخ؟ قال صديقي: بلى لقد دفع، ولكن الفلوس ليست كل شيء، هناك شيء أهم من الفلوس. قلت: ما هو؟ قال: الأتّوح! قلت: ماذا.. ما هو هذا الأتوح؟ قال: هو جهاز متطور يعمل على إيقاف الزمن اخترعه أصدقاء ممدوح، وهو يحتاج إلى طاقم لتشغيله. قلت: ماذا يفعل بالضبط؟ قال: بنفس الطريقة التي يقوم فيها الطبيب بتدليك البروستاتا لمريضه بينما يضع يديه على كتفي المريض! هل تذكر أن قرارًا قد صدر بمنع ممدوح إسماعيل من السفر؟ قلت: نعم، وأذكر أيضًا أن القرار قد صدر بعد أن أقلعت الطائرة، وصار ممدوح في الجو. قال: هذا هو بيت القصيد.. إن جهاز الأتوح يطلق ذبذبات موصولة بالرقم القومي وبهذا تصل لعموم المصريين، ويتم تلبيس المصريين الأتوح بالضغط على زرار في الكونترول رووم، فيتوقف الزمن ويصدر القرار بمنع ممدوح من السفر في نفس لحظة تلبيس الأتوح فيعبر ممدوح في الأمان، ثم يعود الزمن إلى دورته الطبيعية فنكتشف أن بطل الملحمة البحرية خارج الديار، وأن أحدًا لم يقصّر في منعه من السفر، واللوم لا يقع على ممدوح، بل اللوم كل اللوم على... الأتّوح!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

عم الأشاوس.. وخالهم!

الوزير الفنان أحمد أبو الغيط والفنان عادل إمام وجهان لعملة واحدة، ويتحدثان بلسان واحد هو على الأرجح لسان العصفور. والعصفور الذي يتحدثان بلسانه يجيد القيام بدور الأسد على الشقيق الضعيف ويتصنع الخرس عندما يأتي استحقاق مواجهة العدو الشرس.

سبق لأحمد أبو الغيط أن توعد بأن يكسر رجل أي فلسطيني يعبر الحدود إلى داخل مصر وهو الذي لم يفتح فمه والطيران الإسرائيلي يدك رفح المصرية، والآن يطلق رعوده ويعلن رفض مصر استقبال أي قوافل إغاثة إلى غزة مستقبلاً! المضحك في تصريح الحاج أحمد أن هذا هو موقف مصر الطبيعي طوال الوقت ولم يطرأ عليه أي تغيير! أم تراه يريد أن يقنعنا بأن طريق قافلة شريان الحياة كان مفروشًا بالحرير لكن سلوك جالاوي الشرير هو الذي جعل مصر تسحب حنانها الاستراتيجي؟

والأستاذ عادل إمام شاهدته بالأمس في التليفزيون يرغي ويزبد ويتوعد الأعداء وهو يتحدث عن الشهيد المصري الذي قضى على الحدود في رفح وعن وجوب الثأر له!

بالطبع كلنا نريد أن نثأر للشهيد المصري ولا نريد لدمه الزكي أن يضيع هدرًا، لكن عندما يأتي هذا الكلام من عادل إمام فإننا من الصعب أن نصدقه.. لماذا؟ لأن الأستاذ الذي يحلو لصهبجيته أن يلقبوه بالزعيم كانت لديه بدل الفرصة عشرة لينصب نفسه ملكًا للأشاوس.. منها عندما قتل جندي إسرائيلي حقير الطفلة سماح نايف داخل حوش بيتها في رفح المصرية منذ شهور برصاصة في الرأس، ومع ذلك ضيع الفرصة لأن صوته على ما يبدو كانت به بحة فلم نسمعه، وكانت لدى أبو الغيط أيضًا نفس البحة! وقبل مقتل سماح بشهرين قامت إسرائيل بإطلاق النار داخل الحدود المصرية فأردت جنديين مصريين، ووقتها لم نسمع صوت الزعيم الذي تحلى بالحكمة وغلب صوت العقل ومثله فعل الوزير الفنان أحمد أبو الغيط. وخلال السنوات الخمس الأخيرة قتلت إسرائيل ١٦ جنديًّا مصريًّا على الحدود وأصابت ١٢ آخرين بجراح، فهل هذه العينة من الأسماء التي اغتالتها يد الغدر الإسرائيلي تعني لهما شيئًا: صبحي النجار ومحمد عبد الفتاح وعامر أبو بكر وسليمان عايد؟ أم أن الفنان صاحب الدم الحامي والوزير المنفعل كانا على ما يبدو غائبين في بعثة خارج كوكب الأرض فلم يسمعا بأي من هذه الجرائم؟! وكذلك أثناء العدوان على غزة منذ عام لم نر رد فعل للسيدين الغيورين على السيادة عندما كان الطيران الإسرائيلي يحلق في الأجواء المصرية في انتهاك صارخ لسيادة أحمد أبو الغيط وعادل إمام وذلك ليتمكن من التصويب جيدًا على رفح الفلسطينية ويدك منازلها.

إن شعب مصر الذي أدان كل الجرائم السابقة من حقه اليوم أن يطالب بمحاكمة القاتل الذي أطلق النار على الشهيد المصري.. أما عم الأشاوس وخالهم اللذان سكتا

على جرائم إسرائيل فلا أظن أحدًا سوف يصدقهما عندما يتحدثان عن الدم المصري الغالي!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

صحبة وأنا معهم

المصري عفريت لا يشق له غبار، فما بالك إذا كان موهوبًا ومبدعًا.

التقيت في إفطار رمضاني ثلاثة أصدقاء من شباب الكتاب يعتبرون بحق فخرًا للكتابة والإبداع، أولهم أحمد مراد الفنان متعدد المواهب من تصوير سينمائي إلى تصوير فوتوغرافي وجرافيك وتصميم فني لأغلفة الكتب حتى أنني أفخر بأنه من قام بعمل غلاف كتابي (مصر ليست أمي دي مرات أبويا) وكذلك (مسافر في مركب ورق)، والأهم من هذا كله أنه روائي من طراز خاص صدرت له روايتان أحدثهما هي (تراب الماس) التي لم أقرأها بعد، أما الأولى فهى الرواية البديعة (فيرتيجو) التي تعد قراءتها متعة حقيقية.

وثانيهم هو الكاتب أحمد العايدي صاحب الإبداعات المستحدثة في دنيا الصحافة والذي قدم نكهة لم أصادفها عند سواه، فضلًا عن ابتكاره لشخصيات كوميدية طريفة وعميقة.. وأحمد العايدي هو نفسه صاحب رواية (أن تكون عباس العبد) التي اندلعت بدون سابق إنذار!

وثالث المبدعين هو الكاتب الجميل محمد صلاح العزب صاحب أعمال (وقوف متكرر) و(سرير الرجل الإيطالي) و(لونه أزرق بطريقة محزنة) و(كرسي قلاب) وأخيرًا (سيدي براني) الذي صدر منذ أيام.. ويتميز العزب بأسلوب متفرد حتى في مقالاته بالصحف التي تتسم بالذوق واللطافة.

كانت هذه مقدمة عن الأشرار الثلاثة الذين لمحتهم عن بعد يتهامسون فاقتربت منهم وسألتهم عن نوع المؤامرة التي يفكرون فيها فأشاروا إلى مائدة يجلس إليها الفنان القدير أسامة عباس وأخبروني برغبتهم في السلام على الرجل وتقديم التحية له والتقاط صورة لهم معه. قلت لهم: هذا أقل ما يجب مع فنان حقيقي مثل أسامة عباس.. ولكن ماذا عن الشخص الآخر الذي يجلس معه على نفس المائدة والذي يظن نفسه رئيس مجلس إدارة الكرة الأرضية.. هل تعتزمون تحيته أيضًا؟ قالوا: لا شأن لنا بهذا المنتفخ الذي يكاد ينفجر من غاز الهيليوم الذي يملؤه! قلت: لقد كنت أظنه ممتلئًا بالفيشار؟ قالوا: بل هو الهيليوم. قلت: ألا تعلمون أن له صهبجية وشماشرجية ومعسلاتية في الصحافة يدللونه ويسبحون بحمده، ومنذ أن منحوه تاج الجزيرة وألبسوه السلطانية وهو يتصور نفسه في مصاف الزعماء وأن التاريخ سيذكره إلى جانب نهرو وماوتسي تونج وفتحي بيومي؟! قالوا: نعلم.. ونعلم أيضًا أنه عاشق للحزب الوطني ومؤيد للاستبداد والديكتاتورية والتوريث، وكاره للديموقراطية والعدالة والمقاومة والشعب الفلسطيني. قلت: ولكن هناك حرج إنساني في أن تسلموا على شخص وتتجاهلوا الذي يجلس إلى جواره. قالوا: نحن لا نحبه فكيف نحييه؟ ثم إنه لا يشعر بأي حرج إنساني أو نباتي، حتى عندما يمنح تأييده على بياض لمن أحالوا حياتنا جحيمًا وعندما يتطاول على الفلسطينيين فيسبهم غير عابئ بأحزانهم وآلامهم. قلت: إذن ستسلمون على أسامة عباس وتتجاهلون الآخر الذي يجلس إلى جواره؟ قالوا: نحن أحرار ولنا الحق أن نحب من نشاء ونعرض عمن نشاء. قلت: طبعًا أحرار.

بعدها اندفع الشبان الثلاثة نحو الفنان القدير أسامة عباس في ود حقيقي فسلموا عليه بحرارة ووقفوا إلى جانبه للتصوير. عندها وجدت نفسي أندفع إلى الفنان الجميل وأرفع صوتي بالثناء عليه وعلى فنه وذوقه ومكانته لدينا ولدى الجمهور المصري وتأبطت ذراعه في صورة جماعية جميلة.. وعلى بعد مليمترات كان يجلس المنتفخ ينظر إلى الأفق في ذهول ولا يصدق ما يراه لأنه اعتاد أن يكون محور الكون ولا يدري أن هذا الكون أو هذا الوطن يذخر بالبسطاء الأقوياء الذين يحلمون بعالم يخلو من أمثاله ولا يترددون في الإعراب عن مواقفهم وآرائهم بكل الطرق حتى أكثرها غرابة وإدهاشًا وتأثيرًا في الوقت نفسه!

بعد ذلك تراجع الأصدقاء الثلاثة إلى الخلف ومن فرط الضحك وقعوا على الأرض. وجدت نفسي أنا أيضًا أنفجر من الضحك لدرجة أنني لم أعد أقوى على الوقوف.. فوقعت إلى جوارهم!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

خلط السياسة بالجبن!

امتنعت نتيجة السفر في إجازة عن قراءة الصحف فنجوت من أخطار ما تبثه وتبخه معظم الصحف من عوادم وقاذورات، وبهذا فقد انتظم عندي التنفس وهدأت المعدة ولم أعد أتقيأ كما كان يحدث قبل الإجازة. ولكن كعرض جانبي لهذه الحالة من الهدوء والسعادة فقد حرمت من أشياء لطيفة مثل تصريحات بعض المسئولين الفكهين الذين لا نحمل لهم كراهية.. صحيح أننا لا نحبهم لكننا أيضًا لا نكرههم. من هؤلاء الدكتور مفيد شهاب الذي يمتلك وجهًا سمحًا وملامح تشي بالرضا عما يفعله على الرغم من فداحة ما يفعله!

عوضني الأصدقاء بأن رووا لي أن الدكتور شهاب صرح بأنه لا بأس أن يقضي رئيس الجمهورية فترات رئاسية متتالية بلا عدد مهما طال الزمن ومهما امتد العمر ومهما وهن العظم ووخط المشيب المفارق، وحدثوني بأن شهاب قال إن طول الجلوس على المقاعد تعني خبرة أكبر وحنكة أكثر ودربة ودراية وهضم للأحداث الدولية وقدرة على إدارة الأزمات.. الخلاصة على عهدة الوزير شهاب: يا سعده يا هناه الشعب الذي يحظى بحاكم يجلس على العرش لثلاثين عامًا، ويا حبذا لو امتدت الثلاثون فصارت أربعينًا وخمسينًا وستينًا، وذلك حتى تعم الحكمة وتنتشر ثمرات المعرفة والخبرة في جنبات الأمة وردهات الوطن وفسحات المناطق. وطبعًا لم ينس أستاذ القانون الواعر الغويط أن يقول إن هذه الحقب والأزمنة والعهود الرئاسية يشترط أن تتحقق من خلال انتخابات حرة نزيهة، وما دام الشعب يريد حبيبه مدى الدهر فلا حاجة بنا إلى الاستماع إلى نواح الغربان الذين يسعون للتغيير وحرمان الشعب من حبيبه وابن حبيبه!

هذه هي خلاصة نظرية الفقيه القانوني الدكتور مفيد شهاب في أصول الحكم ومواصفات الحاكم المثالي. وفي الحقيقة إنني لا أستطيع أن أنكر مدى استملاحي واستعذابي وترحيبي بالنظرية بسبب طرافتها وجدتها وعدم توصل أحد إلى شيء يشبهها من قبل، فالرجل تعامل مع الحاكم وكأنه قرص جبنة رومي كلما قدم وطال به الوقت كلما بطرخ وظهرت حلاوته وغلا ثمنه وأقبل عليه عشاق الجبنة الرومي القديمة، أو كأنه زجاجة نبيذ معتقة محفوظة في القبو المخصص للأنبذة الفاخرة وكلما تقادم العهد ومرت عليها الدهور أصبحت غالية ونفيسة، والغالي كما نعلم ثمنه فيه!

وفي الحقيقة فإننا نظن أن الدكتور شهاب وهو يفكر في قرص الجبنة الرومي كان يستلهم خطى إخناتون الفرعون العظيم الذي نظر إلى قرص الشمس ثم توصل إلى فكرة التوحيد، ولا أعلم إذا كان إخناتون قد رأى قرص جبنة رومي فربط بينه وبين قرص الشمس أم لا، لكن من الأرجح أن شهاب زبون قديم عند مانولي البقال وقد تأثر بالأجبان الرومي والروكفور ذات العفن المعتق فقرر مزج السياسة بالجبن.. أكيد هذه صورة نموذجية لخلط السياسة بالجبن!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

الكيميائي والأحيائي.. والبرمائي

حب الفشخرة في مصر ليس له حدود. والغريب أن الناس تمارس التيه بأشياء لا تدعو لأي فخر في أي مكان في الدنيا. مثال: معظم رؤساء الأحياء، ورؤساء المدن، ومسئولي النظافة، ورؤساء مجالس الكثير من الشركات في مصر المحروسة تجدهم يسبقون أسماءهم بلقب: لواء. تسأل عن ماهية الأماكن التي يترأسونها، فيخبرونك أنها هيئات مدنية.. لا هي جيش ولا هي بوليس. تسألهم: ما بال الأخ يضع قبل اسمه رتبة لم تعد تخصه ولا متعلقة بعمله؟ لماذا يفعل ذلك رغم أنه أصبح مواطنًا جميلًا برتبة أستاذ؟ فيقولون لك إن هذه الرتب تمنح الشخص مهابة واحترامًا. تسألهم: ولماذا لا يتمسك بهذه الألقاب من خرج من الخدمة برتبة رائد أو نقيب وهذا نجده يحرص على إخفاء رتبته السابقة، ويلوذ بلقب أستاذ متبرئًا من ماضيه؟ عندئذ لا تحصل على إجابة! تعطيهم مثالًا لتوضيح الأمر، وتقول لهم إن الأستاذ صفوت الشريف قد خرج من الخدمة في السابق برتبة رائد، ثم أكمل مسيرته العملية في عدة مواقع مرموقة منها رئاسة هيئة الاستعلامات، ثم وزارة الإعلام، وأخيرًا رئاسة مجلس الشورى. وفي كل مواقعه الرفيعة عهدنا اسمه مسبوقًا بلقب السيد أو الأستاذ لكننا لم نر أحدًا يقول: الرائد صفوت الشريف إلا من قبيل المناغشة والمشاكسة.. فهل يا ترى كانوا يحرصون على إخفاء رتبته السابقة لو أنه خرج إلى المعاش وهو لواء؟

والأمر في تصوري قد حدث بعد أن تخلخل المجتمع المصري، وأعيد تفنيط أوراقه مثل أوراق اللعب. بدأت المسألة عندما أصابت الثروة المفاجئة التجار، وأصحاب المحلات من البقالين والعطارين، وأصحاب دكاكين الأدوات الصحية، والحلوانية والخردواتية والحلاقين، وانقلب الهرم الاجتماعي على رأس الأفندية والموظفين. عندها وجد أصحاب المحلات الفرصة سانحة للسطو على لقب (أستاذ) الذي كان حلمًا بعيد المنال عندما كان للتعليم احترامه وتقديره. ذلك أن كلمة أستاذ عندما كانت تذكر كان يرد على الخاطر بالأساس صورة المدرس المثقف المحترم المربي صاحب الفضل ذو المهابة والاحترام، ولنتذكر أن أعلى مراتب السلك الجامعي هي مرتبة الأستاذ. ولكن عندما فقد المدرس وغيره من الموظفين المكانة الاجتماعية التي استندت بالأساس إلى مرتب يكفل الستر، ضعفت قيمة اللقب، ووجدنا العمال في محلات البقالة والحلاقة والسيراميك ينادون صاحب الدكان بلقب أستاذ، رغم أن نفس الشخص كنا نناديه طول عمرنا قائلين: يا عم فلان أو يا ريس فلان أو يا أسطى فلان! وهذا السبب في تقديري هو ما حدا بمن يملكون شيئًا من النفوذ والسلطة أن ينفروا من لقب أستاذ بعد أن حازه ساقط الإعدادية الذي ورث دكانًا، ويتطلعون إلى ألقاب أخرى تميزهم عمن سبقوا. وهنا نجد القريحة المصرية قد جادت على الراغبين في الفشخرة والتمايز بافتكاسات مصرية مائة بالمائة وأتحدى أن يدلني أحد على مثيل لها في أي مكان. قام السادة ضباط الشرطة والعاملون بالنيابة والقضاء بحجز لقب بك، وتوسعوا في استخدامه على نحو يكفل ترسيخه في الأذهان مستندين إلى مهابة وسلطات وظائفهم التي صارت على قدر عظيم من الأهمية بسبب الطوارئ الدائمة، التي كفلت للبعض القدرة على تخطي القانون كما

جعلت من البعض الآخر الملاذ الأخير للعدل، وصيانة الحقوق. وعلى نهجهم سار موظفو وزارة الخارجية من الدبلوماسيين العاملين بالخارج استنادًا إلى أنهم يقبضون بالدولار الأخضر. في نفس الوقت وجد رجال الأعمال وأصحاب الثروات الخرافية الناس تتصّبهم باشوات وتجعل منهم أصحاب معالي دون أن يبذلوا أي جهد، ودون أن يطلبوا هذا من أحد! ولكن ماذا عن بقية الفئات بالمجتمع من خريجي الجامعات الذين وجدوا ألقاب البك والباشا محجوزة، في الوقت الذي أنفوا من ألقاب العوام؟ هل يستسلمون ويرفعون الراية البيضاء ويقبلون أن يكونوا أساتذة؟ لا والله هذا لن يكون. وجدنا السادة خريجي كلية العلوم يطبعون كروت تعارف كتبوا عليها: الكيميائي والفيزيائي والجيولوجي، وسبقهم كل من تخرج من كلية التجارة وكتب على باب شقته: المحاسب فلان.. حتى لوكان خريج قسم إحصاء أو إدارة أعمال، ولا صلة له بالمحاسبة! وطبعًا لن أتحدث عن الصيادلة الذين زعم كل منهم أنه دكتور، وكتب على دكانه: صيدلية الدكتور فلان بعد أن كانت الصيدليات في السابق تحمل أسماء جميلة مثل الشفاء، والهناء، والسعادة، والمحبة. ولن أتحدث عن خريجي المعاهد الزراعية الذين صاروا مهندسين، كما لن أتحدث عن الآلاف من الذين انتهزوا فرصة الزحام والفوضى وأضافوا إلى أسمائهم حرف الدال دون أن يكونوا أطباء ودون أن يحصلوا على الدكتوراه في أي فرع من فروع العلم باعتبار إن ماحدش واخد باله!

لكل ما سبق طبعًا، فإن من كان لواء قد الدنيا في يوم من الأيام لن يتنازل، ويفرط، ويقبل أن يصير أستاذًا على آخر الزمن.

لكن ما الحل.. وهل سنظل هكذا إلى الأبد؟ الحل طبعًا هو الديموقراطية، والحرية، والعدل، التي تجعل منا جميعًا بني آدمين دون أن يضطر الواحد منا إلى أن يكون كيميائيًّا أو أحيائيًّا أو برمائيًّا!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

عزت بلتكانة واليورانيوم المُخصّب

ذكرت وكالة الأسوشيتدبرس الأسبوع الماضي أنها حصلت على تقرير سري للوكالة الدولية للطاقة الذرية يفيد بعثور مفتشي الوكالة على آثار يورانيوم عالي التخصيب في مصر، مما يصلح للاستخدام في تصنيع سلاح نووي. وأضافت الوكالة أن اليورانيوم المخصب قد عثر عليه في أنشاص عام ٢٠٠٧.

هذا وقد ثارت تساؤلات بشأن تسريب هذا الخبر الآن خاصة وأن الحكومة المصرية قد نفت وقتها المسألة برمتها، وأرجعت آثار اليورانيوم إلى وجود حاويات تحمل نظائر مشعة كانت قد وصلت البلاد للأغراض العلمية والطبية. وقد تباينت ردود الأفعال المصرية إزاء هذه الأخبار التي تحمل اتهامًا خطيرًا للحكومة المصرية بين ما هو رسمي على لسان المتحدث باسم وزارة الخارجية الذي وصف هذه التقارير بأنها قديمة ومغلوطة، وأنها موجودة في تقرير مخصص للحكومات، وليس للنشر في الصحف، وبين ردود الأفعال الشعبية التي اختلفت تمامًا عن الموقف الرسمي حيث داعب الخبر خيال الجماهير، وتمنت لو كان صحيحًا، كما حملت جلسات المقاهي فرحة شعبية طاغية تحيي الدهاء والدهاة، والمكر والماكرين، وتغفر للحزب الوطني كل جرائمه في حق شعب مصر، كما تستدعي سير رجال مثل رأفت الهجان وجمعة الشوان، وتفترض وجود أبطال وعلماء ظلوا يعملون من خلف الستار لسنوات، وشطح الخيال بالبعض لدرجة أنهم توهموا أن تكون مصر قد غافلت العالم، وقامت بتخصيب اليورانيوم من وراء ظهره. وهناك من مضى لنهاية الحلم، فرأى قطعتي سلاح نووي مخبوءتين في الدولاب وسط الهدوم، وهناك من زاد بأنهما موضوعتان في ضلفة الألبسة النسائية حتى يتحرج المفتشون من العبث بهما! والبعض زعم أن القنبلتين مستقرتان داخل فرن البوتاجاز مثل الفلوس التي أخذها القاتل الشهير من رجل الأعمال الأشهر بعد أن ذبح له عشيقته. ولا أنكر أنني شخصيًا قد حلمت مع الحالمين وانتفضت من نشوة المغامرة حين فكرت بالمشاركة، ورسمت مخيلتي سيناريو رأيت فيه نفسي أتطوع بعملية حمل شنطة اليورانيوم ونقلها وسط المخاطر المحدقة، وتوصيلها لأحد العلماء في مختبره الذي به قدور تغلي على النار وأنابيب اختبار ملونة يتصاعد منها البخار، وذلك عبر سلسلة من المغامرات تتضمن قيادة لنشات في الماء وسيارات سريعة على الأرض، والقفز بالشنطة من سطوح لسطوح والانتقال بها في قطار نص الليل من أجل تضليل البوليس، وتضليل استيفان روستي الذي يسيطر على القطار. لكن للأسف أيقظني من أحلامي صديقي القديم عزت بلتكانة صاحب عربة الفول الشهيرة الذي انتقل بعربته من حي إلى حي حتى استقر أخيرًا بالقاهرة الجديدة. فتحت الباب لبلتكانة الذي حضر لزيارتي دون موعد، فدخل مقطوع الأنفاس، وجلس إلى أقرب مقعد. بعد أن شرب ماء، وهدأ قليلا شرع يحكي لي عن سبب الزيارة المفاجئة: لديّ اعتراف يقض مضجعي ولم أجد غيرك ليشير عليّ بما أفعل. قلت: خير، يا حاج بلتكانة. قال: طبعًا أنت عارف موضوع اليورانيوم المخصب الذي ملأ الدنيا هذا الأسبوع. قلت: هات من الآخر. قال: أنا السبب في كل ما يحدث.. أنا الذي تسببت لمصر في المصيبة، وأخشى أن يقوم الدكتور البرادعي

بتطبيق القانون على مصر، ويقوم العالم بحصارها وعقابها على فعلتها الشنعاء، والله يعلم أنها بريئة، وتلتزم بالشرعية الدولية، ولا تفكر أبدًا في العلم أو التنمية أو البناء أو النهضة أو استقلال القرار أو أي شيء من الأشياء التي تغضب الشرعية الدولية التي يمثلها السيد (كون شي فون) الأمين العام للأمم المتحدة. قلت له: ماذا فعلت بالضبط يا بلتكانة يا شرير؟ قال والدموع في عينيه: إن الموقع الذي عثروا فيه على اليورانيوم المخصب هو الذي كنت أقف فيه بعربة الفول حتى عام ٢٠٠٧، وأنت تعلم أنني أسرح بالعربة وراء الرزق، وعندما كان بمصر مشروع نوويّ تحتشد له الدولة كان زبائني بالمئات ومنهم علماء المشروع، ولكن بعد نقل تبعية هيئة الطاقة الذرية من رئيس الجمهورية إلى رئيس الوزراء، ثم إلى وزير الكهرباء، فقد تسرب العلماء الواحد تلو الآخر، وأصبح الحال لا يسر، خصوصًا بعد أن علمنا أن الهيئة سيتم نقلها إلى وزارة الأوقاف عند الأخ زقزوق.. هنا كان لا بد أن أرحل إلى مكان آخر بعد أن هاجر الزبائن. قلت وأنا نافد الصبر: وبعدين يا بلتكانة، إلام يفضي كل هذا الهراء؟ قال في خجل: التتبيلة يا أستاذ.. تتبيلة الفول أو الخلطة التي كنت أضعها في السندوتشات والأطباق، لقد كنت - وعلى مدى سنوات - أتخلص مما يتبقى من الخلطة وألقي بها يوميًّا في الفضاء ورائي دون أن أدرك أن الإشعاع الناتج عن تلاقح الخلطة مع الزيت الحار تحت ضغط الأيام المرة يمكن أن ينتج آثارًا تشبه اليورانيوم المخصب. قلت لعزت بلتكانة: إن اعترافك لن يعفيك من المسئولية، لكنه قد يخفف العقوبة.. ليس أمامك يا حلو سوى أن تصلح غلطتك، وتذهب ومعك عربة الفول للدكتور البرادعي والأستاذ (كون شي فون)، وتريهما بيانًا عمليًّا عن اليورانيوم المخصب الذي أنتجته مصر دون قصد نتيجة تتبيلة البروفيسور عزت بلتكانة!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

معسكر أبوقير

بات من المألوف أن تحمل لنا الأخبار في فصل الصيف وقائع لقاءات تحدث بين الشباب وبين السادة المسئولين في مكان اسمه معسكر أبوقير. ومن الواضح أن هذا المعسكر يمثل فرصة طيبة للشباب للترويح عن النفس، وقضاء أيام صيفية على شط البحر. وفي ظني أن المسئولين بالحزب الوطني يعتقدون أن هذا المعسكر يعتبر مناسبة سعيدة لدهن أدمغة الشباب بكل أنواع الكلام الفارغ عن إنجازاتهم، وعن آرائهم في السياسة، وتعليقاتهم على الأحداث العالمية والمحلية، غير مدركين أن الشباب يقومون بالحلاقة لهم فيستمتعون بالسندوتشات، ويشربون البيبسي، ويعتبرون هذه اللقاءات المملة من قبيل الثمن الذي يتعين عليهم دفعه نظير الأنس والفرفشة.. ودقوا الشماسي!

من هذا المعسكر خرجت أجمل تصريحات الدكتور مفيد شهاب عن الغاز الذي نصدره لإسرائيل، عندما قال: إن الدولة قامت ببناء الأنبوب الذي يمر به الغاز، لكن مصر لا تصدر الغاز لإسرائيل، وإسرائيل لا تستورد الغاز من مصر، وكل ما في الموضوع أن شركة خاصة مصرية تقوم بتصدير الغاز المملوك للمصريين إلى شركة خاصة إسرائيلية، أما الحكومتان فبريئتان من هذه الفعلة النكراء. ومن نفس المعسكر خرجت تصريحات الدكتور أحمد نظيف التي أعلن فيها للشباب أن حكومته نجحت في القضاء على الواسطة في التعيين للوظائف، وأن على الشباب أن يبني نفسه ذاتيًّا، ويترك الباقي علينا!.. طبعًا لم يشأ أحد من الشباب المهذب أن ينبه الدكتور نظيف لحقيقة أن ملايين الشباب قد فعلوا هذا بالضبط وبنوا أنفسهم ذاتيًّا، وذلك خشية أن يواجههم بأن البناء قد تم بمواد مغشوشة، وعندها قد يردون بأن الحزب الوطني هو المقاول صاحب المونة.. وهكذا تنقلب الليلة ويتم فض المعسكر وضياع أسياخ الكفتة وأطباق مكرونة الفرن.

من ذات المعسكر أو من معسكر آخر قريب صرحت السيدة مشيرة خطاب وزيرة الأسرة وبعض السكان أن المواطن المصري تعود على الدلع، وأن الحكومة قد دللته حتى فسد، وأصبح ينتظر منها أن تفعل له كل شيء. هذا التصريح لم يفهمه الكثيرون فاتهموا الوزيرة بإهانة الشعب الذي يدفع مرتبها، وبأنها تتعالى على الناس الذين تعلمت بالمجان على حسابهم، ولم يدركوا في فورة غضبهم من تصريحها أنه صحيح تمامًا، ومن آيات الدلع التي تقدمها الدولة للمواطن تجربة الاختطاف التي تتعرض لها المراكب المصرية دون سائر المراكب على السواحل الصومالية.. إن أي دولة كانت لتسارع بتحرير رهائنها مهما كلفها الأمر، لكن مصر التي (تهشك) المواطن تقوم بمنح صياديها فرصة العمر لعيش المغامرة على الطبيعة وكتابة مؤلفات في أدب الرحلات مثل السندباد، وروبنسون كروزو.

أما أروع اللقاءات التي تمت بالشباب في معسكرهم الجميل بأبي قير، فكانت من نصيب الشيخ سيد طنطاوي شيخ الجامع الأزهر التي قذف فيها الرئيس الإسرائيلي شيمون بيريز بكومة أحجار عندما قال للشباب: قطيعة تقطع بيريز وسنينه ولعنة الله عليه إلى يوم القيامة. لقد كانت آخر مرة أستمع فيها إلى جملة قطيعة تقطع فلان هذه

منذ عدة سنوات، وقد سمعتها من عواطف شموْرت عندما كانت تدعوعلى أخيها عصام شمورت الذي دأب على أن (يحفّ في طبق الفول). وأنا لي عتاب على فضيلة الشيخ؛ لأن الرجل الطيب بيريز لا يستحق منه كل هذا. لقد أسعدتني الصورة المنشورة في الصحف لفضيلة الإمام الأكبر، وهو يصافح الرجل بكلتا يديه، وكل منهما ينظر في عيني الآخر في ود وإخاء وحنو. إني أتصور أن الشيخ طنطاوي كان يتمثل قول السيد المسيح: أحبوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم، وأحسنوا إلى مبغضيكم. إن هذه الصورة تحمل رسالة حب لا تخطئها عين، وتعد نموذجًا لما نرجو أن يتعلمه الناس من رجال الدين الذين يضربون الأمثال للناس في التسامح وقبول الآخر. لهذا فقد أدهشني أن يقوم الشيخ بلعن بيريز الرجل الحمامة، رغم أن فضيلته كسرالحاجز النفسي معه مرتين.. واحدة العام الماضي في نيويورك، والأخرى في كازاخستان منذ أيام. في المرة الأولى قال شيخ الأزهر: لقد ظننته عابر سبيل حين مد يده للمصافحة ولم أكن أعرفه، وفي المرة الثانية قال إن الرجل دخل على سهوة وسحب كرسي وقعد.

وأنا بصراحة أخشى أن يخلط الناس بين مِسْعِدْ بتاع الليلة الكبيرة وبين شيمون بيريز. لقد كان مسعد يتسلل إلى المقهى خلسة، ويدخل على سهوة، أيوه على سهوة، يدخل ع. ل. ى سهوة، أيوه ع. ل. ى سهوة.. طار في الهوا شاشي. ما هذا الكلام؟! لنعد إلى موضوعنا. أنا أعلم أن البعض ما زال ينظر إلى بيريز باعتباره السفاح قاتل الأطفال في قانا، وأنه قد شارك في كل المذابح التي حصدت شهداءنا، لكن الرجل تغير، وأنا لا أريد أن أغلق في وجهه باب التوبة، وأرى أن نحتويه ونأخذه في حضننا، ونكف عن محاسبته على تاريخه الإجرامي؛ لأننا بشر والله يقبل التوبة، ومن كان منكم بلا خطيئة فليضرب شيمون بيريز وكل الذين يحبونه ويتوددون إليه بالجزمة القديمة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

صباح التجلي.. في الأمان يا للي

هل تلاحظون أن معدل سريان الغيبوبة في الجسم المصري قد تسارعت وتيرته، وأنه لم يتبق سوى وقت قليل حتى يرقد الجسم العليل فاقدًا الحركة تمامًا؟

منذ سنوات كان لي صديق حديث التخرج في كلية الطب. رأى صديقي كبار الأطباء الذين يشغلون مناصب جامعية يمارسون الإجرام في حق المرضى، ويتقاضون مبالغ باهظة مقابل تقديم خدمة طبية عفنة شديدة التدني، ورأى الحكومة لا تتحرك والمجتمع لا يقاوم، ففقد إيمانه بكل ما تعلمه، وقرر أن ينزل السوق وفقًا لمعاييره. أحضر صديقي بطارية ضوئية تطلق خطوطًا من النور الرفيع متعدد الألوان، وقام بوضعها داخل صندوق صغير، ثم كتب على اللافتة فوق عيادته بشارع الصناديلي (الكشف بالأشعة فوق الحمراء). وكان صديقي يستعين بممرضة لعوب كانت تقوم بالدعاية له وسط أبناء الحي وتحكي عن شطارته ومهارته، وفي العيادة كانت تتسلم خمسين جنيهًا من كل مريض، وتقوم في الوقت نفسه بتشغيل بطارية النور التي تعمل بحجرين قلم، وتسليطها على الموضع الذي يحدده لها الطبيب، وأحيانًا كان يضاعف الفيزيتا على المريض إذا رأى أنه يحتاج أشعة أكثر، وقد يستهلك الحجر كله!

هذا وقد نال صديقي الطبيب شهرة مدوية في المنطقة وأصبح الناس يتسابقون على الحجز عنده؛ ليكشف عليهم بالبطارية الصيني التي كانت ب- ٣٠ قرشًا في ذلك الوقت!

شيئًا من ذلك رأيته في الأيام الماضية عندما قام مجموعة من الشباب خفيف الظل أرادوا أن يسرّوا عن أنفسهم، فأحضروا بطارية متطورة تطلق أشعة ملونة، وفعلوا ما فعله صديقي الطبيب، فجعلوا ضوء البطارية ينطلق من فوق كنيسة في الوراق، وشاهدوا الناس الطيبين المكدودين من سكان الوراق مسيحيين ومسلمين في غاية النشوة والسعادة بعد أن صور لهم اليأس ولفافات البانجو أن ضوء البطارية هو السيدة العذراء مريم!!

لا أستطيع أن أنكر إحساسي بالأسى على حال الفقراء المعذبين في الأرض الذين يترنحون تحت وقع الضربات التي يتلقونها من الحكومة ومن رجال الدين على السواء، وكأنما لا يكفيهم ما هم فيه من ضنك وبؤس فيقوم العابثون بالسخرية منهم ومشاغلتهم بضوء البطارية بدلا من توفير الخبز والوظائف والماء النظيف لهم. ولا ألوم الفقراء الذين لا يملكون العلم والمنطق، ولا يستطيعون أن يكشفوا الحيلة البسيطة، كما لا ألوم الحكومة التي تركت الناس يتلهون في خيبتهم الثقيلة حتى ينسوا حالهم البائس، وبالطبع لا ألوم رجال الدين الذين تلتقي أشواقهم مع رجال الحكم في تلبيس الناس السلطانية، والإبقاء على المعادلة بوضعها الراهن.. لكني ألوم المتعلمين في الوراق وفي باقي الأحياء التي انطلق إليها الشباب العابث ومعهم البطارية.. ألومهم، لأنهم يستطيعون ببساطة أن يسألوا الناس عن الضوء المنطلق من البطارية، ولماذا يعتبرونه العذراء بالتحديد؟ لماذا لا يكون هذا الضوء هو السيد المسيح؟ ولماذا لا يكون هو أحد القديسين؟ ولِماذا لا يسألونهم السؤال الأهم: ما الذي

استفادوه إذا كان هذا الضوء هو العذراء فعلًا؟ وما الذي يستطيع الضوء أن يقدمه حلًّا لمشاكلهم؟ هل يستطيع الضوء أن يلغي الخط الهمايوني الذي يشكون أنه يمنعهم من بناء كنائسهم؟ هل بإمكانه أن يزوج البنات ويوظف الأولاد؟ هل يقدر أن ينهي الحكم الديكتاتوري وتزوير الانتخابات؟ هل ينهي التمييز الذي يعاني منه المسلم الفقير والمسيحي الفقير (لأن الأغنياء من الجانبين هم الذين يمارسون التمييز)؟ هل يستطيع هذا الضوء أن يحقق لهم المواطنة ويقيم الدولة المدنية؟ الإجابة معروفة وهي أن هذا الضوء أيا كان مصدره لا يستطيع أن يفعل للناس شيئًا، لكنه يستطيع أن يخدم الحكومة ويخدم رجال الدين الذين قالوا: إن الله اختصهم وحدهم بهذه المعجزة وحرم منها الآخرين! إن المصريين شعب متجانس وهو نسيج واحد فعلًا متشابه في كل شيء حتى في الإيمان بالخرافات، وفي تقديس رجال الدين.. والأمر شبيه كل الشبه بما يردده بعض المسلمين الطيبين أحيانًا عن الولي الذي شاهدوه يسير على الماء أو يحلق بجناحيه في الهواء! ولا يسأل أحد نفسه عما استفادوه من المعجزة التي لم تطعم جائعًا ولا كست عاريًا. ومع هذا لا أملك إلا أن أتساءل بمناسبة المثال السابق عن الولي الصالح: ماذا لوأن الاحتفال الطاغي بظهور العذراء كان قد قام به نفر من المسلمين احتفالًا بوليهم الصالح؟ أما كانت نفس وسائل الإعلام التي تحتفي بظهور العذراء الآن قامت بالسخرية من الظلاميين الطالبانيين الذين ينشرون الدجل والخرافة والشعوذة في المجتمع المصري، ويريدون أن يعودوا بالناس إلى القرون الوسطى؟ أما كان السادة المنوراتية أصحاب كلوبات التنوير قد فتحوا النار عليهم؟ ما لوسائل الإعلام قد روجت للبطارية وأصحابها، وما لها تخشى من ذكر الحقيقة التي تعرفها وتمضي في مسايرة الحكومة المستعبطة التي تضحك على الناس ورجال الدين الذين لا يخفون سعادتهم بالضوء الشارد؟.. هل يكون السبب أن السادة المنوراتية هم أنفسهم أصحاب البطارية التي تعمل بحجرين قلم من ماركة القط الأسود؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

الزلنطحية

كأن مثار النقع فوق رءوسنا

وأسيافنا ليل تهاوت كواكبه

(بشار بن برد)

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الوصفة السحرية للصحيفة الناجحة

سألني صديقي العائد من الخارج بعد عشرين سنة قضاها في أمريكا ويحلم بإصدار جريدة يومية.. سألني عن مقومات الصحيفة الناجحة في مصر. احترت في الإجابة؛ لأن الأمر لا يقال في كلمتين والمسألة من وجهة نظري شديدة التعقيد.

سألته عما يعنيه بالصحيفة الناجحة فقال: إنها تلك التي تحظى بقبول الناس، فيقبلون على قراءتها أكثر من غيرها. قلت له: عليك أن تستعد بالمال الوفير. قال: المال ليس مشكلة. قلت: هذا حسن؛ لأنه إلى وقت قريب كانت هناك جريدة جيدة تصدر في مصر، لكنها أغلقت أبوابها لضعف قدرتها المالية. سألني: وهل كان توزيعها جيدًا؟ أجبت: في حدود علمي لم تكن توزع كثيرًا، فرغم وجود كفاءات بها إلا أنها كانت جادة لا تجنح إلى الهزل والإسفاف. هتف مفزوعًا: وهل الهزل والإسفاف مما يجعل القراء يقبلون على قراءة الصحيفة؟ قلت له: ليس بالضبط لكن القارئ يحتاج إلى خلطة متوازنة تقدم له الجد والهزل، أما الجادون فقط فلا يحق لهم أن يحلموا بالانتشار، وإذا كنا نتحدث عن الصحافة في مصر فلديك مدرسة الأهرام العتيدة، ولديك مدرسة أخبار اليوم، وأنا لا أتحدث عنهما اليوم؛ لأنه لم يعد هناك ما يميز بينهما بعد أن خلتا من المواهب وصارتا تشبهان صحيفة البرافدا في الزمن السوفيتي. أنا أحدثك عن أهرام هيكل وأخبار مصطفى أمين. الأهرام جريدة رصينة كانت تحتشد بأفضل الأدباء والكتاب في مصر. ذلك أن هيكل وبصرف النظر عن مواقفه السياسية كان قارئًا من طراز رفيع فأحسن انتقاء كتابه فكان معه نجيب محفوظ، ويوسف إدريس، ولويس عوض، وتوفيق الحكيم، ويوسف جوهر، وزكي نجيب محمود. أما مصطفى أمين فيمكن النظر إليه من زاويتين: مصطفى أمين الصحفي وهو في نظري أعظم صانع صحافة في مصر على العكس من مصطفى أمين الكاتب الذي كان متواضع المستوى، وكانت فكرته التي يكتبها كل يوم تتكرر دون أي تجديد بسبب عدم ميله إلى القراءة. وقد ورث من أتوا بعد الرجلين نفس الأسلوب، فظلت الأهرام على رصانتها، وبقيت الأخبار أقرب إلى الناس.

وهنا قال صديقي: لقد وصلنا لبيت القصيد، أنا أريد صحيفة قريبة من الناس. قلت له: إذا كنت تواظب على قراءة الصحف الآن فلا بد أنك تلاحظ أن الصحف المستقلة الآن بعضها لا يخرج عن النموذجين السابقين، وبعضها الآخر شق لنفسه طريقًا ثالثًا. هذا غير بعض الصحف التي بلا معالم. ولعلك تلاحظ وجود صحيفة رصينة حشدت عددًا كبيرًا من الكتاب المحترمين، وتحرص على تقديم خدمة جيدة، لكن توزيعها قليل نسبيًّا وصحيفة أخرى تكتفي بقدر محدود من الكتاب الجيدين لكنها تفهم طبيعة القارئ أكثر من سواها، وتعرف أن الكاتب السخيف يستطيع أن يأتي بعشرة آلاف قارئ سخيف يشترون الجريدة فأكثرت منهم، وصحيفة ثالثة متمردة ومتجددة، وتعتمد على الشباب بشكل أساسي. استوقفني صديقي قائلًا: رويدك.. حدثني عن موضوع الكاتب السخيف هذا. قلت له: إن القارئ العادي لا يحتمل الكاتب الممتلئ علمًا وثقافة، ولا المواد الصحفية الدسمة التي تحمله على التفكير، لكنه يقبل على نوعين من الكتابات: إما الكاتب الموهوب القادر على النفاذ

للقارئ وإيصال أفكاره العميقة إليه بسهولة ويسر، وهؤلاء قلة نادرة تتلهف عليهم أي صحيفة لكن لا يمكن الاعتماد عليهم في ملء كل الصفحات، أو الكاتب المتواضع فاقد الموهبة الذي يستمد ثقافته من قراءة الصحف مثله مثل القارئ، وهذا أيضًا يحبه القارئ ويقبل عليه! هتف صديقي: ما هذا التخريف الذي تقوله؟ هل الصحيفة التي تريد التوزيع والانتشار عليها أن تستكتب الجهلاء. قلت: ليس الجهلاء تماما، ولكن أنصاف المتعلمين. ولتعلم أننا لسنا في المدينة الفاضلة، ففي وقت من الأوقات قامت صحيفة أخبار اليوم باضطهاد الكاتب الراحل محمود عوض وهو لعلمك أعظم كاتب أنجبته أخبار اليوم في كل تاريخها، وقام الأستاذ إبراهيم سعدة بمنعه من الكتابة لمدة ربع قرن فماذا كانت النتيجة.. كانت رواجًا غير مسبوق للصحيفة في غياب محمود عوض، ومن يشبهونه، وارتفاعًا مطردًا في التوزيع، وإقبالًا كبيرًا على مقالات الأستاذ سعدة وكل منها كان يملأ صفحتين ولا تجد به في الغالب ما يفيد أو يمتع إلا القارئ السكافوللي وهو الذي كانت تراهن عليه الصحيفة. قال صديقي: إذا كان محمود عوض نفسه قد ضاعف توزيع صحيفة الأحرار عندما رأس تحريرها بما ينسف نظريتك. قلت له: ذلك لأنه ينتمي للقلة النادرة التي حدثتك عنها والتي تنفذ إلى القارئ من خلال الموهبة.. هل نسيت ما قلته بهذه السرعة؟ تركني وهو يحدث نفسه.

بعدها قيل لي: إنه شوهد في الشارع ممسكًا بآلة حاسبة وهو يقوم بعملية حسابية، ويقول: عدد أربعة كاتب موهوب يساوي أربعين ألف قارئ، وعدد خمسة كاتب سخيف يساوي عشرين ألف قارئ، وعدد ثلاثة كتاب ثقلاء الظل يساوي خمسة عشر ألف قارئ، مع رسام كاريكاتير موهوب يساوي عشرة آلاف قارئ، وإخراج صحفي جيد يساوي عشرة آلاف قارئ، ورسام كاريكاتير بايخ بسبعة آلاف قارئ.. ثم يعيد الحسبة من جديد!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

التعبيريون أنت إمامُهم

أقدمت صحيفة الأهرام العريقة على فعلة رآها العالم شنعاء تتعلق بتزوير صورة جمعت الرئيس مبارك مع أوباما ونتانياهو وعبد الله وعباس بواشنطن، عندما استخدمت تقنية الفوتو شوب فجعلت الرئيس المصري يتقدم الآخرين وذلك على العكس من الصورة الأصلية!

لم تكتف الأهرام بعملية الفبركة المفضوحة لكن رئيس تحريرها أعلن أن ما ظنه الناس في جميع أنحاء العالم تزويرًا باعثًا على الازدراء ما هو إلا محاولة (تعبيرية) من جانب الأهرام لإسعاد القارئ، وأن هذا القارئ لو دقق في الصورة لعرف أنها صورة تعبيرية ليس أكثر! ولكن المؤسف أن الصحف العالمية ووكالات الأنباء لم تفهم موضوع الصور التعبيرية هذا وما زالت حتى هذه اللحظة تتندر على الصحيفة التي كانت أهم صحف مصر والعالم العربي.

الغريب أن الفنان عبد السلام النابلسي عندما قام بدور المصور الصحفي في أحد الأفلام كان ينتج لقطات توتالة طليعية ومتجاوزة لكنها رغم ذلك لم تكن تعبيرية مثل صورة الأهرام!

والأكثر إدهاشًا أنه في حُمى الفضيحة الصحفية التي أحرجت الرئيس مبارك من حيث قصدت أن تحييه قامت نفس الصحيفة التي تعتمد المنهج التعبيري بعمل تحقيق صحفي يحمل كل ما في الفن الصحفي من تعبيرية حول مسلسل (أهل كايرو) وهو بالمناسبة أجمل ما عرض في رمضان من مسلسلات. قامت الصحيفة باستطلاع رأي عدد من النقاد حول المسلسل فأجمعوا على أنه عمل فاشل وقاموا بالتنديد بالمسلسل وصانعيه.. وبعد ذلك يكشف لنا بلال فضل مؤلف المسلسل أن أحدًا من هؤلاء النقاد لم يدل برأيه في الموضوع حيث إن أيا منهم لم يشاهد المسلسل وبالتالي لم يصرح للأهرام بشيء!!.. ومرة أخرى نجد أنفسنا في مواجهة المدرسة التعبيرية في أوضح صورها. ويبدو أن صفيحة التعبيرية التي غرفت منها الأهرام قد فرغت أثناء الدهان فعرج كاتب التحقيق على المدرسة التكعيبية ونال منها نصيبًا ثم اتجه إلى الانطباعية والتفكيكية والبنيوية ثم الكوموندورفية.. والمدرسة الأخيرة منسوبة لعباس الكوموندورف وهو رائد في مجاله وله حكاية تستحق أن تروى: كان عباس الكوموندورف أشهر متحرش في الترام عرفته مصر، وكان يختلف عن غيره من المتحرشين ووحوش المواصلات في أنه كان صاحب أسلوب، ولم يكن يحتك بضحاياه بدون منهج، لكنه كان شريف الغاية نبيل المقصد وتعبيري جدًا، بمعنى أنه كان يصعد إلى الترام وفي باله أن ينفض أعضاءه ويدفع عنها الخمول والكسل ولا يقصد التحرش أبدًا، لكن الغريب أن الناس لم تتجاوب مع مدرسته فكان ينزل من الترام كل يوم متورم الوجه والصدغ والقفا، لكنه أبدًا لم يفقد الأمل في أن الناس ستفهمه ذات يوم وستدرك خطأها في حقه. وأنا أثق في أن الناس الذين هزءوا بما فعله الأهرام سواء في الصورة التعبيرية أو في التحقيق الصحفي التعبيري سيفهمون بعد حين أنه كان يجب الحفاظ على أسامة سرايا وعلى عباس كوموندورف باعتبارهما رموزًا للفن الحديث.

ولو كان ما زال لدى القارئ شك في ماهية المدرسة التعبيرية التي يسيء فهمها العامة فإنها نفس المدرسة التي دفعت أحدهم عند زيارته للطبيب ومعه زوجته أن ينتظر خارج غرفة الكشف، فلما استبطأ خروجها فتح عليهما الغرفة فوجد الطبيب يواقعها، فما كان منه إلا أن صاح: حقًّا إن الذي لا يفهم في الطب التعبيري قد يظن هذا (...)!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

خريطة طريق إلى المتعاصين

أعلن الدكتور علي الدين هلال نية الحزب الوطني إنشاء مكتب للدعاية والترويج لأعماله قوامه مجموعة من الصحفيين والإعلاميين غير المنتمين للحزب الوطني.

الحقيقة أن شعور الحزب بالكسوف والخجل من صحفييه ورجال إعلامه أصبح حقيقة واضحة لا تخطئها عين. لكن ما يثير الغرابة والدهشة هو إعلان الحزب عن اعتزامه إنشاء مكتب جديد للدعاية يعتمد فيه على صحفيين غير الوجوه الشائهة المحروقة التي لا يصدقها أحد. وجه الغرابة أن هذا المكتب موجود بالفعل ويعمل بهمة ونشاط منذ سنوات حتى دون أن يكون له عنوان ومقر ومكاتب وموظفون وسكرتارية.. هذا المكتب محسوس وملموس ويدرك وجوده جيدًا المتابعون للصحف الخاصة والفضائيات. وحتى يكون الكلام واضحًا ننوه إلى أن خدم الحكومة ينقسمون إلى قسمين: فريق مشبوه شديد البشاعة ومثير للتقزز يدرك الجمهور حقيقته وينفرون من أعضائه بل يسبونهم ويسخرون منهم ويدعون عليهم كل يوم.. وهذا في الحقيقة هو مبرر وجودهم الحقيقي، فالذين يستخدمونهم يعلمون كم هم مكروهون وملعونون، وما استخدامهم والإبقاء عليهم إلا لأنهم يمثلون (كاموفلاج) أو بارافان تختبئ خلفه الخلايا النائمة التي تكمن مختبئة في الذرة ويطل أفرادها برءوسهم من وقت لآخر لبث خبر ملغوم أو إذاعة تقرير ملوث أو نشر مقال متعاص، وأفراد هذه الخلايا هم في الحقيقة الذراع الإعلامية الحقيقية للحكم ويتم استخدامهم بكثير من الحنكة والذكاء، فهم الداعمون الحقيقيون لمشروع التوريث والمناصرون لبيع الوطن بالكيلو. وإذا أردت أن تخترق أستار البراءة التي تغلفهم يمكنك أن تتعرف عليهم ببعض التركيز بعد أن تدع جانبًا شجاعتهم الزائفة والتي تتمثل أحيانًا في الردح للوزير فلان أو المحافظ علان أو النائب بتنجان في برامجهم اليومية أو في صحفهم، وكذلك بعد أن تعبر فقراتهم الكاذبة ومقالاتهم التي يحاولون فيها الاقتراب من هموم المواطن، وبعضهم يبدي انفعالًا شديدًا عندما يتصنع تبني مواقف المحتجين والمظلومين حتى أن البسطاء يحسبون الواحد منهم رجلًا وطنيًّا حمش، ولا يدركون أنه متعاص مثل جريدته أو برنامجه.

وإذا أردت بعض العلامات التي تدلك على هويتهم أقول لك: إن بعضهم متخصص في الموضوعات اللاهية للناس مثل قضية شوبير ومرتضى وموضوع إبراهيم حسن وسمير زاهر وأزمة مصر والجزائر الكروية وحدوتة أحمد الفيشاوي وهند الحناوي، كما أن بعضهم يكتب لمدة عشرة أيام متصلة كتابات وطنية فيما يحبه الجمهور ويتحمس له، وفي اليوم الحادي عشر يكشف نفسه ويدس سمه في الزحمة فيقول لك مثلًا: أنا ضد التوريث لكن جمال مبارك شاب مصري من حقه الترشح في الانتخابات مثله مثل غيره! أو يقول لك: إن صالح الوطن يقتضي أن نبيع أرض الضبعة للمستثمرين الوطنيين ليقيموا عليها مشروعات سياحية عظيمة ومن حصيلتها يمكن تمويل البرنامج النووي المصري وبرنامج الوصول للقمر والمريخ وكذلك صنع القنبلة الهيدروجينية.. ثم لا يلبث في اليوم التالي أن يبدأ الكتابة لمدة عشرة أيام عن هموم الشعب وهكذا. كما أن بعضهم يكتب بشكل محترم

لمدة ستة أيام وفي اليوم السابع يضع في الزحمة قنبلة قذرة عبارة عن مقال طائفي يروج لمقولات إرهابيي المهجر المتعصبين الذين يرجون حرق الوطن بمسيحييه قبل مسلميه!

وهذا يذكرني بخبير إعلامي إنجليزي حدثني في جلسة صفا عن البي بي سي وغيرها من الإذاعات والقنوات الموجهة فقال: إنها تبث مائة خبر محايد وموضوعي ثم تبث الخبر الملغوم الملون رقم مائة وواحد، وأضاف: إن هذا الخبر هو الهدف الحقيقي من إنشاء المحطة!

وفي الحقيقة فإن هؤلاء هم كتيبة الحزب الحقيقية وكهنة المعبد الذين يتكلمون كلام الناس ويحملون ملامحهم وفي الوقت نفسه يخدعونهم ويدلسون عليهم.

فما الداعي إذن في وجودهم للتفكير في إنشاء مكتب للدعاية والترويج للحزب؟ أم إنها رسالة تهديد من أجل الصحصحة والفوقان وبذل مزيد من النشاط؟

خطيئة إعلامية

أريد أن أعرف أين هو هذا المجلس القومي للمرأة الذي لا يتصدى إلا للهامشي من الأمور؟ أين هو من الجريمة التي ترتكب من جانب وسائل الإعلام في حق امرأة من بنات حواء اللاتي يشكلن الملعب الوحيد لمباريات المجلس القومي للمرأة؟ ويزيد الغضب إذا عرفنا أن المرأة التي أتحدث عنها ماتت قتيلة برصاصة في الرأس وخرج مخها مع دمها الذي أغرق الأرض في جريمة هزت القاهرة منذ أيام.

السيدة القتيلة التي تحتاج إلى وقوف المجلس القومي للمرأة معها في مواجهة افتراءات وسائل الإعلام اسمها ماجدة كمال وقد قتلها عمدًا طبقًا لاتهام النيابة زوجها مذيع التليفزيون المشهور، فهل يكفي المرء أن يكون مذيعًا بتليفزيون الريادة حتى تتعاطف معه كل وسائل الإعلام وتتكاتف لاغتيال السيدة المغدورة معنويًّا بعد أن سلبها القاتل حياتها وصارت بين يدي الرحمن الذي لا تضيع عنده الحقوق؟!

كيف سمحت لهم ضمائرهم العفنة أن ينسبوا إلى المرحومة كل الأشياء الرهيبة التي لا يقدر على ارتكابها سوى الشياطين؟ إننا لم نر أو نسمع في كل القنوات السابحة في الفضاء أو القابعة في الحضيض الأرضي ولم نقرأ في كل الصحف التي تساوت في الانحطاط.. إلا حواديت عن السيدة الملعونة ذات الوجه القبيح التي تزن ١٥٠ كيلو جرامًا والتي يتسم سلوكها بالعدوانية وألفاظها بالسوقية. قالوا عنها إنها بيئة ومن أسرة بلدي وإن أهلها فقراء معدمون مقارنة بابن الناس المذيع اللامع ابن سيادة اللواء الذي يرفل في نعيم العز والشهرة. قالوا إنها تمثل صورة الشيطان في مواجهة الملائكية التي مثلها زوجها المذيع، حتى المخدرات التي نشرت الصحف أنها كانت مع المتهم نسبوا إلى القتيلة أنها كانت من أغواه بتعاطيها، إذ علمته شرب الحشيش والبانجو وكانت تهيئ له قعدات المزاج والكيف!

أي قلب امتلكه هؤلاء حتى يمرغوا سمعة إنسانة في الوحل ويهيلوا عليها التراب كما لو كانت هي التي ارتكبت جريمة قتل وسلبت إنسانًا حياته؟! وكيف يتناسون

أنها كانت الضحية والخاسر الأكبر من هذه الزيجة التي غمز الإعلام بأنها غير متكافئة ولا تليق بابن الأكابر! وما نوع هذا الإعلام المتوحش الذي لا يرعى أي حرمات إذا تعلق الأمر بأحد من أفراده حتى ولو كان قاتلًا؟ ألم يفكر هؤلاء الإعلاميون في أسرة القتيلة والمصيبة التي حلت بهم، أم أنهم تصوروا أن من كانت ممتلئة الجسم ومن سكان إمبابة لا يحزن عليها أحد؟

لقد طالعتنا صحيفة الأهرام بما تصورته سبقًا صحفيًّا كتبه المذيع المتهم في محبسه عن حكايته مع زوجته القتيلة ونشرته الأهرام وهي تظن أنها جاءت بما لم يستطعه الأوائل.. فماذا جاء به؟.. حكايات وحواديت عن كيفية تعرفها به ومطاردتها له واستسلامه العجيب لها وخضوعه لابتزازها لدرجة أن قام بتطليق زوجتين كانتا على ذمته خوفًا من بطشها! وكأنه ليس هناك قانون وليست هناك شرطة تعمل في خدمة الكبار خصوصًا من كان والده واحدًا من قادتها! والهدف الواضح من هذا كله هو تهيئة المسرح من أجل المساعدة على تقبل الرأي العام لفكرة أن المذيع الهادئ الوديع قد أقدم على ما يستحق عليه الشكر عندما قام بتخليص البشرية من امرأة ملعونة كانت تنشر الشر أينما حلت!

يا قوم.. اذكروا الله يذكركم واستغفروه يغفر لكم.. يا سفلة!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

تليفزيون السيد بنجر!

إكرام الميت دفنه. ومع هذا فإن (المصري اليوم) لم تفطن لخمود الحركة ولا انتبهت للرائحة.

على صفحتين كاملتين عرضت (المصري اليوم) الثلاثاء ٢٤فبراير ملفًّا كاملًا عن التليفزيون المصري حوى أخبارًا عن التطوير المزمع والتغيير المرتقب، والمفاجآت المنتظرة التي ستحدث ثورة تاريخية للإعلام المصري بقيادة الزعيم أنس الفقي. وقد لاحظت حالة السرور والانتشاء التي بدا عليها كل من تحدث من كبار الإعلاميين الذين يستعدون لساعة الصفر، حتى يتحركوا للاستيلاء على مبنى الإذاعة والتليفزيون، وإذاعة البيان رقم واحد.

حملت الصفحتان عناوين مدوية منقولة عن قيادات ماسبيرو، ومنها: (قطاع التليفزيون يجمّد مذيعات قديمات ويستعين بـ٣ من الخارج). كذلك: (أجندة الهيكلة تتضمن إلغاء منصب رئيس الاتحاد وتغيير الكوادر.. وضم مصر الإخبارية والنيل الدولية لقطاع الأخبار.. ودمج قطاع الإنتاج مع صوت القاهرة.. وتحويل القطاع الاقتصادي لإدارة محاسبة). ونمضي مع بقية العناوين: (دراسات الهيكلة تتضمن حلولًا لمشكلة العمالة غير المدربة). وسوزان حسن: (التغيير ضرورة ومخاوف بعض العاملين ليست في محلها)، والمناوي: (ضم النيل الدولية ومصر الإخبارية إلى قطاع الأخبار لا يزال محل دراسة). وأيضًا: (العقباوي: لم تصلني أي تعليمات بشأن دمج قطاع الإنتاج مع صوت القاهرة).

بطبيعة الحال لا تفوتني تحية الأستاذين محسن حسني، ومصطفى صلاح اللذين أعدا هذا الملف الشامل، ولا يعيبهما أن ماسبيرو بمن فيه وما فيه لم يعد يهم المشاهدين في مصر أو في الوطن العربي. كان من الممكن لهذه الأخبار أن تهز المجتمع منذ عشر سنوات وقت أن كنا نتابع القناة الأولى والثانية، ونحتمل ثقلهما ورذالتهما - مع بعض الاستثناءات - ونحن صاغرون. أما اليوم بعد أن وصلت قنوات ماسبيرو إلى ما دون الصفر في الوقت الذي ظهرت فيه قنوات فضائية جذابة لا تحتاج سوى لاشتراك في وصلة سلك بعشرين جنيهًا حتى تنفتح الدنيا على مصراعيها، تلك الدنيا التي كشفت للمشاهد المصري الضعف الشديد للمذيعين والمذيعات الماسبيرويين، ولا أقول المصريين؛ لأن القنوات الفضائية بما فيها المصرية مثل: دريم، والحياة، وأو تي ￼ي، والمحور تمتلئ بالكوادر المصرية الراقية.

وعندما يتحدثون اليوم عن التطوير فإن أول ما يخطر في بالي هو: ياه.. هوّ انتوا لسه عايشين؟.. وأعتذر حقيقة لأني نسيتهم من زمان بعد أن قمت بحذف قنواتهم من الريسيفر، ولم أعد أشاهدها أبدًا بعد أن اشتدت عليّ قرحة المعدة، ولم أعد أحتمل الكذب والسخافة وثقل الدم.

وعندما أقرأ أخبارًا عن دمجٍ قطاع الإنتاج مع صوت القاهرة فإنني أندهش؛ لأن هذا الدمج لن يحدث فرقًا لدى المشاهد، ولا يعني سوى الموعودين بالمناصب

الجديدة التي ستنشأ، والمناصب القديمة التي ستخلو. كما أن الأخبار المتعلقة بتجميد مذيعات وإحلال أخريات محلهن لا نستطيع أن ننظر إليها إلا بحسبانها جزءًا من تصارع ذوي النفوذ الذين يغرس كل منهم مذيعاته في أرض ماسبيرو حيث لكل مذيعة كفيل يحميها، ويا ويلها إذا ضعف الكفيل أو أطاحت به الرياح.

ومن الأمور الجديرة بالملاحظة في هذا الملف المتعلق بالتطوير هو تصريحات رؤساء القنوات كما نشرتها المصري اليوم، وهي تصريحات لا تخفى دلالتها على القارئ، وكان منها: عمر زهران رئيس قناة نايل سينما: (نحن نعمل بحرية لكن في إطار السياسة العامة التي يرسمها أسامة الشيخ)، ومنها تصريح لعبد الفتاح حسن رئيس قناة نايل سبورت: (لقد بدأ التطوير في أغسطس ٢٠٠٧ حين تولى أسامة الشيخ رئاسة القطاع)، وأيضًا تصريح عزة مصطفى رئيس نايل دراما: (الفضل في التطوير لأسامة الشيخ) ما هذا؟ ما هذا؟ وأي تطوير ننتظره على قرع طبول الغزل هذه؟.. كل رئيس قناة لا يبدأ الكلام إلا بالثناء على سيد القطاع أسامة الشيخ. إن الرجل قد يكون جادًّا ومخلصًا، وأحسبه كذلك، لكن عليه أن يوقف الجوقة العازفة التي ترى الدنيا قد بدأت بعد أن أشرق بنوره عليهم!

كما أتى تصريح عبد اللطيف المناوي رئيس قطاع الأخبار الذي سيكون وفقًا للمنشور مسئولًا عن قناة النيل الدولية، وقناة مصر الإخبارية، والبرامج الإخبارية في كل قطاعات التليفزيون.. أتى تصريحه عجيبًا بشأن التطوير الذي (سيكون جذريًّا على مستوى الشكل، أما بالنسبة للمحتوى أو المضمون فهناك تعديلات طفيفة متمثلة في تحسين الصياغة، لكن لا توجد تغييرات في الخطوط العريضة أو السياسة العامة التي يتبعها قطاع الأخبار). يا صلاة النبي.. يعني التغيير سيكون في تسريحة شعر قارئة النشرة، وفي الآي لاينر تحت عينيها، لكنه لن يطال بث الأخبار بحيادية تبعًا لأهميتها وليس تبعًا للأقدمية الوظيفية لأصحابها، ولن يطال الموضوعية والحيدة في الطرح، ولن يعرض الفضائح والكوارث؛ لأن أبطالها دائمًا من الحزب الوطني، ولن يوقف شرشحة من تغضب عليهم السلطة، ولن يستعين بشخصيات ذات صدق واحترام، وسيظل على سياسته في استضافة أصدقاء الدبة الذين سيقتلونها بغبائهم!

بالعربي كل هذه الجعجعة لن ينتج عنها رغيف عيش يمكن بلعه؛ لأن الحرية هي التي تُحدث فرقًا، وليس تغيير ديكور الاستوديو. أما التغيير القادم فسيكون على طريقة السيد بنجر الذي ضاق باسمه الذي يسبب له حرجًا فغيره إلى إبراهيم بنجر!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

أخبار مشمومة

أصابني الملل من الخبر السخيف الذي أقرؤه كل صباح تقريبًا منذ حوالي عام. والخبر السخيف هذا لا يقتصر نشره على الصحف السخيفة فقط.. بل تنشره كل أنواع الصحف، الحكومي منها والخاص، المستقل منها والتابع، المحترم والمنحط، الذي يوزع مائتي ألف والذي يوزع ١٧٠٠ نسخة.

يدور الخبر كل طلعة شمس حول أسعار الحديد التي انخفضت، ويحدد مقدار هذا الانخفاض، كما يوضح الأسباب التي دعت لكل هذا الهبوط في سعر الحديد. تارة يبشرون الناس بأن الحديد التركي الرخيص سيجتاح السوق المصرية، وسيجعل تكلفة البناء تقل بنسبة كبيرة، وتارة يتحدثون عن الحديد الأوكراني الذي تستعد المراكب لنقله إلى شواطئ المحروسة، وفي كل هذه التارات تبدي الصحف شماتة واضحة في حديد عز الذي اضطر تحت ضغط الحديد المستورد إلى النزول بالأسعار حتى لا يخرج من السوق!

سنة بأكملها ولا يكاد يمر يوم لا يتضمن أخبار الحديد الذي تهاوت أسعاره حتى كاد منتجوه في مصر يلطمون الخدود من الأيام الصعبة التي تنتظرهم والفاقة التي سيعانون ويلاتها! كل هذا الفيلم الممل الطويل السخيف نقرأ مشاهده كل يوم وأسعار المساكن لا تنخفض أبداً!

الأمر الداعي إلى الدهشة الممزوجة بالشك هو أنه لم يحدث أبدًا في مصر طوال السنين والعقود السابقة أن كانت أسعار الحديد خبرًا رئيسيًّا على صفحات جرائدنا، لكن الأمر أصبح خبرًا يوميًّا منذ تخلت الحكومة عن مصانع الحديد المملوكة للمصريين، ومنحتها للأصدقاء الأعزاء، ليربحوا منها المليارات بدون حساب. ولم أعد أفهم هل الإشارة إلى الانخفاضات المتتالية في أسعار الحديد تهدف إلى أن يهدأ (القر) ويقل (النق) على الأستاذ أحمد عز الذي تابع المصريون في السنوات السابقة صعود أسعار حديده بصورة جنونية، وصعود أرباحه بالتبعية؟ هل أصبح مطلوبًا أن ينال عز عطف الجماهير بعد أن هبطت أرباحه في الربع الأول من عام ٢٠٠٩ كما نشرت الصحف إلى ٦٦ مليون جنيه بدلًا من ٤٣٦ مليون جنيه في الفترة المماثلة من العام الماضي؟ هل مطلوب أن يكتتب المصريون لتعويض الأستاذ عز عن هذا الانخفاض الحاد في أرباحه الذي جعله يكسب ٦٦مليون جنيه فقط في ثلاثة شهور! إذا كان الأمر كذلك فلا بأس من أن يتساند المصريون، ويقفوا إلى جوار أخ فاضل في محنته، ما دام هذا هو السبيل الذي سيجعل أخبار انخفاض أسعار الحديد على صفحات الصحف تختفي وتغور في ستين داهية؛ لأنها أخبار تزيد الناس تعاسة على تعاستهم، حيث إن أسعار الشقق في ارتفاع يزداد كلما انخفضت أسعار الحديد!

ومن الأخبار التي تهزأ بالناس أيضًا وتضاعف جراحهم أخبار العلاوة التي تتحدث عنها الصحف مع قدوم الصيف كل عام. يدور الحوار حول مقدار العلاوة، وهل تكون خمسة بالمائة كما يقترح البعض أم تقوم الحكومة بتضحية كبرى لا تقدم عليها سوى الحكومات الحنونة ذات الأثداء، وتعطي المواطن عشرة بالمائة من مرتبه.

والحقيقة أن هذا الخبر بالذات يصيبني بغم عظيم؛ لأنه وبفرض أن الأسعار لن ترتفع بمقدار مائة في المائة بعد العلاوة كما حدث العام الماضي.. أقول بفرض ثبات الأسعار فما الذي تستطيع بضع جنيهات أن تفعله للمواطن الذي يشاهد وطنه ينهب أمام عينيه، ثم يشكومسئولوه من أن العين بصيرة واليد قصيرة. إن زيادة تقل عن مضاعفة الرواتب بمقدار عشر مرات على الأقل تعتبر هزلًا سخيفًا لا يليق بحكومة توزع أراضيها ومصانعها على الأحباب بالمجان. نعم العلاوة ينبغي ألا تقل عن ألف بالمائة حتى يتمكن المواطن من أن يحيا حياة تقترب من حياة الآدميين. أما الظرفاء الذين سيتساءلون عن الموارد التي تكفل تغطية هذه الزيادة، ومن أين يمكن تدبيرها، فنحيلهم إلى خبر التعويض الضخم الذي قضت المحاكم الدولية بأن تدفعه مصر للسيد وجيه سياج نتيجة لقيامها بسحب الأرض التي خصصتها له في طابا، وإعطائها لمستثمر آخر.. ستقوم الحكومة المصرية بدفع ٧٥٠ مليون جنيه سوف يتم استخلاصها من النخاع الشوكي لشعب مصر من أجل سدادها للسيد سياج. وعلى كل من ينوي الاستظراف والتساؤل عن موارد نرفع بها مرتبات المواطنين أن يعرف أن الأراضي التي تم توزيعها بالمجان على القتلة وغيرهم، فباعوها، وبنوا عليها مدائن عظيمة للأثرياء.. هذه الأراضي كانت تستطيع أن تغطي تكلفة علاوات للشعب الصيني الصديق، وليس فقط شعب مصر. كما أن الأرض الزراعية التي يتم استصلاحها بأموال وعرق شعب مصر يجب بيعها بفلوس - إذا كان ليس من البيع بد - بدلًا من منحها هدايا مجانية للمغامرين والقراصنة، فيتركونها تبور، ولا يقومون بزراعتها متعللين بأن عقد التخصيص لم يتضمن بندًا ينص على وجوب زراعتها.. آه والله!! كما أن إغلاق قنوات التليفزيون المصري العبثية التي تلتهم أموالًا باهظة ولا يشاهدها أحد هي أحد سبل توفير المال لتغطية العلاوة، وكذلك الصحف الحكومية التي جلب بعضها العار لمصر لتدني مستواها وانحطاط مضمونها يجب إغلاقها غير مأسوف عليها حتى نوقف نزيف الأموال التي يستهلكها صدورها.

لاحظوا أنني لم أتحدث عن زيادة الإنتاج أو بناء المصانع.. كل ما ذكرته يتعلق فقط بالكف عن استباحة مصر لفترة من الزمن.. وأترك تقديرها لأريحيتهم.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

الفيلق الإعلامي.. العرمرم

لماذا يتحرج البعض من وصف الخونة بأنهم خونة؟ ولماذا يعتقد البعض أنه من التحضر أن نبتعد عن إطلاق هذه الأوصاف على من يستحقونها خشية أن نكون مخطئين في حكمنا عليهم؟ ولماذا نكون بهذه الرهافة والحذر في إطلاق التهمة، حتى بعد أن نتأكد بأنهم فعلًا منقوعون في الخيانة؟

أعجب أشد العجب كلما قرأت دعوة لأحد الحكماء من السادة الكُتاب ينصح فيها بالبعد عن التخوين فيما بين المصريين وبعضهم البعض، حيث إننا جميعًا وطنيون نذوب عشقًا في هذا الوطن، ولا نريد إلا مصلحته وإن رآها كل منا من زاويته، ودعا إليها من منبره وعمل على تحقيقها بأسلوبه الخاص.

وسر العجب هو إدراكي أننا لسنا جميعًا وطنيين، كما يعتقد أصحاب دعوة نبذ فكرة التخوين، ولسنا جميعًا صرعى هوى هذا الوطن، وإنما يقيم بيننا بعض من أشد الناس خيانة لمصر وأهل مصر، وأشدهم كراهية ونقمة واستهزاء بكل ما هو وطني وعربي وإسلامي. لكن السؤال هو: هل كل ناقم كاره مستهزئ هو بالضرورة خائن لهذا البلد؟ والإجابة هي: إنهم ليسوا جميعًا أقوياء بدرجة كافية تجعلهم كذلك، لكن من بين هؤلاء يظهر أصحاب الجسارة والقدرة على تحويل الكراهية والبغضاء ومشاعر الاحتقار إلى أفعال ماسة وضارة وقاتلة للوطن وأصحابه الطيبين.

والحقيقة أن الخائنين لهذا البلد قد نجحوا في تكوين فيلق إعلامي شديد البأس نجح في تخويف الناس من تسمية الأشياء بأسمائها، وفرض عليهم الحذر والتأني، بالضبط كما يفعل المتآمرون عندما يتهمون من يعمل على كشفهم بأنه مؤمن بنظرية المؤامرة، مع أن الإيمان بنظرية المؤامرة ليس جريمة نعتذر عنها، لكننا أصبحنا نتحسس الخطى ونسوق المبررات، ونكتب مقدمة طويلة كلما أردنا أن نتحدث عن مؤامرة واضحة للعيان، ولا ننسى في الغالب أن نبدأ هذه المقدمة بأننا لا نؤمن بنظرية المؤامرة، ومع هذا نود أن نقول: كذا وكذا كذا!

يقول أعضاء فيلق الخونة الإعلامي: إن تهمة الخيانة خطيرة وتجرد الإنسان من شرفه واعتباره بين الناس (وهذا صحيح)، لكنهم يخلطون بين فضيلة كشف الخائن وفضحه، وبين جريمة قذف المحصنات، وهذا يؤدي بالشرفاء إلى التراجع خوفًا ليس فقط من اقتراف جريمة نشر يعاقب عليها القانون، وإنما من ارتكاب كبيرة تعاقب عليها السماء. وعلى سبيل المثال أود أن أسألكم عن رأيكم في جريمة الهروب من أداء الخدمة العسكرية.. لا شك أنها جريمة ماسة بالشرف، ولكن هل ترقى لدرجة الخيانة؟ الإجابة أنها ترتفع لدرجة الخيانة إذا حدثت وقت الحرب. والحاصل أيها السادة أن بعضًا ممن يمثلونكم في مجلس الأُنس قد هربوا من التجنيد وقت حرب الاستنزاف عندما كانت مصر الجريحة تنزف صديدًا مخلوطًا بالدم، والآن أصبحوا أسيادًا للبلاد يملكون الأراضي والمشاريع والتوكيلات، ويديرون الدولة لمصلحتهم، وهؤلاء وأمثالهم هم الذين قاموا بتكوين الفيلق الإعلامي الذي يحارب في صفوفهم، ويقوم بمهاجمة وتجريح من يذكر الحقيقة عنهم، ويصفهم بأوصافهم الحقيقية.

مثال آخر: أحيانًا تخطئ الأحكام القضائية وتدين الأبرياء في حكم أول درجة نتيجة قلة الخبرة أو ضغط العمل وكثرة القضايا، وعادة ما تتكفل درجات التقاضي الأعلى بتصحيح الخطأ، ولكن ماذا عندما تكون القضية مرفوعة من غير ذي صفة على نحو واضح تمامًا يفهمه القاضي كما يفهمه العجلاتي والسباك والفسخاني، وتكون الوقائع ملفقة بصورة جلية يراها المكوجي والخباز والقرداتي، ومع هذا يحكم القاضي في مستويات التقاضي الأعلى بالإدانة ويقوم بإصدار الحكم واضح الجور الذي يصدم زملاءه القضاة ويكون موضع سخرية المجتمع كله؟! ومع هذا لا أحد يجرؤ على الحديث عن الخيانة الواضحة التي ارتكبها رجل نأتمنه على رقابنا، ويظل الجميع يتحدثون عن احترامهم للحكم القضائى ويؤكدون على أنهم لا يقصدون التعليق على الحكم أو انتقاده، وينشط الفيلق الإعلامي في التأكيد على أن الحكم هو عنوان الحقيقة، مع أن نفس رجال الفيلق لا يعلقون على تجاهل الحكومة تنفيذ آلاف الأحكام التي لا ترضي أسياد رجال الفيلق.

وفي السياسة الزراعية في السنوات العشرين الماضية يمكننا أن نلمح الكثير من الأخطاء والجرائم، مثل تجريف الأرض الخصبة والاهتمام بالكنتالوب والفراولة على حساب القمح وهكذا.. لكننا مع ذلك يمكن أن نبتلع أن هذا كله من قبيل الأخطاء التي حدثت بفعل الجهل، وقلة الاكتراث وليست بفعل الخيانة.. أما مسألة استيراد المبيدات التي تسبب السرطان فليست أخطاء ولا حتى جرائم عادية، لكنها خيانة مؤكدة في حق الوطن، ومع هذا يطلق نفس الفيلق غبارًا كثيفًا كلما فكر أحد في الحديث عن الأمر باعتباره خيانة، وفاعليه باعتبارهم خائنين!

هذه مجرد أمثلة بسيطة، ولن نتطرق إلى إسرائيل وعشاق إسرائيل ومحبيها، المغرمين بجرائمها في حقنا، والمعجبين برجالها السفاحين ونسائها من قتلة الأطفال، ولن نتحدث عمن يساهمون في تحقيق حلم إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات بكل ما أوتوا من قوة، ومن خلفهم فيلقهم الإعلامي العرمرم!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

صباح الخير على التفاعلي

اعتدت أن أقرأ المصري اليوم في طبعتها الورقية، خلافًا لصحف أخرى أتصفحها عبر النت. اليوم الثلاثاء ٢ يونيو لم تصلني الجريدة فدخلت إلى موقعها الإلكتروني، وقرأت في الصفحة الأخيرة خبرًا عن أول اجتماع لرابطة قراء المصري اليوم. يقول الخبر: إنه بمبادرة من الكاتبة أمل السامرائي وبحضور عدد من الكتاب والصحفيين عقد معلقو الموقع الإلكتروني وقراء المصري اليوم اجتماعهم الأول بعد تكوين الرابطة وذلك في نادي جاردن سيتي.

لم أكتف بالخبر، وإنما مضيت في قراءة تعليقات القراء الذين كان أغلبهم عاتبًا على أن تفوته مثل هذه المناسبة، وألا توجه إليه الدعوة لحضورها، وبعضهم تساءل عن شروط العضوية في الرابطة، والجميع كان سعيدًا بأن يقوم القراء بتنظيم مثل هذه الرابطة. غير أن تعليقًا من بين التعليقات ضرب كرسيًّا في الكلوب عندما كتب صاحبه ما يلي: (الإخوة الأفاضل.. اتصلت بي من المطار الكاتبة المحترمة أمل هانم السامرائي لتعلن لي اندهاشها بعدما قرأت الجريدة الورقية للمصري اليوم، وأرسلت التصحيح التالي: إنها كانت حفلة تعارف عادية قد دعت هي لها بين الكتاب وبعض المعلقين، وقد تبادل الحضور الحوارات الجانبية الشيقة مع تبادل قراءة أبيات من الشعر بين الكتاب ومعلقي المصري اليوم مما أضفى جوًّا من الحميمية والسعادة بين الجميع). هذا هو التعليق الذي نسبه القارئ للكاتبة الأستاذة أمل السامرائي.

ما فهمته من الخبر والتعليقات عليه أن السيدة الكاتبة كانت قد دعت بعض أصدقائها لحفل عشاء، ومن بين هؤلاء الأصدقاء سادة أفاضل يشاركون بالتعليق على موضوعات المصري اليوم، ولهذا ربما تصور محرر الجريدة أن هذا اللقاء هو أول اجتماع بين الكتاب وقراء الصحيفة والموقع، لا غبار على هذا كله.. لكن الغبار المخلوط بالماء أتى بعد أن دفعني الفضول لأقرأ مقالات السيدة أمل السامرائي الموجودة على الموقع. قرأت في صحيفة الخميس الماضي ٢٨مايومقالًا عنوانه (بين شيخوخة وميلاد) وأوله: (اشتقت إليك.. أترقب صوت الريح القادمة بك تطوي مسافات الغياب محاطًا بسنابك الحقيقة.. ممتشقًا سيف الحق تتهاوى على أنصاف الآلهة، والهلاميات الملتحفة بأردية التعالي والغرور، يهوي على رءوس اليأس.. يستفز الإرادة المسلوبة وموروثات الحضارة المتوارية خلف جدران الضعف).

ليست المشكلة في أنني لم أفهم أي شيء من هذا الكلام، فلقد اعتدت أن أقرأ الكثير مما لا أفهمه. المشكلة أنه كان هناك كرد فعل على هذا الكلام ٨٩ تعليقًا من القراء، وهي نسبة لوتعلمون مهولة لا يحظى بها أحد من كتاب المصري اليوم العتاولة المشهود لهم بالاقتدار والموهبة مثل: حسن نافعة، وعمرو الشوبكي، وعمار علي حسن، وعزت القمحاوي، وجلال عامر، وغيرهم (من حُسن حظ بلال فضل أنه أخرج نفسه من هذا المولد)، شرعت أقرأ التعليقات حتى أفهم سر التفاعل بين القراء وبين هذا المقال الأقرب إلى الخواطر التي يكتبها التلامذة المحبّون في دفاترهم، فاكتشفت شيئًا عجيبًا.. التعليقات جميعها لا علاقة لها من قريب أو من بعيد بالمقال

المكتوب. هم مجموعة من الأصدقاء يجمعهم الإعجاب بالكاتبة والمعرفة الشخصية بها، يلتقون في هذا المكان للسؤال عن الأهل والأحباب، ويقدمون لبعضهم التهاني في الأفراح والتعازي في الأحزان، ويعرض كل منهم على الآخرين آخر أخباره كما يقدم لهم إنتاجه في الشعر والزجل والمقال. ولاحظت أنهم يقومون بتنحية الكاتبة جانبًا في بعض الأحيان، ويستغرقون في مناقشة قصيدة أعجبتهم لواحد منهم أو فكرة جديدة واتت أحدهم وقرر ألا يحرم منها أصدقاءه. عندما تركت هذا المقال وانتقلت إلى مقال آخر وجدت الأمر نفسه يتكرر.. السؤال عن صحة طانط، وتهنئة الابنة الحبيبة بالمولود الجديد، وأشياء من هذا القبيل! مضيت من مقال إلى مقال، وأنا غير مصدق أن هؤلاء الأصدقاء استعاضوا بالموقع الإلكتروني للمصري اليوم عن الذهاب للمقهى، وأدركت أنهم في أغلبهم ليسوا قراء للمصري اليوم ولا دياولو، بدليل أنهم يحضرون فقط يوم الخميس، ويقومون بالتعليق فقط على مقال صديقتهم.. آسف لا يعلقون على المقال وإنما يجتمعون حول المقال، وينصبون القعدة الحلوة، ولا يكتفي الواحد منهم في العادة بتعليق واحد، وإنما تجد للبعض أكثر من عشرين تعليقا لم يمس المقال الذي يجلس على ضفافه بكلمة واحدة!!

الخلاصة أنني وجدت المكان وقد تحول إلى غرفة من غرف الدردشة الموجودة على النت، والتي يؤمها الأعضاء المشتركون في الاهتمامات من أجل الأنس والسرور. سرحت في تأمل المسألة ووجدتها طريفة للغاية وجديدة.. أن يأتي الكاتب ومعه فريق المشجعين والهتّيفة مثل البرامج التليفزيونية التي تأتي بشباب مهمته الضحك والتصفيق؛ لتلميع الضيف حتى لوكان ما يقوله لا يستدعي الضحك ولا يستحق التصفيق. ورغم أنني لا أعتقد أن هذا هو الغرض من إنشاء الموقع التفاعلي إلا أنني أفكر جديًّا في استعارة التجربة - ما دامت مباحة - وأن أقوم باستدعاء أصدقائي القدامى من باب الشعرية لمؤازرتي على الموقع الإلكتروني.. غير أن ما يمنعني هو تخوفي من أنهم لن يكتبوا تعليقًا على ما أكتب سوى كلام.. أبيح!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أكذوبة التفاعل بين القارئ والكاتب

كتبت في الأسبوع الماضي مقالًا تناولت فيه حالة رأيتها لفرط غرابتها جديرة بالتنويه والإشارة. وتوقعت أن يلفت ما كتبته الانتباه ويثير حوارًا نافعًا أيًّا كانت نتيجته. لكنني لفرط الدهشة فوجئت وسط تعليقات محترمة بردود أفعال غاية في الغرابة على نحو يعبر عن خلل في الاستقبال، وخلل في التمثل والهضم، وغياب تام للعقل والمنطق وأدب الحوار.

كنت قد أشرت إلى حالة نبهني إليها بعض الأصدقاء وهي تتمثل في أن مقالات السيدة الفاضلة الكاتبة الأستاذة أمل السامرائي تحظى بتعليقات كثيرة للغاية، وأن هذه التعليقات على كثرتها لا تلتفت إلى مقال الكاتبة، ولا تحاول مناقشته، وإنما كلها عبارة عن دردشة بين جمع من الأصدقاء يتجمعون حول المقال، ولا يتناولونه أبدًا بالنقد أو التعليق، وإنما يكتفون بتبادل التحيات والسلامات والسؤال عن الأهل والأصدقاء، كما يضعون أشعارًا ومقالات وأذكارًا وأورادًا وكل ما يخطر على البال، لكنهم أبدًا لا يقتربون من المقال الذي يجتمعون حوله. ورأيت أن هذه تمثل حالة غريبة من التفاعل بين الكاتب والقارئ، وتمثل ظلمًا بيِّنًا للكاتب، ولا أظنها كانت في ذهن الذين اخترعوا فكرة التعليق من الأساس. انتظرت أن أحظى بتفسير لهذه الحالة يجيب عن سؤالي، لكني لم أحظ إلا بشتائم وإهانات وتهكمات من أناس ظنوا أنني أهاجم كاتبتهم المفضلة، فانبروا يتصدون للمعتدي الأثيم! مع أنني والله لم أتناول الكاتبة بأي إساءة ولا يمكن أن أسمح لنفسي أبدًا بهذا، فأنا لا أحمل لها أو لغيرها من الكُتاب الأفاضل سوى كل احترام وتقدير. لكن هذا الاحترام لا ينفي أنني لا أفهم شيئًا مما تكتبه ولا يسحب مني الحق في انتقاد ما أراه مستحقًّا للنقد.. ومع هذا فإنني أنا الذي قمت طواعية بسحب هذا الحق من نفسي ولم أستخدمه، فعندما تناولت ما تكتبه السيدة الفاضلة لم أقل سوى أنني لا أفهمه.. وأعتقد أن أذواق الناس المتباينة تسمح لي بهذا، ولم أنكر على سيادتها الحق في أن يكون لها قراء ومعجبون يختلفون عني في الذوق ويميلون إلى ما لا أميل إليه. كل ما تساءلت بشأنه هو: ما دمتم تحبون الكاتبة كل هذا الحب، وتعجبون بكتابتها كل هذا الإعجاب، فلماذا إذن تتجاهلون ما تكتب، وتجتمعون حوله فقط لتبادل التحيات والسلامات؟ وأنا أسألكم أيها القراء الأفاضل: هل في سؤالي هذا أي تطاول؟ هل به أي إساءة أدب؟ هل قمت من خلال سؤالي هذا بالتعدي على السادة كاتبي التعليقات؟.. فوجئت بسيل من الردود على مقالي بعضها كان مهذبًا وموضوعيًّا، لكن أغلبها لم يترك نقيصة في الدنيا لم يلصقها بي.. أحدهم طلب مني أن أعرض نفسي على طبيب نفساني.. فهل يا ترى كان سؤالي الذي أراه منطقيًّا يدل على خلل عقلي يستوجب العلاج؟ وشخص آخر يوقع تعليقاته باسم (باتمان) خاطبني قائلًا: (أيها المسكين) على الرغم من أن ما كتبته لا يتضمن أي مسكنة.. يتضمن فقط سؤالًا تجاهلوه جميعًا، ولم يجيبوا عنه بنفس الطريقة التي يتجاهلون بها مقالات الكاتبة التي توهموا أنهم يدافعون عنها! وبعض تعليقاتهم وجهت لي اتهامًا صريحًا بالحقد والغيرة! وأنا حقيقة لا أفهم أي حقد وأي غيرة.. إن الكاتب لا شك يسعد بتفاعل القراء مع ما يكتب، ولكن هل يظنني من اتهموني بالحقد والغيرة يمكن أن

أسعد عندما يجتمع حول مقالي مجموعة من القراء يضعون المقال جانبًا، ثم ينهمكون في حديث لا يخصني ولا علاقة له بما كتبت؟.. بعض التعليقات تساءلت: لماذا تقحم نفسك على مكان يلتقي فيه أناس يجمعهم الحب والود والصداقة في زمن عز فيه الحب والود، واختفت الصداقة؟ ولهؤلاء أقول: إنني لم أكن يومًا من أعداء الحب والصداقة.. لكنني شخصيًّا أقابل أصدقائي على القهوة أو أجتمع بهم على المسنجر، وفي غرف الدردشة.. أما الصحيفة فلا أراها مكانًا مناسبًا لمثل هذه الجلسات، وكان قصدي من المقال أن ألفت انتباه المصري اليوم إلى هذه الظاهرة حتى لا تتسع، ويأتي كل كاتب بأصحابه للائتناس بصحبتهم بعيدًا عن الغرض الحقيقي من فكرة التعليقات.

ولعلكم تتساءلون: وكيف سمح الموقع الإلكتروني للصحيفة لتعليقات تتضمن سبابًا، وشتائم، وتهكمات أن تظهر على الرغم من أنه قد تم التبليغ أكثر من مرة عنها باعتبارها تعليقات غير لائقة؟ ولا أحب أن أضيف تساؤلًا وصلني في عشرات الرسائل من قراء زعموا أن تعليقاتهم المؤيدة لرأيي قد تم حجبها! ذلك أنني عرفت من الأصدقاء بالجريدة أن أسبابًا فنية قد جعلت تعليقات من شتموني تبقى وجعلت تعليقات من أيدوني تختفي!!

ومع كامل تقديري للأسباب الفنية فإنني أتقدم إلى السيد رئيس التحرير برجاء وضع مقالاتي من الآن فصاعدًا بدون تعليقات؛ لأنه قد نالني من السباب ما يكفيني من جانب أناس يحتمون بأسماء حركية، ولأنني بصراحة أخشى أن تستمر الأسباب الفنية في السماح لشخص اسمه (باتمان) (لا أدري إذا كان رجلًا أم امرأة) أن يقذفني بالطوب وهو آمن ينعم بالدفء وسط أصدقائه التفاعليين، فإنني أتمنى إلغاء حكاية التعليقات التي أخذناها عن الغرب دون أن نأخذ عنهم الاحترام والتزام حدود الأدب.

سوق الجمعة.. يوم الإثنين!

لي رأي في موضوع التعليقات التي أصبحت متاحة للقراء أسفل المقالات والأخبار والمواد التي تبثها الصحف في طبعاتها الإلكترونية، وأخشى أن هذا الرأي قد لا يعجب بعض القراء، لكن الحقيقة أن أقل التعليقات المنشورة هي التي تتسم بالمسئولية والموضوعية والذوق، أما الغالبية العظمى من التعليقات فهي عبارة عن تجريح وشتائم بدون سند أو مدح شديد بدون أسباب أو هذيان لا معنى له! وللأسف فإن أصحاب التعليقات المجنونة يفسدون المكان على قراء في غاية الرقي والاحترام كنت أتمنى أن تتاح لي فرصة التواصل معهم، غير أني لا أجد الفرصة.

والبداية كالعادة كانت من صحف الغرب التي ننقل منها كل التقاليع، وقد أرست مبادئ خاصة بتعليقات القراء منها أن يكون لصاحب التعليق حسابًا لدى الموقع ويكون اسمه وهويته معروفين للجريدة حتى لا يختبئ وراء جدار ويلقي بأحجاره على من يشاء دون مسئولية. وأتاحوا كذلك فرصة التعليق لغير المشتركين في حساب، وهؤلاء يكتبون تحت اسم (زائر) ولكن لا يتم نشر تعليقاتهم إلا بعد مرورها على مسئول الموقع والتأكد من خلوها مما يسيء. هذا وقد حذت الصحف العربية

حذو الأجانب في مسألة إتاحة التعليق، لكن الفوضى التي تحكم حياتنا كان لها نصيب في مواقع الصحف على النت فصارت مثل سوق الجمعة الذي يقام يوم الإثنين ويخلو من أي قواعد، فهناك تعليق يرسله صاحبه عشر مرات ويجد طريقه للنشر وهناك تعليق لا صلة له بموضوع المقال بتاتًا، وهناك من المختلين عقليًّا من ينشرون موضوع إنشاء يزيد عن مائة صفحة أسفل عمود مكونٍ من ثلاثمائة كلمة! وبالتأكيد لا تكون هناك صلة بين العمود وبين الكتاب الذي ألّفه صاحبه ووضعه تحت المقال!

والحقيقة أن هناك من التعليقات التي أقرؤها ما يتضمن سؤالًا يريدني صاحبه أن أجيبه عليه، وأجد صعوبة في ذلك لأنني لا أتحاور إلا مع من يراسلني على البريد الإلكتروني ويكتب اسمه بوضوح إذ إنني لا أدخل حوارًا مع شبح خفي يكتب بإمضاء (زائر) أو يوقع باسم القط الأسود أو الجن الجنزاري أو السيخ المحمي. وقد لجأت بعض مواقع الصحف لتقييد عدد الكلمات المسموح بها في التعليق لضمان المعقولية، ولكن البعض الآخر يترك المسألة لضمير القارئ وهو ما يستغله المهاويس والحمقى أسوأ استغلال.

لكن على كثرة ما تحفل التعليقات بالغرائب لم أر أغرب من هذا التعليق الذي قمت بعمل قص ولصق له حتى تروه كما هو وتساعدوني في فهم مغزاه. التعليق تم نشره في (الدستور) الأسبوع الماضي وكان كالتالي:

أرسلها سامي عبد الوهاب الشرقاوي () يوم الجمعة ١٤/٥/٢٠١٠، الساعة ٤. ٤٥:

كل عام وسيادتكم بخير يا سيادة الرئيس وعيد ميلاد سعيد ويارب دائما في أحسن صحة وأحسن حال وربنا يخليك لنا ويطول لنا في عمرك، وبهذه المناسبه أعلن باسمي واسم الشعب المصري عن مبايعتي لكم في الدورة الجاية ومن بعده لابنك وحبيب الشعب المصري حبيبنا جمال مبارك ربنا يحفظه بالسلامة... (من ابنك/ سامي عبد الوهاب عبد الغني محمد الشرقاوي.. مدير إدارة التعاون الدولي والبحوث الفنية بمصلحة الجمارك بالإسكندرية.. وعضو النقابة العامة للعاملين بالضرائب والجمارك... وعضو لجنة القسم بالحزب الوطني بالدخيلة بالإسكندرية.. حساب البنك الأهلي رقم/ ٠١٠٠٠٠١٣٩٢٦)!!

أرأيتم التعليق الذي يتضمن مبايعة الرئيس ومبايعة جمال مبارك من بعده وقد وقعه صاحبه باسمه الخماسي ثم قام بإرفاق رقم حسابه البنكي!.. ولقد تخيلت من رقم الحساب أن صاحبه يسعى لطلب تبرعات، لكن الحكماء أوضحوا لي أنه وضع رقم حسابه حتى لا يكون هناك لبس في هويته وحتى يتأكد المعنيون بالرسالة أنه هو مرسلها وليس شخصًا آخر!

ورغبة مني في مساعدته على توصيل مشاعره فهأنا أعيد نشرها مرة أخرى..

فعساه بالغ أمله ولعله لا ينساني بعد أن يتحقق المراد!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

يا ترى انت فين يا مرزوق

يا ناعسة لالا لالا

ما عادش فيها قوالة

السهم اللي أصابني

هالكني لا محالة

(عبد الرحمن الأبنودي)

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

يا ترى انت فين يا مرزوق

منذ سنوات عندما ذهبت لإحدى الدول العربية للعمل، كان أول ما فعلته أن قمت باستئجار شقة مفروشة من أجل السكن، وتسلمت المفتاح من الشركة المالكة للعقار.

في الأيام الأولى لم يكف جرس التليفون عن الرنين، وكانت المكالمات جميعًا تسأل عن شخص اسمه محمد مرزوق. عرفت من المتصلين أن مرزوق هذا كان الساكن السابق بالشقة، كما عرفت أن رحيله عن المسكن، وعن البلد كان أمرًا مفاجئًا لهم. والحقيقة أن الذهول كان رد فعل الجميع لدى علمهم بأنني الساكن الجديد، ووجدت نفسي مستاء من فكرة أن أكون من يبلغهم الخبر الصادم، خاصة وأن بعضهم كان يستحلفني ألا أبخل بأي معلومات تكون لديّ عن مكانه. حفلت المكالمات بقصص متضاربة عن محمد مرزوق فبعضهم وصفه بالشهامة والجدعنة والبعض الآخر تحدث عن نذالته، غير أنه جمع بين أصحاب المكالمات أن مرزوق أخذ فلوسهم وطار! رثيت لحالهم بعد أن قصوا عليّ حكايات عديدة عن الأموال التي أخذها على سبيل الاقتراض أو كنصيب في شراكة تجارية. وكان بين ضحاياه بعض النساء والفتيات اللاتي وعد كلًّا منهن بالزواج بعد أن يؤسس شركته الخاصة، فقمن بمنحه المال والمصاغ، لكنه اختفى فجأة بعد أن أخذ المصاري وأشياء أخرى! أكدت لهم أنه رغم تعاطفي البالغ إلا أنني لا أعلم شيئًا عن صديقهم الهارب. بعدها رجوتهم أن يترفقوا بي، ويكفوا عن الاتصالات الليلية، ويبحثوا عن أخباره بعيدًا عني.

لم تتوقف المكالمات، فقمت بنزع القابس، ونويت أن أستغني عن التليفون إلى أن أقوم بتغيير الرقم. ظننت أنني أصبحت أستطيع النوم في هدوء لكن هيهات.. بدأ اليائسون يفدون إلى البيت يطرقون الباب للتأكد من أن الموضوع ليس حيلة أو مزحة من مرزوق، وقد ذكّرني أمرهم بضحايا توظيف الأموال الذين توافدوا على مقار الشركات بعد أن قامت الحكومة وأصحاب اللحى بسرقة فلوسهم.

وقد اضطررت لاستقبال عدد منهم، واستمعت إلى حكاياتهم. كانت هناك الممرضة الرومانية التي بكت، وهي تروي لي كيف منحته سبعمائة دولار هي كل ما ادخرته كمساعدة لإتمام زواجه بها، وكان هناك التاجر الذي سحب منه أجهزة كهربائية بعدة آلاف من الدولارات، وصاحب مكتب السياحة الذي أعطاه تذاكر سفر على الحساب، ومُدرسة الموسيقى التي أقرضته العود والكمان خاصتها، غير البقال والجزار والفاكهي والحلواني.. الرجل في الحقيقة لم يترك أحدًا لم يقترض منه.

كنت مدهوشًا من قدرة رجل واحد على خداع كل هؤلاء، ومنهم المتعلم، والتاجر ابن السوق، والعربي، والأجنبي، لكن أحد الضحايا قدّم لي تفسيرًا للأمر، قال لي بعد أن سمحت له بالدخول ودعوته إلى فنجان شاي: لقد كان هذا الرجل شخصًا استثنائيًّا يندر أن تقابل مثله.. كان حلو الحديث يأسرك من أول لقاء، بل كان كالساحر يجعلك تخرج الفلوس من جيبك وتتوسل إليه أن يأخذها، وأردف: سأحكي لك حكايتي معه.. كنت قد دفعت له ألفي دولار كجزء من ثمن سيارته التي عرضها للبيع، ثم عرفت بعد ذلك أنه باعها لشخص آخر. ظللت عدة أيام أطارده في التليفون

وهو يروغ مني، ثم أطبقت عليه بالزيارة بدون موعد في صباح يوم جمعة، وأنا على استعداد لارتكاب جريمة لأحصل على فلوسي. فتح الباب وعلى غير ما توقعت رأيت وجهه متهللًا لدى رؤيتي. قال لي: إنت ابن حلال.. لقد كنت أجهز الإفطار، وقد أرسلك الله حتى لا أفطر وحدي، فقلت له في حزم: لا أريد إفطارك.. أنا هنا من أجل الفلوس. ضحك طويلا وهو يخرج الفلوس من جيبه، ويناولني المبلغ قائلًا: لم أكن أعلم أنك بهذا الغباء، وكنت أحسبنا أصدقاء.. هل ظننتني لصًّا أو نصابًا.. لقد كنت في أزمة مالية وقد فرجت والحمد لله.. افرد وجهك يا رجل وهيا نفطر، ثم ننزل لنصلي الجمعة. وأضاف الرجل يحكي لي: في الحقيقة أعد مرزوق إفطارًا عظيمًا، وتعامل معي بود بالغ وسأل عن أسرتي فردًا فردًا، وأشهد أن جلستي هذه معه ملأتني بالسعادة لكرمه البالغ، وحديثه الودود حتى أنني لعنت نفسي التي جعلتني أسيئ الظن بصديق مثله. بعد ذلك نزلنا، وفي الطريق إلى المسجد استأذنني في الوقوف أمام إحدى ماكينات الصرف الآلي، وأدخل بطاقته في الآلة، ثم تغير وجهه، والماكينة تنبئه بأن رصيده لا يسمح بسحب المبلغ المطلوب.. لاحظت أنه يجاهد دموعه، ثم سار صامتًا منكس الرأس. سألته: ما لك يا مرزوق؟ فقال: أبدًا.. الحسابات اختلطت عليّ، وكنت أعتقد أن الرصيد يكفي لشراء علاج أمي لهذا الشهر، لكن لا بأس سأتصرف. لم أشعر بنفسي إلا وأنا أخرج الفلوس التي أخذتها منه منذ قليل، ثم أرجوه أن يقبلها مني. رفض في إباء وسار مبتعدًا. لحقت به ووضعتها في جيبه عنوة.

سكت محدثي فقلت له: وبعدين؟ قال: لقد جعلني الملعون أعيد إليه طواعية الفلوس التي لم أهنأ بها سوى لدقائق.. وبعدها بساعات كنت أنت الذي يرد على التليفون في شقته!

أدب القرود

كلما ركبت الطائرة وشاهدت ابتسامة المضيفة، وكلما جلست في كافيتريا شيك وتلقيت نفس الابتسامة الحلوة تذكرت صديقًا لي كان حلم حياته أن يرتبط بفتاة رقيقة ناعمة ممن يراهن في الطائرات أو في المكاتب الأمامية بالفنادق أو حتى ممن تعملن بالاستعلامات في الشركات والمؤسسات الكبرى.

كانت ابتساماتهن وتلبيتهن لطلب العميل بكل ذوق ومودة تخطف لب صديقي وتطيح بصوابه وتجعله راغبًا في مفاتحة الفتاة في موضوع الزواج قبل أن يسبقه غيره ويخطفها منه! وكثيرًا ما حلم بأيام جميلة مع واحدة من هذه الكائنات اللطيفة الشفافة التي لا شك تنثر الفرح والسرور في بيت أي رجل يحصل عليها ويفوز بها!

وقد ساهم في نمو أحلامه أيضًا في هذا الاتجاه (اليونيفورم) اللطيف الذي ترتديه الفتيات وكم هو نظيف وأنيق خاصة لمن تعقد (إيشارب) حول الرقبة أو تضع حزامًا حول الخصر يوضح رهافة خصرها مع التحدث بعربية مخلوطة بكلمات إنجليزية كثيرة!

كان صديقي جادًّا في الأمر ولم يكن يتحدث على سبيل الدعابة أو المرح.

المشكلة أنني وقد اشتغلت منذ كنت طالبًا في الثانوي في أماكن كهذه كنت أدرك أن الصورة التي تبهر صديقي هذه هي صورة زائفة تمامًا، وأن دنيا الوظائف التي تتضمن تقديم الخدمة للزبائن تمور بالعجائب التي لو عرفها من يتلقى الخدمة لأصيب بالفزع!

لا يدرك الزبون بالطبع أن الجرسونات من الأولاد والمضيفات من البنات لا يكفون عن السخرية من الزبائن وإمطارهم بكل مضحك من الأوصاف مع كل اختفاء خلف كواليس المكان، ولا يدرك الزبون أنهم وأنهن يسخرون من منظره ومن ملابسه ويتندرون حول من تجلس معه بشكلها وهيئتها.. ويا ويله يا سواد ليله من ترك بقشيشًا ضئيلًا أو مضى بدون دفع بقشيش.. هذا يغامر بجعل أمه وأبيه عرضة للسباب المقذع من الفتيات الجميلات والفتية المهذبين!

وبعيدًا عن سوء السلوك الذي يميز بعضًا ممن يشتغلون ويشتغلن بهذه الوظائف فإن هناك جانبًا كبيرًا منهم أولاد ناس ومهذبون حقًّا، ورغم ذلك فإن ما يراه الزبون منهم ومنهن هو تمثيل في تمثيل. لا يعرف راكب الطائرة أن المضيفة التي تبتسم له في حنان ربما كانت في غاية التعاسة في هذا اليوم نتيجة مشاكل عائلية أو ظروف حياتية ضاغطة أو بفعل الدورة الشهرية! ولا يتصور من كان مثل صديقي الحالم أن موظفة الفندق ربما وصلت لاستلام نوبتها بعد صراع مرير داخل توك توك وميكروباص حملاها من كفر غطاطي إلى مصر الجديدة أو من الخصوص إلى الهرم، وأنها تنفق من جهازها العصبي لكي تبدو أمام العميل في الصورة التي يتوقعها هو ورب العمل. ولا أميل إلى استخدام الوصف الشائع عن الأدب الزائف في مواجهة الزبون بأنه (أدب القرود) مثلما يؤدي القرد عجين الفلاحة ونوم العازب ويقف أمام صاحبه في طاعة وهو في الحقيقة يود افتراسه! والعجيب أن أدب القرود هذا تقوم المعاهد بعمل كورسات متخصصة فيه وتدرّسه تحت مسميات متعددة من أجل تأهيل الشباب لسوق العمل!

ومن المفارقات أن الشاب الذي يرتدي البابيون والبدلة السوداء التي تشبه الردنجوت في العمل يعود إلى البيت فيرتدي الجلباب المخطط أو البيجامة (الترينج) والشبشب الزنوبة وبهما يتجول في الحي ويجلس على القهوة.. كما أن فتاة الفندق الكاعب الحسناء كثيرًا ما تقوم بارتداء الحجاب قبل اقترابها من شارعهم حتى تبدو متوافقة مع المحيط الذي تنتمي إليه!

وشخصيًّا مع كل تعامل مع مضيفة طيران أو موظفة فندق أجد نفسي متمنيًا أن أقول لها: أرجوك.. كوني على طبيعتك ولا تتجشمي عناء الابتسام لي.. أنا لست سعيدًا بابتسامتك لأنني أعلم أنها غير حقيقية.. يؤلمني أن أراك تعانين حتى أكون راضيًا عن أدائك.. من أنا حتى أرضى أو أغضب؟.. يكفي أن تقومي بعملك بحياد وأدب ولا داعي للابتسام على الإطلاق.. أنا لست باشا ولا صاحب معالي.. أنا رجل شقيان مثلك ولكني لا أبتسم لمن لا يستحق الابتسام.. وربما عليّ أن أحمد الله على هذه النعمة الكبيرة جدًّا!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

بريدي الإلكتروني

كل مرة أقوم فيها بفتح بريدي الإلكتروني أجد عددًا كبيرًا من الرسائل، وعندما أشرع في تصفحها يتضح لي أن أكثر من ثمانين بالمائة منها هي رسائل لم تُكتب لي بالتحديد، وكاتبها لم يقصدني بالذات، وإنما هي رسائل أطلقها صاحبها في الفضاء الإلكتروني إلى متلق غير محدد! بعضها يرسله كُتاب هواة يبحثون عمن يقرأ لهم فيجمعون العناوين الإلكترونية، ويرسلون لها إنتاجهم. ولقد كان من الممكن أن أقرأ هذه الكتابات، وأتجاوب مع أصحابها فقط لو أن كاتبها وجهها لي شخصيًّا. هناك أيضًا المجموعات البريدية التي يشركونك فيها بالإكراه ثم يمطرونك بوابل من منتجاتهم، ويتركونك تصارع من أجل أن يتم حذفك من مجموعتهم، فإن تعطفوا عليك حذفوك قبل أن يعودوا بعد يومين ويمنحوك عضويتهم من جديد!

وهناك أيضًا سلسلة من الرسائل تصلني من قارة إفريقيا، يومًا من نيجيريا واليوم التالي من توجو، وأحيانًا من ساحل العاج، ويقوم المرسل بتعريف نفسه في الغالب بأنه محام مسئول عن ثروة مات صاحبها دون أن يكون له ورثة، وأن الحكومة ستستولي عليها إذا لم أساعده في تخليصها، ويعدني كاتب الرسالة بحصة في الثروة لا تقل عن عشرة ملايين دولار.. كل المطلوب مني للحصول على هذه الملايين هو أن أرسل له اسمي وعنواني ومبلغ في حدود خمسمائة دولار رسوم إدارية! (ولا أعرف لماذا لا يدفع هو الخمسمائة دولار ويأخذ الثروة لنفسه!).

هذا غير الرسائل التي تحمل البشرى بأن اليانصيب (اللوتري) الذي تجريه مؤسسة كذا، قد أسفر عن فوزي بالجائزة الأولى، وقدرها خمسمائة ألف جنيه إسترليني سيرسلونها إليّ بعد أن أقوم بسداد مبلغ مائة دولار (ولا أعرف أيضًا لماذا لا يرسلون المبلغ مخصومًا منه مائة دولار!).

ولكن ليس هناك أظرف من الرسالة التي أخطرني مرسلوها بأنني قد فزت في السحب العشوائي للهجرة إلى أمريكا، وبعد أن طلبوا مبلغًا من المال كما توقعت سألوني في نهاية الرسالة عن اسمي!!

أحدث الرسائل التي تسلمتها بالأمس كانت من شاب فقد أمواله وجواز سفره في لندن، وهو لا يستطيع للأسف مكالمة أحد في بلده؛ لأنه فقد أيضًا هاتفه المحمول وعليه قائمة بكل الأرقام التي يحتاجها. والفتى لا يريد إلا مبلغًا من المال يعينه على العودة إلى الوطن، وهو يقسم أنه سوف يقوم بسداد الدين في أقرب فرصة.

هذا الشاب شعرت أنني مدين له بالشكر والامتنان لإحساسي بمكانتي الكبيرة عنده.. ذلك أنه قد فقد أمواله وأوراق هويته، وفقد عنوان سفارته في لندن وعنوان قنصليته، كما فقد رقم هاتف أبيه وأمه وباقي أهله وعشيرته.. ورغم هذا، فقد حافظ وسط مأساته الشخصية على عنوان بريدي الإلكتروني وظل قابضًا عليه بيد من حديد!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

نزهة مجانية

عند زيارتي الأخيرة للكويت بدعوة من تليفزيون الوطن ما كدت أضع حقيبتي بالغرفة حتى تذكرت دواء المعدة الذي نسيت إحضاره معي. هبطت إلى ردهة الفندق، وطلبت تاكسيًّا وسألت السائق التوجه لأقرب صيدلية. التفت الرجل نحوي متفرسًا قبل أن يقول: يا سيدي لقد تجاوزت الساعة الحادية عشرة ولا توجد بالكويت صيدليات تفتح حتى هذا الوقت المتأخر.. ثم تصنّع التفكير وقال: هناك واحدة أعرفها تسهر، لكنها في آخر الكويت وأخشى أن هذا سيكلفك كثيرًا! قلت له مستعبطًا: في آخر الكويت من جهة الحدود العراقية أم من جهة الحدود السعودية؟ تلعثم قبل أن يقول: هي على مسافة بعيدة من هنا. قلت له: توكل على الله يا رجل. انطلق السائق بالسيارة على شارع الخليج حتى وصل إلى منطقة سلوى، ثم استدار عائدًا، وتوغل بالسالمية من الداخل، وعبر ميادين أعرفها وشوارع طالما قطعتها. استسلمت لذكرياتي عن السنوات التي عشتها بالكويت، وأفقت على السيارة تعبر بي شارع تونس، ثم تدخل محافظة الفروانية ثم تعود إلى وسط البلد، وقطع بي شارع جمال عبد الناصر حتى وصل إلى دوار العظام، وكر عائدًا من الطريق ذاته إلى دوار الشيراتون! وفي أول شارع فهد السالم توقف بجوار صيدلية أحلام وقال لي: ها هي الصيدلية! قلت له: يا إلهي.. إنها حقًّا في آخر الكويت بدليل أنك قطعت المسافة في أربعين دقيقة. لم أرد أثناء نزهة الذكريات هذه أن أبيّن للسائق أنني فطنت إلى لعبته منذ البداية، ولكن تركته يمنحني جولة ممتعة. وتذكرت وقتها ما حدث في زيارتي الأولى لدمشق عندما دفعت لسائق التاكسي ثلاثين دولارًا في مشوار قطعه في ساعة من فندق الشام إلى محطة سكة حديد الحجاز قبل أن أعرف أن الاثنين يقعان بنفس الميدان!

عدت إلى التاكسي بعد شراء الدواء، وأنا لا أستطيع منع نفسي من الضحك وقلت للسائق: يا أبوالشباب، ما رأيك فيمن يدلك على طريق مختلف يستغرق دقيقتين فقط؟! يمكنك أن تتقدم في فهد السالم وتعبر مجمع المثنى الذي سكنتُ به لأربع سنوات، وتصل لساحة الصفاة، وبعدها دروازة عبد الرزاق، وبعد ثوان نجد أنفسنا أمام الفندق!

طبعًا بهت الرجل ولم يرد!

قبل مغادرة السيارة ملت على السائق وهمست له في ود صادق: كنت أتمنى أن أدفع لك ثمن النزهة الليلية الجميلة لولا أنني أخشى أنك في أول جلسة مع أصدقائك ستحدثهم عن الزبون المصري المغفل الذي سحبت منه عشرين دينارًا في توصيلة من الشرق إلى فهد السالم.. لهذا سأمنحك حقك فقط. قلت هذا، وتركت له ثلاثة دينارات قبل أن أختفي داخل الفندق.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

يا لضيعة حياتي!

قضيت زمنًا طويلًا منذ مطلع الثمانينيات أسعى بصبر ودأب لاقتناء روائع الفن السينمائي من كل مكان في العالم. وكنت أينما حللت في بلاد الغرب أسعى باحثًا عن محلات بيع الأفلام. وعلى الرغم من الكلفة المادية فإن السعادة بالحصول على مجموعة أفلام هتشكوك كاملة أو مجموعة ستانلي كوبريك مثلًا كانت لا تدانيها سعادة. وكنت أترقب عروض التخفيض التي تستطيع فيها الحصول على مجموعة كاري جرانت أو همفري بوجارت أو أودري هيبورن كاملة ب- ٥٠ دولار. ولم يتوقف الأمر على الأفلام الأمريكية، وإنما كنت في فرنسا ألتقط أفلام كلود ليلوش التي ذبحتها الرقابة في القاهرة مثل رجل وامرأة، والحياة للحياة، وكذلك أفلام جودار، وأعمال رومان بولانسكي في البدايات، وروائع كيرزستوف كيسلوفسكي خاصة ثلاثية الألوان، وفي إيطاليا كانت المتعة صافية مع ما أنتجته السينما الإيطالية لفيلليني مثل: (لادولتشي فيتا)، و(ثمانية ونصف)، و(روما)، وكذلك زيفاريللي صانع أفلام روميو وجولييت، وترويض النمرة، وعطيل، وديسيكا، وبرتولوتشي، وغيرهم. وفي لندن دفعت مبالغ كبيرة لأحصل على أفلام (شيرلوك هولمز) التي أنتج الواحد منها عشرات المرات من أول السينما الصامتة التي قام ببطولتها وليم جيليت، مرورًا بمجموعة الأفلام التي قام فيها بدور التحري الشهير الممثل بازل راثبون في الأربعينيات، حتى الحلقات المسلسلة التي أنتجها التليفزيون البريطاني في التسعينيات من بطولة جيريمي بريت. كذلك دفعت مالًا كثيرًا؛ لأضم إلى مكتبتي الأفلام والحلقات التي تمثل روايات أجاثا كريستي، وبطلها الشهير بوارو أو بطلتها المفضلة ميس ماربل. وكنت أتجشم جهدًا في محاولة معرفة الأفلام الكاملة للفنانين الذين أحبهم والتي لا تعرض أعمالهم بالقاهرة مثل إنجمار برجمان السويدي، ومثل وودي ألين الأمريكي. ولا أنسى خيبة الأمل التي كانت تنتاب أسرتي عند عودتي من السفر، وبصحبتي الحقائب المتخمة بالشرائط مع أقل القليل من الهدايا التي طلبوها.

في البداية كنت أمتلك جهاز □يديو بنظام (بيتا ماكس) ذي الشرائط الصغيرة. مع مرور الوقت بدأ المعروض من الأفلام على هذا النوع من الشرائط يقل، وبدأ شعوري بالخطر يتعاظم مع طغيان الأفلام على شرائط VHS، ولم يكن الخطر يتمثل فقط في اضطراري لشراء جهاز □يديوجديد، ولكن في عدم قدرتي على إصلاح الجهاز القديم الذي اختفت مع الوقت قطع غياره، الأمر الذي أدى إلى إهدار مئات الشرائط التي أنفقت ثروة في شرائها، وأصبحت قابعة بالمكتبة تنعي من صنعها.

كان عليّ أن أبدأ الرحلة من جديد، فأخذت أطوف بمحلات الأفلام في نيويورك، ولندن، وروما، وباريس، وأشتري ما سبق أن اشتريته.. علاوة على ما استجد.

لكن التطور التقني الذي لا يقف عند حد كان لي بالمرصاد، فعندما ذهبت لأعيش بمونتريال عام ٢٠٠٠ كان يجاور منزلي واحد من أضخم معارض الأفلام في العالم، وكانت أرففه تمتلئ بما لذ وطاب من شرائط VHS. وساعد تحسن الظروف

المادية على أن أقتني بدون حساب كل ما أتمناه من روائع الفن السابع. لكن مع مرور الأيام بدأ يظهر في المحل أنواع جديدة من الأسطوانات الصغيرة المدمجة التي ظهرت إلى جانب الشرائط، واحتاجت إلى جهاز يسمي DVD كان سعره مرتفعًا في البداية، ثم انخفض، وصار أرخص من جهاز ال□يديو، ثم أخذت مساحات الشرائط تتقلص داخل المحل لتفسح مكانًا للوافد الجديد.

واجهت مشكلة عندما تعطل جهاز ال□يديو ولم أجد من يصلحه، كما لم أجد أجهزة جديدة تباع بعد أن أوقفت الشركات صناعتها وصارت من الأنتيكات التي نريها لأولادنا؛ ليشهدوا على الحياة البدائية التي كنا نحياها!

للمرة الثالثة أبدأ من جديد، وأدفع فلوسًا لشراء نفس الأفلام الموجود منها عندي نسختان. ثم أعود إلى مصر بعد ذلك ومعي ثروة فنية من أرقى الأفلام... ولكن عندما أعرضها في زهو على ابني لا يتردد في السخرية من ثروتي؛ لأنه ببساطة يستطيع في فترة وجيزة أن يقوم بتنزيلها من على النت من شتى المواقع ببلاش!

فيا لضيعة حياتي.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

على اسم مصر

في أحد أيام صيف عام ١٩٧٢ قطعت الإذاعة المصرية برامجها المعتادة بشكل مفاجئ؛ لتعلن القرار الجمهوري الخاص بالعودة إلى استخدام اسم (مصر) مرة أخرى بدلًا من (الجمهورية العربية المتحدة) وهو الاسم الذي بدأ استخدامه بعد الوحدة مع سوريا عام ١٩٥٨، حيث أصبحت سوريا هي الإقليم الشمالي، ومصر هي الإقليم الجنوبي للجمهورية العربية المتحدة.

بعد القرار بالعودة رسميًّا إلى استخدام اسم (مصر) من جديد كتب الشاعر العظيم صلاح جاهين في ملحمته الشعرية التي أسماها: (على اسم مصر) إضافة جديدة تتعلق بهذا الموضوع، أدرك جاهين بحس الشاعر الموهوب ووطنية المصري الأصيل أن القرار مضحك رغم اهتمام السلطة بإبرازه، ورأى أنه لا يضيف أي جديد، فالناس لم تكف في يوم من الأيام عن أن تقول مصر إشارة إلى مصر.. وهذا الكيان الجغرافي الممتد من البحر المتوسط شمالا حتى جبال النوبة جنوبا، ومن البحر الأحمر وفلسطين شرقا حتى واحة جغبوب غربا والذي تعرفه الدنيا كلها باسم مصر لم يستمد اسمه من قرار جمهوري حتى يستعيده بقرار جمهوري..

كتب صلاح جاهين:

قطعوا الأغاني وطارت نشرة الأخبار

دارت على كل دار في الكوكب الدوّار

يا حاضرين أعلموا الغايبين بأنه ف مصر

اتغير الاسم منذ الآن فأصبح مصر!

ضحك التاريخ ضحكته المشهور بها واندار

ودخل مناقشة مع الجغرافيا عما صار

هل نعترف بالبيان اللي أُذيع العصر

أم ننتظر مصر تطرد إسرائيل بالقسر

وساعتها تحصل بكل جدارة يوم النصر

على اسم مصر

لقد أدخل صلاح جاهين التاريخ طرفًا في مناقشة مع الجغرافيا بشأن القرار الذي صدر.. يطرح التاريخ سؤاله المؤرق: هل بيان الحكومة في حد ذاته كاف؟ أم أن استحقاق مصر لاسمها لا يكون إلا بشروط.. وهذه الشروط تُشكل ما يسمى بدور مصر الحضاري، هذا الدور الذي يتجاوز حدودها، ويمتد إلى محيطها الجغرافي، والذي عندما تمارسه مصر بوعي واقتدار فإنها تنفخ من روحها في جسد المنطقة بأكملها فتشرق شمسها على امتدادها العربي. هذا الدور هو المدخل الطبيعي إلى الريادة والسيادة والقيادة، وليس التعلق بأهداب الماضي والتغني بأمجاده دون دفع

فاتورة الاستحقاق. والأمر لا يكون أبدًا بالانسحاب من قضايا الأمة المصيرية، والقيام بدور الوسيط بين الأشقاء وبين الأعداء، هذا الدور الجديد الذي أوصل مصر إلى مهاوي الردى، وما زال أصحابه يتغنون بقيمة مصر وعظمة مصر، في حين أنهم يعلمون أن مصر قد رقدت بسببهم على سرير العجز لينالها كل من اشتهى.

يقول جاهين: هل نعترف بالبيان اللي أُذيع العصر؟ أم ننتظر مصر تطرد إسرائيل بالقسر؟.. لقد كتب جاهين قصيدته في ذروة حرب الاستنزاف عندما كانت مصر تتصدى للوحش الإسرائيلي بالدم، واليوم وعلى الرغم من انتهاء الحرب وعودة سيناء، فإن التحدي لا يزال قائمًا، وإسرائيل ما زالت تمارس دورها التخريبي ضد مصر، فمصر الحقيقية التي تستحق بجدارة اسم مصر هي القادرة على مواجهة إسرائيل.. هذا هو الكلام بدون تزويق أو نمنمة.. مصر التي تتصدى لأطماع إسرائيل، وتتبنى مشروعًا حضاريًّا تنمويًّا يواجه مشاريع إسرائيل العدوانية التوسعية، هي فقط مصر التي نتمناها ونحلم باستعادتها، ونتشرف بالانتساب إليها، وأنا هنا لا أتحدث عن الحرب.. أتحدث عن التحدي الحضاري، والاستجابة لدواعيه، أما مصر التي تكتفي بالبيان (اللي أذيع العصر)، وتكتفي بالإذاعة، والتليفزيون، والمهرجانات، والبيانات الصحفية، والقرارات الإدارية كبديل عن الفعل، وبديل عن الإنتاج والعمل الجاد، فهي هذا الكيان البائس الذي يكتفي بالفرجة على إسرائيل وإيران وتركيا، وهم يقررون مع الغرب مصير العالم العربي في غياب أصحابه!

ورغم مرور سنوات طويلة على وفاة صلاح جاهين فإن سؤاله لا يزال معلقًا برقبة أبناء مصر التي تكتفي بالبيان الذي أذيع العصر دون سعي جاد لأن تعمل لتحصل بجدارة واستحقاق... على اسم مصر.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ياللي.. هويت المتين

فتحي سرور يا ويكا

بحبك حب الفرخة للديكا

(الدكتور علي لطفي)

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الرأس الكبير الأصلع

كنا مجموعة من الأصدقاء نتحدث عن أكثر الأشياء إثارة للخوف في حياة كل منا فتطرق بعضنا إلى أشياء غاية في الطرافة أشدها ما قاله واحد من أصدقائنا المثقفين.. قال إنه يشعر بخوف عظيم من الأشخاص ذوي الرأس الكبير الأصلع ويشعر حين يقترب منه أحدهم أنه سيقضم أذنه ثم يلتهمها، لهذا يمد يده تلقائيًّا ليغطي أذنيه في حال صادف رجلًا ذا رأس كبير بلا شعر!

سألته إذا كان صادف في طفولته شخصًا آذاه أو تحرش به وكان بهذه المواصفات، فنفى بشدة وأكد أنه يعلم سخافة الفكرة ومتأكد أن من بين هؤلاء الذين خلقهم الله بهذا الشكل أناس طيبون وفي غاية الدماثة ورقة المشاعر، لكن المشكلة أنه لا يستطيع التخلص من الفكرة. ضربت مثلًا بالرئيس الأمريكي أيزنهاور الذي كان قائدًا لقوات الحلفاء إبان الحرب العالمية الثانية ثم تولى الرئاسة بعد نهاية فترة ترومان وقلت إن هذا الرجل الأصلع كان معبودًا للشعب الأمريكي بحسبانه بطلًا للحرب فهل تخاف حين تطالع صورته؟ قال: لا أخشى كثيرًا من أيزنهاور لأن رأسه لم تكن شديدة الضخامة وأنا على أي حال لا أرى صورته كثيرًا. علق أحد الجالسين: وما قولك في الممثل الأمريكي الراحل تيللي سافالاس الذي اشتهر بتمثيل دور كوجاك مفتش البوليس في الحلقات الشهيرة؟ قال صديقي الخواف: إن هذا الرجل يجعلني أعيش كوابيس متصلة لو شاهدته بالصدفة في التليفزيون وأخشى أن يخرج من الشاشة لينفث النار في وجهي ثم يعود ليكمل الفيلم!

بعدها تبارى الأصدقاء في محاولة تذكر المشاهير من ذوي الرأس الكبير الأصلع، فقال أحدهم: هذا يعني أنك لا تحب أيضًا الفنان الراحل بول براينر أشهر الممثلين الصلع على الإطلاق. رد صاحبي: على العكس.. إن هذا الرجل رغم خلو رأسه من الشعر إلا أن مواصفات الصورة المفزعة لا تنطبق عليه فرأسه صغير وملامحه فيها وسامة وأنا أحبه وأقتني معظم أفلامه. قال صديق آخر: وماذا عن كمال حسن علي رئيس الوزراء المصري في أوائل الثمانينيات والذي شغل منصب وزير الخارجية ورئيس المخابرات.. لقد كان الرجل شهيرًا بصلعته ورأسه الكبير؟ قال: لا أريد أن أتحدث عن الرجل بسوء لأنه كان من أبطال حرب أكتوبر وكانت رأسه معملًا للأفكار ولا ذنب له في عقدتي وإن كان كتابه (محاربون ومفاوضون) قد ضايقني كثيرًا.

وهنا قام أحد الأصدقاء في محاولة لمعابثته بإخراج تليفونه المحمول وفتّش فيه ثم وضع في وجهه صورة للرئيس الفرنسي الراحل شارل ديجول وكانت رأسه مطابقة للمواصفات تمامًا فما كان من صديقي إلا أن نهض مفزوعًا وهو يتمتم: سلام قولًا من رب رحيم، ولم يعد لكرسيه إلا بعد الحصول على وعد بعدم تكرار الأمر. بعد أن جلس قال: إن الأمر فيما يتعلق بشارل ديجول أكثر تعقيدًا لأن الرجل كان فضلًا عن صلعته ذا أنف طويل مدبب ويخيل إليّ أنه كان خبيرًا في ضرب (الروسيات) بجبهته ثم يترك أنفه الحاد يقوم بدور المطواة في وجه الغريم! سألته وأنا متحفز ومستعد لمواجهته: إياك أن تقول لي أنك تخاف من حسن فايق ألطف وأرق ممثل

عرفته الشاشة المصرية، فقال: يا بني آدم.. حسن فايق كان يملك شعرًا على الجانبين وفي مؤخرة رأسه.. صحيح شعر قليل لكنه كاف لإبطال التأثير المخيف.. إن من يخيفونني لا يملكون شعرًا على الإطلاق.

وهنا خبط أحد الجالسين على جبهته وقال: هل قرأتم ما نسبته الصحف للأستاذ عماد أديب واقتراحه بتوفير ممرات ومخارج آمنة للحكام الذين ظلوا على مقاعد السلطة حتى أصبحت بلادهم أطلالًا؟ وهنا لمحت صديقي الخواف يتحرك في توتر فقلت له في لهجة آمرة: إياك أن تفتح فمك يا ملعون وتقول نصف كلمة.. إن الأستاذ عماد أديب هو إعلامي متميز وله بصمات واضحة في الميديا العربية ولا ننسى له حديث المفاجأة الشهير الذي أجراه مع الرئيس مبارك في سبع ساعات، ومع أن الحديث قد خلا من أي مفاجآت فهذا لا يغير من حقيقة أن الأستاذ عماد أديب قامة إعلامية كبيرة ودماغه مثل الألماظ وأفكاره المبتكرة لا نهاية لها وليس آخرها حديث المخارج الآمنة للحكام. سكت صديقي وأطرق إلى الأرض للحظات ثم تغلب على تردده وسألني في خجل: أنا لا أعرف شيئًا عن حديث الممرات هذا ولكن هل تقول إن الأستاذ أديب سيخرج هو أيضًا مع الحكام من نفس الممر الآمن وهو المعروف بصداقته لهم؟ وهنا وجدتني أخرج عن شعوري وأقول له: اخرس يا سافل.. إن مصر وإن اضطرتها الفاقة والعوز أن تستغني عن حكامها حتى تنفك زنقتها ثم تستعيدهم من جديد إلا أنها لا تفرط أبدًا في أبنائها المبدعين وإعلامييها المتميزين. وهنا نهض صديقي وعيناه تدوران في المكان وانكمش على نفسه وهو يقول: أنا أكرهكم.. إنكم جميعًا تخيفونني.. أنتم جميعًا أصحاب رءوس كبيرة صلعاء. الغريب أن الجالسين وأنا منهم كانوا كلهم من ذوي الشعر الغزير.. يا خسارة لقد جن الرجل!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

سبحان الذي سخر لنا.. الخواجة!

منذ ٢٠ سنة فقط كان التدخين مباحًا ومسموحًا به في كل مكان بالعالم. لم يكن هناك حظر للتدخين بالمطارات، ومحطات القطار، وداخل المسارح، ودور العرض السينمائي، ولا في وسائل المواصلات من ترام وباص وتاكسي وخلافه. وكان بإمكان المدخن أن يشعل سيجارته داخل الطائرة، ويوزع دخانها على جميع من حوله دون أن يشعر بأي حرج، والأغرب دون أن يشعر على الأرجح غير المدخنين بالاستياء ممن يشركهم في سيجارته رغم أنوفهم!

كانت الثقافة السائدة تعلي من شأن المدخن، وخاصة أن أفلام السينما كانت لا يكاد يظهر بها نجم دون أن تكون بيده سيجارة.. وكانت الإعلانات بالصحف والتليفزيون تحرص على أن تقرن الرجولة واللحظات الحلوة بالسيجارة.

كل هذا كان يحدث بالخارج في دول الغرب التي تنتج الأنواع الشهيرة من السجائر. وكانت بلادنا بطبيعة الحال تتبعهم كالمسحورة وتحذو حذوهم دون تفكير، وتنقل عنهم أسوأ عاداتهم دون أن يكون لها رأي في الموضوع. بالطبع لم يكن خافيًا على الأطباء أضرار التدخين، ولم يكن اكتشاف آثارها المدمرة كشفًا علميًّا جديدًا، ورغم ذلك استمر الناس يدخنون في سعادة.

ثم تغيرت الظروف في الغرب، وبدأ العقلاء يدركون فداحة التدخين، ويضغطون بقوة في اتجاه محاصرته وتحجيم آثاره، فبدءوا يقسمون المقاعد على الطائرات إلى مقاعد للمدخنين، وأخرى لغير المدخنين.. صحيح أن الأمر بدا مضحكًا عندما كنت تجد مقعدك لغير المدخنين في حين أن المقعد المجاور لك مسموح لمن يشغله بالتدخين، لكنها كانت بداية لانحسار الظاهرة، والأمر نفسه حدث في الأماكن العامة من مطاعم ومقاهي ووسائل مواصلات.. وبالتدريج صارت أماكن المدخنين تتقلص، وأماكن عدم التدخين تتسع، وفي كل هذا لم يكن لنا رأي.. عندما كانوا يشجعون على التدخين كنا نهلل له، ولما بدءوا يضيقون على المدخنين أخذنا نقلدهم، وفي النهاية حظروا التدخين نهائيًّا في كل الأماكن العامة، ولم يعد بوسع المرء أن يدخن إلا في الشارع أو داخل بيته، فقمنا برفع لافتات تمنع التدخين في كل مكان (ولو أن رخاوة الدولة لدينا لم تسمح لهذه القوانين بالتطبيق)، والآن ليس لديّ شك في أنهم لو عادوا وسمحوا بالتدخين في أوربا وأمريكا مثلما كانوا يفعلون منذ ربع قرن لأي سبب من الأسباب، فإننا سنعود تلقائيًّا ودون تفكير لنتغنى بجمال التدخين، وستملأ إعلاناته شاشاتنا، وسنترك الدخان يخنقنا دون أن نشكو!

ودائمًا السيناريو يمضي كالتالي: يبدأ المواطن الغربي بالشكوى مما يضره، ويحشد مؤسسات المجتمع المدني لنصرة قضيته، فتنصاع له حكومته المنتخبة التي لا تستطيع تجاهله، ثم تنجر حكوماتنا غير المنتخبة وتجرنا معها، وكأن المواطن الغربي أصبح هو الذي يحس ويتأثر لنا ويشعر نيابة عنا ويأخذ القرارات التي تصير ملزمة لنا بعد ذلك.

ليس التدخين هو الأمر الوحيد الذي تتجلى فيه تبعيتنا العمياء للغرب، وانقيادنا لهم دون تبصر وإنما هو مجرد مثال. وإذا أردنا أمثلة أخرى فالجعبة مملوءة؛ هناك مثلًا قرار شركات الطيران الغربية بالاستغناء عن التذاكر الورقية وحلول التذاكر الإلكترونية محلها وهو القرار الذي انصاعت له شركات الطيران العربية وفي بلاد العالم الثالث دون أن تدري له سببًا. قالوا: إن إلغاء التذاكر الورق سيوفر دولارًا ونصف هو ثمن طبع التذكرة، وهي حجة مضحكة كما ترون خاصة وأن الراكب لم يكن يشكو من المبلغ الضئيل، فضلًا عن أنهم لم يتوقفوا عن إعطاء الراكب ورقة مكتوب بها اسمه وبيانات رحلته وأساس حساب السعر، ثم المبلغ المدفوع ورقم الحجز.. أي أنها تذكرة ورقية في شكل جديد!.. فما الفائدة من إلغاء التذكرة إذًا؟ لن تجد إلا إجابات مائعة من عينة أن البيانات كلها أصبحت محفوظة الآن في الكمبيوتر وليس في التذكرة، فإذا سألتهم وهل أيام التذاكر الورقية لم تكن البيانات محفوظة في الكمبيوتر أو لم تكن إمكانية حفظها قائمة؟ فإنهم يسكتون، ويتمنون أن تخرس وتكف عن أسئلتك البايخة التي لم تسألها لهم شركة طيران عربية واحدة، ولكن وقفت جميعًا في الطابور ونفذت التعليمات التي لم تشارك في صنعها.

وإحقاقًا للحق فإن كل القرارات التي يأخذونها في الغرب وتكون ملزمة للجميع كإحدى تجليات العولمة لا يأخذونها في غيابنا، وإنما نكون حاضرين أثناء اتخاذها، ولكن لا نبدي بشأنها أي رأي، ثم نصبح بعد ذلك مطالبين بتنفيذها حتى لوكانت سخيفة وبلا معنى. وأعتقد أننا من طول ما تعودنا على الكسل والبلادة الذهنية، أصبحنا نشعر بالامتنان للغرب الذي أراحنا من عناء التفكير وأصبح يشتغل ويأخذ القرارات بدلًا منا، كما أظن أننا صرنا نعتقد بما أننا خير أمة أخرجت للناس أن الله الذي سخر لنا السائمة والأنعام، قد أكرمنا فسخّر لنا الخواجة أيضًا!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

يا للي هويت المتين

الإنسان عدو ما يجهل.. وربما كان ذلك هو سبب الهجمة الشرسة التي تعرض لها الدكتور علي لطفي رئيس وزراء مصر الأسبق بعد قصيدته الأخيرة التي ألقاها في حفل تكريم الدكتور فتحي سرور رئيس مجلس الشعب.

يذكر التاريخ أن الناس قد استقبلت المطرب الشاب عبده الحامولي باستنكار بالغ؛ لأنه تنكر لتراث محمد عثمان ونحت لنفسه سكة جديدة. الأمر نفسه تكرر عند بدايات ظهور عبد الوهاب وعبد الحليم حافظ ومحمد منير، واستمر حتى تامر وهيثم ولؤي. الناس استكانت لما اعتادت عليه وألفته، وأصبحت تخشى المغامرة وارتياد عوالم جديدة لم يطرقها أحد. وهذه في رأيي هي جناية الدكتور علي لطفي الذي فاجأ الناس دون تمهيد وخرج عليهم بكيكيّته البديعة (آخرها (كا) لذا فهي كيكيّة) مثل نونية ابن زيدون، وميمية زهير ابن أبي سلمى، وسينية البحتري وهكذا. وعلى الرغم من التجديد الواضح في القصيدة إلا أنه يصعب أن ننسبها لمدرسة الدكتور لطفي؛ إذ سبقه في هذا الطريق نفر من أجمل الشعراء يتصدرهم الشاعر الفحل (أبوعزة)! ونستطيع بكل ارتياح أن ننسب القصيدة لمدرسة أبوعزة الشعرية وفيها قبس من روحه، ونكاد نستشعر نبضاته مع كل بيت.

في الانتخابات الأخيرة أخرج أبوعزة معلقته الخالدة، ونحن نعرف أن الانتخابات تشبه الحروب في أنها تستنفر كل الطاقات وتقدم حافزًا كبيرًا لاستخراج أقصى ما في النفس البشرية من قدرة على الاختراع والابتكار، وتمد الشعراء بزاد لا ينفد من الأفكار خاصة إذا تم تنحية الناخبين خارج العملية الانتخابية! كتب أبوعزة يقول:

ياللي انتوا بتقولوا كفاية

كفاية عز وتنمية

ولا نصر وتقوية

ولا سلام وحرية

بعد الضربة الجوية

كفاية دي بلاش تقولوها

عشان عيشتكو تعيشوها

في سعادة ولا تقولوا كفاية

قولوا معايا ولا كفاية

كنت أتمنى أن أنقل النص كاملًا لولا المساحة، لكني قصدت أن أنقل لكم قطوفًا من الفكر الذي سار في دربه الدكتور لطفي طويلًا قبل أن يخرج علينا بعمله الأخير. وقد يندهش البعض كيف تكون هذه هي قصيدته الأولى وتكون بكل هذا الزخم والتدفق الشعري.. والإجابة: إن هناك من الشعراء من يولد كبيرًا، والأرجح أنه

كتب قبل ذلك، لكن هذه هي باكورة أعماله المنشورة التي نزل بها بعد أن أجازها أبوعزة. أما عن ضيق الأستاذ فاروق جويدة واستيائه من القصيدة لدرجة أن عدّها فضيحة تستلزم العرض على النائب العام.. فنحن نعرف غيرة الشعراء ومنافساتهم، وقد ساقت لنا الروايات فصولًا من المعارك التي كانت تحدث عندما يظهر في القبيلة شاعر جديد يخطف الأضواء، ويكون هدفًا لشحتفات البنات الأمر الذي يثير حفيظة شيوخ القصيدة الذين يظلون على عدائهم لفترة تطول أو تقصر، لكن لا يلبثون أن يعترفوا بالشاعر الجديد، ويفسحوا له مكانًا على الشلتة إلى جوارهم.

قال الدكتور علي لطفي في مدح حبيبه الدكتور فتحي سرور:

فتحي سرور يا ويكا

الكل يحبك حب الفرخة للديكا

لأن مصر دايمًا في قلبك.. ليس لها شريكا

أما حبك للقانون.. فهو في دمك وكلاويكا

كلامك حلو وسكر.. وعامل زي المزيكا

نهضت بمجلس الشعب.. بجهدك وعلى يديكا

طلبة الحقوق بيقولوا..

أستاذ قانون ناجح لما تعرف شغل البولوتيكا

لست في حاجة إلى محام.. فمبادئك هي محاميكا

دائمًا شايل في قلبك.. همومك وشكاويكا

انتهت القصيدة ولم ينته الكلام حولها، ولقد قصدت أن أقدمها كاملة من أجل الذين ما زالوا يحنون إلى الزمن الجميل وفنونه الشجية. أما الذين يبدون دهشة مرجعها أن التعليم في الثلاثينيات والأربعينيات حيث نشأ وترعرع الرجل لم يكن قد تدهور بعد، فهؤلاء أمامهم بعض الوقت حتى يتغلبوا على أحقادهم، ويكثروا من الاطلاع على أشعار مدرسة (أبوعزة)، وهي للعلم لا تقل في مستواها عن مدرسة أبولو التي أسسها الشاعر الراحل أحمد زكي أبوشادي، وكانت تضم إبراهيم ناجي، وعلي محمود طه، وأبوالقاسم الشابي.. الفرق الوحيد بينهما أن هذا أنجب عزة، وذاك أنجب بوللو!

أكاد أسمع قارئًا خبيثا يزعم أنه استمع من قبل إلى الفنانة زينات صدقي، وهي تردد بعضًا من هذه الأشعار عندما قالت: ياختي شبابه حلو.. وكتاكيته بني، وأشياء من هذا القبيل، أو أنه استمع إلى الفنان سمير غانم في القصيدة التي قال فيها:

ياللي هويت المتين

سيبك من المتينة

لا المتين بينفع ولا المتينة

ع الأصل دوّر

ولمثل هؤلاء أقول: إن توارد الأفكار لا يعني أن القصيدة مسروقة، وأن المهم هو طريقة التناول والجرس والدفقات الشعورية التي رماها الشاعر علينا. يبقى فقط أن نحيي الدكتور علي لطفي ونقول له: نحن نرحب بك بين الشعراء المجددين، ولا ينبغي أن يفت في عضدك نقد الناقدين، كما لا ينبغي أن يحزنك أن تعرف أنك أنت وحدك: اللي هويت المتين!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

فتوى إرضاع النطع

كأنما لا يكفينا سيل النكسات والوكسات التي تضربنا ليل نهار حتى يطل علينا الشيوخ الأجلاء بصرعاتهم غير المبررة في الزمان والمكان وآخرها حكاية إرضاع الكبير التي أخذت مساحة من اهتمام الناس كانت خليقة بأشياء أخرى نافعة.

في عام ٢٠٠٧ وبدون مناسبة أطلق أحد الشيوخ وكان يشغل منصب رئيس قسم الحديث بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر مفاجأة مدوية عندما أباح أن تقوم المرأة العاملة بإرضاع زميلها في العمل منعًا للخلوة المحرمة، وأكد الشيخ أن إرضاع الكبير يكون خمس رضعات مشبعات وأن المرأة في العمل يمكنها بعد ذلك أن تخلع الحجاب وتكشف شعرها أمام من أرضعته. وزاد عم الشيخ في توضيحه بأن الإرضاع يكون بالتقام الثدي مباشرة وذلك لأن سالم مولى أبي حذيفة عندما رضع من زوجة أبي حذيفة كان كبيرًا وذا لحية!

مرت ثلاث سنوات وكدنا ننسى الموضوع الذي عرضنا لسخرية الدنيا كلها لكن الشيخ السعودي عبد المحسن العبيكان أعاد تذكيرنا بالموضوع، مع التأكيد على أنه يختلف مع الشيخ المصري في موضوع إرضاع المرأة لزميلها لأن هذا الأمر لم يشرع لأجل زملاء العمل ولكن من أجل معالجة حالات أخرى مثل من تضطرهم الضرورة إلى دخول المنزل من غير أهل البيت ويجدون حرجًا في الدخول والخروج، ولهذا فإن موضوع الرضاعة يحل هذه المشكلة! وعندما ووجه الشيخ العبيكان بمعارضة شديدة فإنه قام بتعديل موقفه وأوضح أن هذه الفتوى لا تنطبق على الخدم والسائقين ومن في حكمهم لكن على حالات أخرى لم يوضحها لنا عم الشيخ الذي لم ينس أن يفتينا بأن الرضاعة لا تكون بوضع فم الرجل الكبير في حلمة المرأة الشابة ولكن يتم اعتصار ثديها واستقطار قدر كاف من اللبن يتم تقديمه في كوب للرجل المقصود!

عبرنا هذه الموجة وأقنعنا أنفسنا بأن الصمت كفيل بأن يجعل الناس تنسى الموضوع، لكن يبدو أن القوم مصرون على إثارة هذا الأمر كلما خمد أواره، وإلا لماذا يقوم الشيخ صالح السدلان أستاذ الدراسات العليا في جامعة محمد بن سعود الإسلامية بالعودة للموضوع وتأييد فتوى الشيخ العبيكان بجواز إرضاع الكبير؟!

يا قوم.. إنني أكاد أجن وأنا مضطر للكتابة في هذا الموضوع المشين.. أليس لدى علماء المسلمين شيئًا يشغلهم سوى إرضاع الشحط ذي الشوارب واللحية؟ أليس هناك ما يختلفون فيه غير هل تكون الرضاعة من الثدي مباشرة أو عن طريق وعاء؟ ولماذا بالله عليكم نحتاج إلى إدخال غرباء إلى بيوتنا؟ ولماذا بحق السماء لا تحتجب نساء المنزل وتلزمن غرفهن في وجود الأغراب؟ ولماذا لا تحتشمن وترتدين ما يسترهن إذا كان الجلوس مع الغرباء ضروريًّا؟ يا قوم، إن المرأة في بلادنا تحتشم إذا حضر للزيارة شقيق زوجها مع أسرته فلماذا نريد لها أن تتخفف من ثيابها إذا حضر شخص غريب لا تعرفه؟! أنا أريد أن يخبرني أحد قبل أن أفقد عقلي ما نوع الرجل الذي يكشف ثدي زوجته ليهوي عليه نطع آخر ويرضع منه،

أو الذي يعتصر ثدي امرأته ليقدم منه كوب حليب لرجل ينتظره؟! وهل هناك امرأة عاقلة تقبل أن يُفعل بها هذا؟ وهل هناك رجل شريف ذو مروءة يقبل هذا العرض إذا حدث وقام مختل عقليًّا بعرضه عليه؟ وماذا تفعل الفتاة العذراء أو المرأة التي لا ترضع.. هل تعطيه نهدها يتبرك به بدون حليب أم ماذا؟ وأخيرًا ما نوع المجتمع الذي يتقبل هذه الأمور بحسبانها أشياء عادية؟ وهل إذا نجحنا في تعويد الناس على سلوك كهذا وتفكير كهذا نكون قد أضفنا شيئًا للحياة وللإسلام أم إننا نكون قد خسرنا العقل وحظينا بإشفاق العالم على هؤلاء المجانين الذين يتلقون الصفعات من كل جانب ولا يشغلهم سوى الطريقة المثلى لإرضاع الرجل النطع؟!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

قصة لص

تعثرت أثناء تجوالي على النت بحديث صحفي لجريدة السياسي مع القس عبد المسيح بسيط صاحب الخلاف الشهير مع الدكتور يوسف زيدان مؤلف رواية عزازيل. قال السيد بسيط من ضمن ما قال: إن هناك العديد من شيوخ الأزهر قد تنصروا، لكنهم يخشون إعلان ذلك! وللتدليل على صحة المعلومة ذكرسيادته اسم الشيخ محمد رحومة!

أنا لم أتعود أن أخوض في المسائل الدينية، ولست في الحقيقة من المهتمين بالكتابة فيها، لكن هذه المعلومة عن تحول رجال الأزهر للمسيحية أدهشتني، وأردت أن أستزيد منها، فبحثت في أمر الشيخ محمد رحومة الذي استشهد به القمص عبد المسيح بسيط، فاكتشفت حقائق مذهلة، أول هذه الحقائق أنه لا يوجد ضمن شيوخ الأزهر شخص بهذا الاسم، وأن رحومة المقصود هو للدهشة الشديدة مجرم هارب من العدالة يبحث عنه البوليس المصري لتنفيذ حكم بالسجن عشرين عامًا في قضايا نصب!! وطالعت أثناء بحثي حكاية الرجل كاملة، واكتشفت حقيقة الدكتور محمد محمود رحومة الوكيل السابق لكلية الدراسات العربية بالمنيا وتبينت أنه ليس أزهريًّا ولا شيخًا.. وملخص القصة أن رحومة كان قد أقام حفلًا غنائيًّا بالجامعة لصالح مرضى الأورام حيث تطوع بالغناء فيه مشاهير المطربين دون أجر، ثم قام بتزوير إيصالات تفيد بتقاضي هؤلاء المطربين لمئات الآلاف من الجنيهات، ثم اختلسها، وأدخلها في حسابه الشخصي. المهم أن الأمر انكشف بعد أن قام أحد المطربين بتقديم شكوى لإدارة الجامعة التي قامت بتحويل الأمر إلى النيابة، ومن النيابة إلى المحكمة التي حكمت عليه بالأشغال الشاقة لمدة ٢٠ سنة والعزل من الوظيفة في القضية رقم٣٥١٤ ل ٩٥ والصادر في ١٧ نوفمبر ٢٠٠١ (قامت صحيفة (المصريون) بنشر صورة الحكم).

قبل صدور الحكم بيومين وعندما أحس بالطوق يضيق حول رقبته قام بالسفر إلى ألمانيا، ومن هناك لجأ لحيلة مضمونة جربها مجرمون قبله فتواصل مع منظمات حقوقية أمريكية، ونصب عليهم هم أيضًا مدعيًا أنه قد اعتنق المسيحية، وأنه فر بدينه من اضطهاد مصر له.. وهذه الحيلة بالمناسبة تنجح دائمًا في أمريكا وكندا، وقد كنت شاهدًا عليها عدة مرات في مونتريال عندما كان يصل بعض المغامرين على الطائرة القادمة من مصر، ثم يقومون بطلب اللجوء بدعوى تنصرهم وعدم قدرتهم على العودة لمصر خشية القتل. في هذا الوقت كنت أشعر بالرثاء لهؤلاء الشباب الذين سدت الحكومة في وجوههم أبواب الأمل، فاتبعوا السيناريو الذي رسمه لهم سماسرة الهجرة والذي يخاطب عواطف المنظمات الكندية لحقوق الإنسان. لكن بالنسبة للص ومزور مثل رحومة لم أستطع أن أشعر بالتعاطف بعد أن عرفت قصته، ووعيت أنه نجح في السفر إلى أمريكا والحصول على جنسيتها بعد أن خدع منظمات حقوق الإنسان، وهيئات التبشير وأخفى عنهم جرائمه التي فر بسببها من مصر.

هذه هي حكاية المجرم الهارب من العدالة محمد رحومة الذي يتصور بعض المسيحيين الطيبين أن اعتناقه المسيحية يعد مكسبًا لهم مع أنه في الحقيقة عار على المسلمين والمسيحيين. وفي الحقيقة لا أدري لماذا تحدث عنه القس عبد المسيح بسيط باعتباره شيخًا أزهريًّا رغم مجافاة هذا للحقيقة، ولماذا تحدث عن اعتناقه المسيحية بسعادة رغم علمه بحقيقة جرائم الرجل، وملابسات هروبه من العدالة. إن المسيحية دين سماوي عظيم لا يحتاج للمختلسين ولا للمزورين لإثبات عظمته، والمسلمون جميعًا يحملون حبًّا واحترامًا للمسيح وللسيدة العذراء دون أن يكونوا قد اختلسوا أموال مرضى السرطان.. فلماذا كل هذا الفرح بمجرم لا يؤمن إلا بمصلحته وتصوير تحوله للمسيحية على أنه هدف حصلوا به على المونديال؟ بالضبط كمن يفرحون على الجانب الآخر بنذل ترك دينه من أجل امرأة وتصوير إسلامه على أنه نصر إلهي.

لقد عشت عمري أسمع من بعض الناس الطيبين قصصًا عن القساوسة الذين يسلمون، لكن يخفون إسلامهم خشية العقاب، وعرفت من أصدقائي المسيحيين أن نفس هذه القصص تتردد عندهم عن شيوخ اعتنقوا المسيحية في السر، لكن لا يستطيعون المجاهرة بدينهم الجديد، وكنت أضحك مع أصدقائي من الأوهام التي تعشش في العقول؛ لأنه ومع الإقرار بحق كل انسان في اعتناق ما يشاء إلا أن الحقيقة الساطعة هي أن الشيوخ لا يتنصرون والقساوسة لا يسلمون.. وحتى لوكان هذا يحدث، فإنه لا يحقق صالح الوطن لكن يعجّل بخرابه.

لهذا فقد دهشت من أن يقوم رجل دين مستنير بترديد الأقاويل التي يفرح بها الجهلاء والغوغاء، ويزعم على غير الحقيقة وجود شيخ أزهري اسمه محمد رحومة، ثم لا يخفي فرحته بأن هذا الشيخ الجليل قد ترك دينه واعتنق المسيحية! مع ما في هذا من تجاهل لجرائم السرقة والاختلاس والتزوير التي ارتكبها الرجل وهرب بسببها.

على أي الأحوال فليفرح به من يشاء، لكن يتوجب أولًا على محبيه أن يتولوا عنه تسديد الأموال التي سرقها من مرضى السرطان، وبعد ذلك لهم أن يعلقوا الزينات احتفالًا باللص المزور - طبقًا لحكم محكمة الجنايات - نيافة الحبر الأعظم محمد رحومة!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

وحيد ألفونسو والوزراء الكاوتش

في كل مرة أشاهد فيلم دهب الذي أنتجه وأخرجه وقام ببطولته أنور وجدي كنت أسأل نفسي: لماذا اختار الفنان الراحل لنفسه في الفيلم اسم (وحيد ألفونسو)؟ وما المغزى من هذا الاسم العجيب الذي لا يعرفه المصريون، وإن عرفه الإسبان في سلالة من الملوك استمرت حتى ألفونسو السادس عشر؟ بعد ذلك أقلعت عن السؤال بعد أن يئست من الحصول على إجابة، وقنعت بالاستمتاع بشخصية أنور وجدي الجميلة في الفيلم.. شخصية الرجل الطيب خفيف الظل الذي لا يخلو سلوكه من مكر وشقاوة.

هذا الأسبوع حملت إلينا صحيفة المصري اليوم صورة للوزير يوسف بطرس غالي أثناء جلسة لمجلس الشعب وكان منهمكًا إلى حد الذوبان في ماتش يلعبه على الموبايل. ومن الواضح أن المباراة كانت حامية الوطيس، فمنعت الوزير من الرد على أسئلة النواب الذين اتهموه باتهامات خطيرة منها أن مساعده يتقاضى ٢٥٠ ألف جنيه شهريًّا، ومنها أن مستشاره لشئون الضرائب يلهف ١٥٠ ألف جنيه شهريًّا، كما تصل مكافآت أعضاء مكتبه إلى ١٠٠ ألف جنيه في الشهر. الوزير يوسف تقمص شخصية وحيد ألفونسو الماكر الشقي فبعد أن استمع إلى الأسئلة والاتهامات في هدوء، وبعد أن استعد النواب للاستماع إلى رد سيادته، فإنه نظر إليهم مبتسمًا، ثم فتح الموبايل ودخل على قسم الأتاري والألعاب وانصرف بكليته إلى اللعب وانهمك في الجيم، وتصرف كأنه يجلس في حديقة المنزل ساعة العصاري والهوا مهفهف وجلبابه يضرب الهواء، وهو الأمر الذي أعجبني أيما إعجاب وجعلني أصفق من الفرحة؛ ذلك لأنني حلمت من زمان بوزير يشبه وحيد ألفونسو.. لطيف وحبوب ويستطيع أن يطعم الناس الأونطة، فأنا بصراحة لا أحب الوزير النكدي الكشر وأسعد بالوزير عندما يكون ابن حظ مثلنا يحب الأنس والفرفشة ويكره الشغل مثلنا أيضًا.

طول عمري أرى أن وظيفة الوزير هي وظيفة لذيذة وممتعة ولا تتضمن أي أعباء، لهذا كنت أعجب عندما أرى وزيرًا يكذب على نفسه، ثم يصدق الكذبة ويدعي أنه يعمل، ويشقى طوال اليوم من أجل المواطنين. مثل هذه الأكاذيب تثير حنقي؛ لأنني أعلم أن الوزير أي وزير هو شخص بلا سلطات أو صلاحيات تمكنه من أن يمارس وظيفة الوزير بشكل حقيقي، وأن أقصى ما يستطيع عمله هو أن يضع إمضاءه على طلب لأحد المواطنين بخرق القانون والاستيلاء على شيء ليس من حقه.. هذا هو المظهر الوحيد الذي يُشعر الوزير بأنه وزير (إلى جانب كشك الحراسة وطقم السكرتارية)، فعلى سبيل المثال وزير التعليم ليس في استطاعته إصلاح التعليم حتى لو أراد لأنه لا يملك صلاحية التنفيذ، كذلك وزير الزراعة لا يستطيع أن يطبق سياسة زراعية تراعي المصالح الوطنية حتى لو أراد، ومثله وزير الإعلام لا يمكنه أن يقدم إعلامًا موضوعيًّا شفافًا يعكس الصورة الحقيقية المخيفة.. وهكذا الحال في بقية الوزارات. إذن فوظيفة الوزير الحقيقية هي أن يتمتع بالعز والجاه والفلوس

دون أن يشغل باله بالسياسة ومشاكلها. وكما قلنا فإن معظم الوزراء يسعون لإخفاء هذه الحقيقة عن الجماهير، فيتصنعون الأهمية الزائفة.

لكن قليلا من الوزراء هم الذين يظهرون على حقيقتهم، ويرفضون لبس القناع الزائف. على رأس هؤلاء يأتي الدكتور أحمد نظيف رئيس مجلس الوزراء الذي يحضر الجلسات بمجلس الشعب، ومعه قرطاس لب يستعين به على العرض التمثيلي الذي يشارك فيه ويكون أبطاله شخصا متشنجا يقوم بدور نائب الشعب، وآخر منفعلا يقوم بدور وزير في الحكومة.

لهذا كله، فقد فرحت عندما شاهدت صورة يوسف بطرس وهو يلعب الأتاري على الموبايل أثناء الجلسة، وأدركت أنه رجل محترم وصادق مع نفسه، ولا يسعى لإقناع الناس بغير حقيقته، ورأيت فيه صورة لوحيد ألفونسو الذي أحبه وأحترمه. ولا يقلل من حبي لوحيد ألفونسو أن يكون قد سافر على نفقة الشعب الفقير إلى الولايات المتحدة ومعه مرافق من أجل العلاج، حتى لوكان الموضوع قد تكلف ٦٠ ألف دولار علاوة على ٣٦٥ ألف جنيه بدلات وتذاكر سفر. وبالمناسبة فقد ذكرت الصحف أن تذكرتي السفر له ولمرافقه قد بلغ ثمنهما ٢٩٧ ألف جنيه للسفر إلى واشنطن والعودة.. وللعلم هذا المبلغ بحساب الأميال يكفي للسفر إلى القمر ذهابًا وعودة! لكن ليس يهم.. المهم في الأمر أن الرجل لا يمثل ولا يدعي، ولا يتصنع الجدية ويقدم نموذجًا للوزير الكوووول غير المشغول بالشعب أو نوابه المفترضين!

لكن على الرغم مما سبق، فإن هناك من الناس من لا يعجبهم أي شيء حتى لو أحضرنا لهم وحيد ألفونسو وزيرًا. وهؤلاء يقدمون اقتراحًا لا أدري إذا كان يناسبنا أم لا.. يتلخص اقتراحهم في أنهم في الغرب قد أنتجوا عروسة كاوتش يشتريها العازب الذي لا يهوى الزواج بنكده ومشاكله، ويستعيض بها عن الزوجة، وهم يقترحون أن نجلب من الخارج وزراء كاوتش لا يسافرون للعلاج بالخارج، ولا يقوم موظفو مكتبهم وسكرتاريتهم بلهف مليون جنيه في الشهر!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الإمتاع والمؤانسة

تتتابني حالة من الضحك كلما سمعت اسم وزارة التضامن الاجتماعي. حاولت كثيرًا أن أتوقف عن الضحك على الأقل لأعرف أسبابه، ومع هذا كان الضحك يزداد مع الإيغال في محاولة التوقف. لقد فهمت أنها وزارة تقوم بعمل وزارتي التموين والشئون الاجتماعية. لكن ربما كان لفظ التضامن نفسه مستدعيًا للكوميديا ذلك أن تسعين بالمائة من المصريين على الأقل فقراء.. فمع من بالضبط يتضامنون؟ هل يستطيعون التضامن مع ٧٠ مليونا من بني الإنس؟ وهل يملكون قلوبًا تتحمل مشاطرة كل هؤلاء الأحزان؟ هل يختارون عينات عشوائية؛ ليمنحوها تعازيهم ومشاطرتهم القلبية وأمنياتهم بأن يكون الغد أقل وساخة من اليوم؟ لا بد وأن هناك بالوزارة عددًا ضخمًا من وكلاء الوزارة، ومديري العموم ومديري الإدارات ورؤساء الأقسام، ولا شك أن هؤلاء يتقاضون مبالغ كبيرة كان يمكن لو ألغينا الوزارة أن تمنح الفقراء بعض العزاء وأن تشارك في تهدئة هياج الفقر وكبح أعضائه. ولكن أين يذهب العاملون بوزارة التضامن الاجتماعي إذا ألغينا وزارتهم، وخصصنا ميزانيتها لصالح الفقراء؟ المشكلة أن معظم العاملين بالوزارة هم أيضًا من الفقراء الذين يحتاجون للتضامن مثلهم مثل غيرهم بسبب سوء أحوالهم المادية، وهذا يذكرنا بما فعله العيان بالميت على رأي بلال فضل، فهل نقترح تشكيل فريق من وزارة الداخلية مثلًا للتعاطف مع موظفي وزارة التضامن، ومنحهم الدعم النفسي الذي قررته الوزارة للمواطنين؟ بلاش وزارة الداخلية لأن بعض أفرادها - في سعيهم للتضامن والدعم - يضربون في المحاشم دون قصد.. ممكن وزارة الأوقاف - مثلًا - وممكن تشكيل فريق عمل من رئاسة الوزراء حيث يوجد هناك شيء اسمه دعم اتخاذ القرار أو ما شابه.. فهل يمكن أن يتوقفوا ربع ساعة في اليوم عن دعم اتخاذ القرار، وأن يدعموا إخوة لهم في التضامن، ويمنحوهم البركات قبل أن يعودوا مرة أخرى للقرار فيشبعوه دعمًا ومؤازرة؟ إني أعرف رجلًا من المرتبطين بوزارة التضامن الاجتماعي الذين سعت لتأهيلهم وكان اسمه زنجيرة. لم يكن زنجيرة يتوقف عن الشجار مع زوجته ومع الناس في الشارع، وكان عند احتدام الأزمات ينزع غطاء البكابورت في أرضية مسكنه، ويهبط إلى أسفل، ثم يصعد وهو يقطر فضلات ويقوم بالالتحام بمن كان سببًا في الأزمة.. وبهذا كان ينهي الأزمة على نحو أفضل من بتوع دعم القرار وإدارة الأزمات. واعتاد زنجيرة بسبب المزاج المتكدر وشح الفلوس وغياب التعميرة أن يضرب زوجته وهو يقسم بالطلاق أن يفعل بها كذا وكذا. الآن بعد أن طالته يد التضامن الحانية أصبح يقسم قائلًا وهو يسدد لامرأته اللكمات: عليّا الضمان، لأفعلن بك كذا وكذا. وبهذا فقد ساهمت الوزارة في تعديل سلوكه والتخفيف من غلوائه، وأصبح يصحومن النوم مفزوعًا في جوف الليل قائلًا: سامحني يا مصيلحي!

على أي الأحوال يبدو أن قلة الموارد لدى الوزارة المذكورة لم تترك لهم سوى تقديم الدعم المعنوي للمواطنين، فعلى الرغم من أنه من أهداف عمل الوزارة العمل على تأهيل الفقراء لدخول سوق العمل، والاعتماد على النفس وإقامة المشاريع محدودة التكلفة، فإن ضيق ذات اليد يجعل تقديم الحب والحنية أرخص وأقل تكلفة، ومع هذا

فليس بوسع كل الموظفين إشاعة الحنان وإراقة التعاطف في جنبات العشوائيات وغيرها من مناطق الفقراء. ويثور هنا سؤال معقول حول المسئولية التضامنية لمجلس الوزراء وتكملة الوزارات لعمل بعضها بعضًا في خدمة المواطنين.. لماذا لا يستفاد مثلًا من وزارة الثقافة وهي صاحبة تجربة في تأهيل المثقفين الجانحين، وتحويلهم لمواطنين صالحين يجلسون في العشة يأكلون سجق وجاتوه.. لماذا لا نأخذ بعض الفلوس من وزارة الثقافة، وندعم بها رغيف الخبز بدلًا من توزيعها على بعض الزلنطحية تحت أسماء جوائز الدولة؟ إن جوائز الدولة هي شيء رائع ولكن أين هي الدولة حتى يكون لجوائزها احترام؟

وعلى الرغم من أن بعض الناس يتساءلون: لماذا في عصر المشروع الخاص ودعه يلهط دعه يمر.. لماذا يتم منع المصريين من المرور إلى شرم الشيخ في الوقت الذي يسمحون للإسرائيليين بالمرور الآمن والجلوس على الرصيف لتناول الأطعمة التي أحضروها معهم قبل أن يناموا داخل أكياس النوم على الرصيف؟! ولماذا في ذات العصر الليبرالي يكون هناك احتياج لوزارة تقوم بتنظيم توزيع الخبز المصنوع من دقيق فاسد على الناس؟

في كتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي الإجابة عن معظم هذه الأسئلة، وبه فصل كامل عن المفاخذة. وأنا أقترح إهداء الكتاب لكل الوزارات التي لا تؤدي أي عمل يخدم الناس، فربما وجدوا داخل الكتاب ما يعينهم على تعديل التوصيف الوظيفي لبعض المهن داخل الكيانات المترهلة، فيجعلون مثلًا الإمتاع والمؤانسة هدفًا من أهداف وزاراتهم، وبهذا يضربون عدة عصافير بحجر واحد (رغم أني لا أعرف لماذا يضربون العصافير بالأحجار) فيسلون أنفسهم ويمتعون الجمهور، ويلتحمون بالقاعدة العريضة، ويوجهون نحوها مجهودهم كله، بدلًا من التجهم في وجوه الناس والمقولات السخيفة مثل: فوت علينا بكرة، ولا يوجد اعتماد والميزانية لا تكفي... وكل هذه الصيغ التي أفسدت العلاقة بين المواطن وأجهزة الدولة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون E-BOOK

إن العين لتدمع

وإخوان حسبتهمُ دروعًا فكانوها

ولكن للأعادي

وخلتهمُ سهامًا صائبات فكانوها

ولكن في فؤادي

(المجاشعي القيرواني)

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

لعنة الله على ديفيد أوين

هل تعرف معنى أن يمتلئ قلبك بالحزن وأنت طفل صغير؟ هل تدرك كيف يعصف هذا الحزن بمشاعر الطفل ويجعله ينتفض في الليل وهو يتساءل: هل ستمضي بقية الحياة على هذا النحو وهل ستكون أيامي كلها مؤلمة؟

عندما كان يستمع إلى أغنية فريد الأطرش (شعبنا يوم الفداء) التي غناها في الأيام التالية لهزيمة ٦٧، تلك التي ألقت بمصر كلها في هوة بلا قرار، كان يتسلل إليه بعض الأمل، ولكن دموع أبيه التي كان يلمحها تسيل عند سماعه للأغنية كانت تشعره أن الخطب الجلل الذي وقع لنا ليس من السهل تجاوزه، وعندما كان هو نفسه يتأمل في كلمات الأغنية التي قُصد بها رفع المعنويات كان يختنق بالبكاء.. الأغنية كتبها الشاعر اللبناني عبد الجليل وهبي وفيها يقول:

شعبنا يوم الفداء

فعله يسبق قوله

لا تقل ضاع الرجاء

إن للباطل جولة

قل لهم أين المفر

فلهم يوم أمر

قد تآخينا هلالًا وصليبا

وتلاقينا بعيدًا وقريبا

يا له يوم مقدر

يذكر التاريخ هوله

إن للباطل جولة

كانت الأغنية تذاع عشرين مرة في اليوم، وكان صوت فريد الأطرش الأقرب للاستجابة لدواعي الحزن أكثر من قدرته على تلبية نداء الفرح يحفر في نفس الطفل أخدودًا من الأسى وهو يحاول تقديم العزاء والسلوى قائلًا:

فوق أرضي لن يمروا

وبها لن يستقروا

في طريق النصر لن نحني الجبينا

لن يهون العزم فينا لن يهونا

أرضنا للحق مهدُ

وانتصار الحق وعدُ

لم يدم للظلم عهد

لم تعش للظلم دولة

إن للباطل جولة

ويذكر الطفل تعليق أبيه والحزن ينهشه: كيف يقول فوق أرضي لن يمروا؟ لقد مروا وعبروا واستوطنوا واستقروا، والله وحده يعلم كيف سيخرجون!

بعد انقشاع الأيام السوداء التالية للهزيمة بدأ الجيش يبني نفسه من جديد، ثم خاض حرب الاستنزاف، وأخذت قواته تقوم بعمليات رائعة في ظل اختلال مرعب في موازين القوى بينه وبين جيش العدو، فبدأنا نفيق بعد معركة رأس العش وبعد إغراق المدمرة إيلات. لكن نشرات الأخبار لم تكن تخلو من أخبار الإغارة على العمق المصري وسقوط عشرات الشهداء، وكان الطفل يتابع ضرب قناطر نجع حمادي، ومحاولة الاستيلاء على جزيرة شدوان، وقصف مدرسة بحر البقر، ثم ضرب مصنع أبو زعبل.. لكن الحزن الذي صاحب وقوع الهزيمة، غادر نفسية الطفل، وحل محله غضب عارم ورغبة في الثأر واستبشار بما هو آت، خاصة وقد أخذ حائط الصواريخ على طول الجبهة يقوى ويشتد، وأخذت طائرات الفانتوم تتساقط. في تلك السنوات كانت الإذاعة تقدم في رمضان من كل عام مسلسلًا جديدًا من بطولة فؤاد المهندس وشويكار بدأته بـ(شنبو في المصيدة) وفي العام التالي (العتبة جزاز)، ثم (إنت اللي قتلت بابايا)، وبلغ السفه ذروته في عام ٧٢ بمسلسل اسمه (أنا وبابويا على نص أخويا) وكان الطفل الذي أخذ يخطو نحو الصبا ينظر لهذه المسلسلات نظرته لمقالات هيكل في الأهرام التي كانت تشيع الوهن في النفوس، وتدفع للاعتقاد باستحالة النصر. وفي أواخر سبتمبر من عام ٧٣ بدأ البرنامج العام مسلسلًا جديدًا شارك فيه إلى جوار المهندس وشويكار المطرب الجديد هاني شاكر، ثم توقف المسلسل في اليوم العاشر من رمضان، وسكت إلى الأبد بعد أن عبر رجال مصر قناة السويس، وقوضوا الساتر الترابي واقتحموا خط بارليف وأقاموا رءوس جسور على طول الشط الشرقي للقناة وألحقوا بالعدو الإسرائيلي أفدح الخسائر، وللمرة الأولى يكون لدينا أسرى إسرائيليون يعرضهم التليفزيون المصري بعد أن كان أسرانا هم الفرجة! ويغني محمد رشدي:

ويّا أول خطوة فوق أرضك يا سينا

كلنا من فرحنا م الشوق بكينا

بُسنا أرضك واحنا في حضن الحنين

واللقا نسّانا فين مصر الحزينة

ويبكي الطفل الذي لم يعد طفلًا مع غنوة رشدي ويستجيب لنداء الواجب بالتطوع في المقاومة الشعبية دفاعًا عن مدينة السويس، ثم لا يلبث أن يبرأ من كل أحزانه، ولا تغير ثغرة الدفرسوار من إيمانه بقيمة النصر الذي تحقق على الوحش

الإسرائيلي الذي هزمته عزيمة الرجال. وتمضي الحياة بحلوها ومرها، لكن يظل نصر أكتوبر نقطة مضيئة داخل نفسه يذكره كلما حاصرته الهموم والأحزان.

واليوم وفي شهر النصر، يأتي إلى بلدنا الاستعماري المتعصب ديفيد أوين وزير خارجية بريطانيا الأسبق يريد أن ينزع من الطفل فرحته بالنصر، ويعيده للأيام السوداء.. أيام شعبنا يوم الفداء وعدى النهار والمغربية جاية.. يأتي ليعلن من قلب القاهرة أن إسرائيل ألحقت بنا هزيمة منكرة في حرب أكتوبر، وأن فرحتنا بالنصر لا مبرر لها، ذلك أنه لم يحدث!

ألا لعنة الله على الاستعماري العجوز ربيب الإمبراطورية التي لم تعد ترى الشمس، ولعنة الله على من أتوا به ليبصق علينا في شهر النصر. إن إسرائيل تصب الحمم على رأس من يشكك في الهولوكوست، بينما نسمح نحن للصهيوني البغيض أن يأتي إلينا يريد أن يهز إيماننا بأروع عمل عسكري قمنا به منذ معركة عين جالوت.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون E-BOOK

عباس خالي البندق.. على كاماتشو

داخل محل الكشري كان صوت المذياع عاليًا وضجيج الزبائن فوق العادة، لهذا كان صبي المحل الذي يأخذ الطلبات من الزبائن يضطر إلى أن يصرخ حتى يصل صوته واضحًا إلى زميله الذي يقوم بتجهيزها. مر الصبي بجواري، وعلا صوته على مقربة من أذني صائحًا: وعندك واحد عباس خالي البندق على كاماتشو. لفت انتباهي ما قاله الفتى، واستعنت بصديقي الجالس أمامي لفك شفرة الطلب العجيب. قلت له: هل هذا هو مطلع قصيدة جديدة للدكتور علي لطفي مثل قصيدة: (الويكا) التي شدا بها مؤخرًا، أم تراه يردد لغة خاصة بهم في المحل؟ لعل واحد عباس هذه تعني طلب مخصوص لكنهم يدللونه.. أنا أعرف أنهم يسمون التقلية ورد، لكن البندق فمعلوماتي تقصر عن فهمه. قال صديقي: وماذا عن الكاماتشو؟ أجبته: أعتقد أن علينا أن نسأل الصبي نفسه وهو يفسر لنا الأمر. قلت هذا وأنا أضحك، ثم انصرفت إلى طبق الكشري وبدأت في التهامه، لكني لاحظت أن صديقي لم يأكل وغرق في تفكير عميق. سألته: ما لك؟ قال: ألا تعرف ما لي؟ قلت في دهشة: وأنّى لي أن أعرف، لقد كنت تضحك منذ دقيقة واحدة فما الذي حدث؟ أجابني: الكلام الذي سمعناه الآن من صبي المحل لا يدعو إلى الارتياح. نظرت إليه دهشًا وقلت: ماذا تقصد؟ اقترب مني هامسًا: هذا الولد يردد شفرة غامضة لا يريد لأحد أن يفهمها، وهو يريد أن يضلل المخبرين الذين ينتشرون في المحل، وأنت تعرف أن مصر مستهدفة هذه الأيام وفي الأيام القادمة، كما كانت مستهدفة في الأيام السابقة وتلك التي سبقتها. قلت له وأنا أكاد أقع من شدة الضحك: هل أصابك الخفيف؟ أنا أعلم أن تاريخ عائلتك لا يخلو من شخصيات بها بعض اللطف، لكن ليس لهذه الدرجة. قال: لماذا في رأيك طلب واحد عباس؟ لقد كان بإمكانه أن يطلب أي أحد آخر لكن عباس له دلالة. قررت مسايرته فقلت: وما دلالة هذا العباس؟ أجاب: هو يلمز السيد محمود عباس صديق مصر الصدوق الذي لا يمر أسبوع واحد حتى يأتي إلينا، وينير ليل القاهرة بطلّته الحلوة. قلت: أنا أعرف أن عباس يأتي يوم الخميس؛ ليحضر التنزيلات التي تقدمها محلات كارفور ويأخذ حاجة الأسبوع قبل أن يعود إلى رام الله، وكان قبل ذلك يحضر العروض التي كان يقدمها شوب رايت حتى تم بيع فروعه إلى أولاد رجب.. لكني لا أعتقد أن الولد كان يقصده حين طلب واحد عباس؛ لأنه وصفه بأنه خالي البندق، وعباس الذي تحكي عنه بنادقه تسد عين الشمس، ويتم تسليحه بواسطة كل قوى الاعتدال في المنطقة ولا يمكن أن تسمح إسرائيل بأن يكون خاليًا من البندق. قال صديقي: ومن أدراك أنه يقصد بالبندق البنادق والسلاح.. لعله يقصد البندق واللوز وعين الجمل. قلت له: ربما كنت محقًّا، وكان الرجل يصنع المشمشية والحلويات النابلسي بدون الياميش من باب التقشف ومشاركة شعبه المحاصر الأيام العجفاء، مثلما كنا نفعل على زمن رئيس للوزراء قال الناس إن أم علي كانت تصنع في عهده (سِك) بدون أي تحابيش بعد أن قام بقطع الخميرة من البيت، وقام بتنشيف الزيت. قال: من الواضح أنك تقصد غير ما تقول، ولعلك تلمح إلى الأقاويل التي أوردتها وكالة رويترز عن العقود التي حصل عليها أبناء عباس من الأمريكان. قلت له: يا صديقي أنت تعلم أنني لا أثق

بالأمريكان، والوكالة المذكورة تحدثت عن مراجعة قامت الوكالة ذاتها بإجرائها للسجلات الأمريكية بشأن برامج مساعدات في الضفة وغزة، فوجدت أن شركات للإنشاءات والعلاقات العامة يديرها أبناء عباس حصلت على عقود بلغت قيمتها مليوني دولار منذ عام ٢٠٠٥ عندما أصبح والدهم رئيسًا للسلطة الفلسطينية. قال صديقي: أنا أحمد لك عدم ثقتك بالأمريكان، وإن كانت الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية قد أكدت أن شركات أبناء عباس، قد فازت بالعقود من خلال تقديم مناقصات شاملة وعلنية، وأن العلاقات الأسرية لم تكن ضمن العوامل التي أخذت في الاعتبار. قلت له: لقد أرحت قلبي يا صديقي وأنا لم أشك مطلقًا في الرجل.. لكنك ألقيت بي في دوامة من الحيرة، فماذا يقصد الولد؟ ولماذا يتحدث بالشفرة؟ وما معنى أن واحد العباس هذا الخالي من البندق.. ما معنى أن يكون على كاماتشو؟ قال صديقي: لا أدري. قلت: ما رأيك أن نطلب البوليس ونتركه يحقق في الأمر بطريقته ليصل إلى الحقيقة؟ قال: عين العقل.. وشرع يطلب النمرة لكنه توقف، وسألني: أليس من المحتمل أن يكون يقصد الدكتور نظيف أو أحدًا من وزرائه؟ جاوبته: وهل هناك من الوزراء من هو على كاماتشو؟ إن بعض الوزراء على رولمان بلي وقد فرط بالكامل، وبعضهم الآخر على كبالن، لكن كاماتشو لا أظن!

استأذنت في الانصراف للقيام بمشوار، وتركت صديقي يطلب البوليس للرجل.. وأنا من هذا المنبر أهيب بمن كان يفهم الشفرة من السادة القراء أن يشرحها لي وله دعواتي بالخير.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون E-BOOK

نغمات أبو مازن.. ورنّاته

لم يكن ما فعله محمود عباس هو أول جريمة يرتكبها أحد الذين يأكلون البغاشة باسم القضية الفلسطينية في حق قضيتهم. لقد فعل أبومازن الكثير من قبل، لكن فعلته الأخيرة طرحت القضية أرضًا وكادت تجهز عليها بطريقة تثبيت الأكتاف كما في المصارعة الحرة.

قام السيد محمود عباس الرئيس السابق للسلطة الفلسطينية في الضفة الغربية والذي انتهت مدة رئاسته في يناير الماضي لكنه ما زال يجلس على المقعد.. قام بتوجيه مندوبه نحوالتصويت بتأجيل مناقشة تقرير جولدستين الذي يناقش جرائم الحرب التي ارتكبتها إسرائيل في حق الفلسطينيين أثناء عدوانها على غزة أوائل العام الحالي. وجولدستين هذا واضع التقرير - رغم يهوديته - كان أكثر تحريًّا للعدل، وأكثر إنصافًا لدماء الأطفال التي سفحها الفوسفور الأبيض من رئيس السلطة الفلسطينية الذي هدده الإسرائيليون بإذاعة تسجيلاته التي يحرض فيها على إبادة شعبه، ويهيب بالقتلة أن يكملوا جريمتهم، كما هددوه بحرمانه من افتتاح شركة الموبايلات في رام الله فيما لو تمسك بمناقشة التقرير، فارتعدت فرائصه وسارع بإنقاذ إسرائيل وإيقاف مناقشة التقرير الذي يدين من قتلوا أبناءه الفلسطينيين!

هذا ولم تعد جديدة الأخبار التي تتكرر كثيرًا في وسائل الإعلام الإسرائيلية عن تعاون أبومازن ورجاله مع الجيش الإسرائيلي، ومنها هذا الخبر الذي تحدّث عن حملة مداهمات قامت بها القوات الإسرائيلية لاعتقال عدد من الشباب الفلسطينيين، وأن قوات الأمن التابعة للسلطة الفلسطينية بقيادة عم الأشاوس أبومازن قد أفسحت الطريق للقوات الصهيونية، ولزمت مقارها طيلة الفترة التي احتاجتها إسرائيل لإتمام العملية، واعتقال الشباب الفلسطيني.

غير أن البعض يعتقد أن وراء هذه الأفعال من جانب محمود عباس أهدافًا نبيلة لا يسهل فهمها من النظرة الأولى، فالرجل الذي يمتلك أجمل باقة من النغمات والرنات في شركة المحمول خاصته يعتزم النزول بها في الموسم الجديد؛ ليتيح لشعبه إمكانية التحميل بأسعار تنافسية، كما يقال إنه بعد أن حسب المسألة قرر أن ينحاز لرفاهية شعبه، ويتيح له أجمل النغمات خير من الانحياز للمقاومة أو حتى مناقشة التقارير المزعجة التي تدين إسرائيل، تلك التقارير التي لا تجلب الأنس والسعادة.

لكن المشكلة - رغم تقديرنا لدوافع الرجل واحترامنا لنغماته ورناته - أنه لم يعد بوسعنا أن نمنع أحدًا من أهل الغرب الذين تحركت ضمائرهم من أجلنا إذا أراد أن يبصق في وجوهنا احتقارًا، ولم يعد بوسعنا أن نلتمس عون الأصدقاء في أوربا وآسيا وبلاد تركب السيسي بعد أن قام أهل القتيل بعمل غير مسبوق من أجل حماية القاتل، وتحصينه ضد العقاب. ومن الذي يستطيع اليوم أن يلوم وزير الخارجية العراقي الذي ألغى شرط مقاطعة الشركات المشاركة في معرض بغداد الدولي مع إسرائيل وذلك للمرة الأولى في تاريخ العراق. وفي نفس الإطار يمكن النظر إلى جواز السفر الجديد الذي أصدرته السلطات السودانية لمواطنيها والذي يخلوللمرة الأولى من العبارة التاريخية الشهيرة: مسموح له بزيارة كل الأقطار عدا إسرائيل.

من المعروف أن السيد محمود عباس يواصل الحضور إلى القاهرة كل أسبوع في زيارة لا يخلفها أبدًا، ويقول العارفون إنه يحرص على حضور العروض التي يقدمها كارفور مساء الخميس والعروض التي يقدمها مترو يوم الجمعة، ولا ينسى بالطبع التنسيق مع محلات النغمات والرنات وتفقّد الجديد منها.. ثم يعود بالسلامة إلى رام الله ومعه التموين.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

عروض كارفور للسلام!

محمود عباس الرئيس السابق للسلطة الفلسطينية انتهت مدة رئاسته منذ فترة طويلة ومع هذا لا يزال في السلطة.. كيف؟ الله أعلم! على أي الأحوال هذه المسائل الشكلية من الواضح أنها لا تشغل أحدًا سواء من القادة العرب أو من المسئولين في أوربا وأمريكا الذين يستقبلون الرجل ويتفاوضون معه على الرغم من أنه قانونيًّا ودستوريًّا لا يمثل سوى نفسه، ومع هذا يبدو أن حبهم للرجل واستلطافهم له يتغلب على العقبات السخيفة للقانون والشرعية. والحقيقة أنه بسبب فقدان الرجل لمقعده في السلطة بسبب انتهاء مدته وعدم إجراء انتخابات جديدة فإن الناس في القاهرة كانت تندهش لزياراته الأسبوعية التي لم تتوقف، ورجح البعض أنه كان يأتي كل خميس لحضور العروض التسويقية التي تقدمها محلات كارفور ومترو وأولاد رجب في نهاية الأسبوع وإحضار (حاجة الأسبوع) وإن كان هذا الاحتمال لم يصمد كثيرًا بعد أن تعددت زياراته مؤخرًا لشرم الشيخ مع عدم وجود فروع لأي هايبر ماركت كبير هناك!

المهم أن هذا الرجل اللطيف أدلى الأسبوع الماضي بتصريح رآه البعض كارثيًّا ويمنح الإسرائيليين الحق في أرض فلسطين المحتلة ويسحب من الفلسطينيين حقهم في أرضهم المغتصبة عندما وقف أثناء زيارته لأمريكا داخل مركز اسمه (دانيال إبرامز للسلام) في لقاء ضم ٣٠ من قادة اللوبي الصهيوني وقال وابتسامته الحلوة تملأ وجهه: (لن أنفي أبدًا حق الشعب اليهودي على أرض إسرائيل).. يا الله ما هذا الكلام؟! ولماذا كان النضال لمدة ستين عامًا؟ وعلى ماذا نتفاوض الآن يا عم الشباب؟ إننا من الممكن وطبقًا لتوازن القوى أن نقبل حلًّا لا يلبي الكثير من الأماني الوطنية، لكن الاعتراف بحق عدوك في الأرض التي اغتصبها هو شيء مهول لا يصدر عن شخص في كامل وعيه ولم يسبق لأحد أن فعله من قبل لأنه يسلب من الأجيال القادمة الحق في أرضهم التي لا يملك عباس التنازل عنها.. وكيف تجلس يا حاج عباس مع الإسرائيليين على طاولة المفاوضات بعد ذلك؟ وعلام تتفاوض؟ وماذا تتوقع منهم أن يعطوك بعدما عرفوا أنك تشاركهم الإيمان بأن الأرض أرضهم وأن الشعب الفلسطيني المتنطع يريد أن يشاركهم ملكيتهم في هذه الأرض؟! إنك يا ريس عباس تقدم بالمجان للصهاينة أكثر مما يتمنونه وتصادر على حقوق الفلسطينيين وفي مقدمتها حق العودة.

لكن على الرغم من مأساوية هذا التصريح وكارثيته وتنكره لعذابات الفلسطينيين ومخاصمته لدماء الشهداء وآمال المقاومين فإن البعض يردد أنه قد تكون له فوائد اقتصادية تعود على الشعب الفلسطيني، وأصحاب هذا الرأي يدللون على صحته بأن الناس في الضفة الغربية لم يندهشوا لكلام عباس ولم يعترضوا عليه وهذا قد يعني ترحيبهم بمضمون التصريحات وتأييدهم لصاحبها، ويعزون الأمر إلى وعود ربما حصل عليها عباس من واشنطون بالحصول لشعبه على تصاريح لزيارة كارفور في القاهرة مرة كل أسبوع عوضًا عن الأرض التي اتضح أنها.. إسرائيلية!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

الحكمة التي تَميت الضمير

تسعى مجموعة من الدول العربية لعقد قمة طارئة لمناقشة العدوان الإسرائيلي على غزة، على رأسها قطر وسوريا. في الوقت الذي تتزعم فيه رفض عقد القمة وترى عدم جدواها مجموعة أخرى من الدول على رأسها مصر والسعودية. ولا شك أن الدول الرافضة لانعقاد القمة هي دول تتمتع بحصافة وحكمة، تجعلها تدرك أن القمم العربية لا تسفر اجتماعات أصحاب الجلالة والفخامة فيها عن أي شيء له قيمة. لكن الأمر المؤسف هو أن الدول الحكيمة الواعية بعقم اجتماعات القادة العرب فاقدي الإرادة هي نفسها التي شاركت بالسهم الأوفر في فقدان هذه الإرادة، ولا تعفيها حكمة زعمائها المفرطة من كونها جزءًا أساسيًّا من مشكلات العرب لا جزء من الحل.

ورغم أنني لا أتوقع أي خير عندما يجتمع الزعماء العرب، وأرى أن تشرذمهم رحمة؛ لأنهم لا يجتمعون إلا بغرض إلحاق الأذى بنا، فإنني أستغرب أن ترفض بعض الدول العربية عقد القمة رغم أنها تشكل فرصة طيبة لخداع شعوبهم، والإيحاء بأنهم يفعلون شيئًا.

والدول الرافضة اليوم لعقد القمة هي نفسها التي سارعت إلى عقد قمم سابقة في ٢٤ ساعة عندما شاء الأمريكان والإسرائيليون، مثلما كان الحال عند غزو صدام حسين للكويت عام ٩٠. والقاهرة التي تتدلل اليوم، وتضع العقبات في وجه انعقاد القمة هي التي سبق لها عقد قمة في شرم الشيخ عام ٩٦ بحضور الرئيس الأمريكي عندما تعرضت إسرائيل لهجمات استشهادية متتالية، أسفرت عن مقتل عشرات الإسرائيليين.. يومها سارعت مصر إلى نجدة الصديق الصهيوني فورًا، ودون تردد. وأتصور أن الدول التي تحاول اليوم تعطيل انعقاد مؤتمر قمة عربي تخشى توجيه انتقادات لها عن موقفها الداعم لإسرائيل، وترى أنه لا محل للمزايدة، فكلهم في الوكسة سواء، والفرق بينهم وبين بعضهم في مؤازرة العدو ودعمه هو فرق في الدرجة وليس في النوع، فهناك من يغلق المعابر في وجه الفلسطينيين ويمنع رحمة ربنا من الوصول إليهم، وهناك من يضخ أمواله في شرايين الدولة العبرية، وهناك من يمنح قواعد عسكرية على أرضه تمتلئ بالضباط الإسرائيليين الذين ينالون تدريبًا ميدانيًّا بالذخيرة الحية ساحته الأرض العربية، وممّولوه أثرياء العرب، وضحاياه الأطفال العرب في العراق وفلسطين!!

ترتفع الأصوات في وسائل إعلامنا تتحدث عن المزايدين على موقف مصر، الناكرين لفضلها، ويقولون: إن إيران لم تطلق رصاصة واحدة ضد إسرائيل، فكيف لها أن تعطينا دروسًا في الوطنية؟ ويقولون: إذا أراد حسن نصر الله مساعدة غزة فليفتح جبهة للقتال من الجنوب اللبناني، وليحارب إسرائيل بدلًا من خطبه التحريضية. ويقولون أيضًا: إن قادة حماس يختبئون في ملاجئهم تحت الأرض ويتركون شعبهم يتعرض للدمار.

هذا الكلام نقرؤه في الصحف كل يوم للبعض يعيدون فيه ويزيدون. وأخشى ما أخشاه أن الجمهور يتأثر بهذا الكلام الفارغ، وقد يجد من يصدقه. على سبيل المثال

فحكاية إيران التي لم تطلق رصاصة على إسرائيل هي حكاية مضحكة من فرط مأساويتها، فهل أصبحنا ندعو إيران لتصد العدوان الإسرائيلي لا أقول على فلسطين، وإنما أقول على رفح المصرية؟ هل نطلب من إيران أن تثأر للجنود المصريين الذين صرعتهم القذائف الإسرائيلية التي انهمرت داخل حدود مصر؟ أم مطلوب من إيران أن تأخذ موقفًا من الإسرائيليين الذين استباحوا مصر، وحلقوا داخل الأجواء المصرية لضرب الفلسطينيين؟ إن إيران دولة تسعى لتحقيق مصالحها هي وليست تعمل لحسابنا نحن أو غيرنا، وإذا اتفقت اليوم مصلحتها معنا وتصادف أن أحد بنود أجندتها يعادي إسرائيل، فهل نقبل يدها الممدودة بالسلاح وبالدعم السياسي، أم نعاديها ونشتمها؛ لأنها تكتفي بمد المقاومين بالأسلحة ولا تدخل الحرب بدلًا منهم؟! وهل إذا تهورت ودخلت الحرب (وهو الأمر المستحيل) هل سنؤيدها ونقف معها، أم سنقود تحالفًا ضدها ينتهي باحتلال طهران؟

أما بالنسبة لدعوة السيد حسن نصر الله بأن يذهب لمحاربة إسرائيل، فبالله عليكم هل إذا استجاب الرجل لدعوتكم، وقام بقصف إسرائيل كما طلبتم منه، هل تساندونه وتنصرونه، وتقفون إلى جانبه أم تتبرءون منه، وتنعتونه بالمغامر المتهور الذي سيجلب لبلده الدمار؟

أما بالنسبة لقادة حماس الذين يعيب عليهم الكتاب والصحفيون الأشاوس اختباءهم تحت الأرض، فهل تراكم تعبرون دون قصد عن أمنياتكم بأن تقوم إسرائيل بقتلهم؟ أم أنكم تعتقدون حقًّا أن القادة السياسيين والعسكريين يتعين عليهم الخروج بالبنادق فوق أسطح العمارات؛ لتحصدهم أول غارة إسرائيلية وتريحكم منهم؟

إن المرء في هذه الأيام المأساوية يتمنى من الله - صدقًا - لوكان يملك جلد خنزير يقيه شر الموصلات العصبية التي تحمل له ألمًا لا يطاق، ويتساءل لماذا لم يخلقه الله بليدًا مثل نفر منا يشتمون الضحايا ويحملونهم المسئولية، ويلتمسون الأعذار للقاتل، ويمسكون عن الحديث عن الجنود المصريين الذين قصفتهم إسرائيل، ويتسلون بمشاهدة الطفل الفلسطيني الذي فقأت إسرائيل عينيه وحرمته من نور البصر دون أن يندفع شلال الدمع من أعينهم التي زاغت، ودون أن تتحرك ضمائرهم التي تعفنت من فرط الحكمة!

التهوّر في الخيانة والتهوّر في الوفاء

هل بدأت الدنيا مع صواريخ حماس؟ أم أنه في البدء كان الاحتلال وكان الحصار؟

هل يجوز اليوم أن يكون وقف الصواريخ مقابل وقف العدوان، أم ينبغي أن يكون وقف الصواريخ مقابل وقف الحصار؟

من المفهوم أن نسعى الآن في طلب التهدئة لوقف شلال الدم ومنع مزيد من الدمار، لكن هل يكون من العدل أن تكون التهدئة بالشروط الإسرائيلية هي مطلبنا الدائم؟ أي أن تنعم إسرائيل بالأمن ويكون لها الحق أن تضرب بالطائرات أهدافًا تنتقيها بهدوء وعلى مهل وبشكل يومي دون أن يكون من حق الفلسطينيين مجرد إطلاق صواريخ التململ! هل التهدئة المطلوبة هي الحق في قتل الفلسطينيين بالقطّاعي (بدون مذابح

جماعية)، ومحاصرتهم ومنع الغذاء والدواء والوقود عنهم؟.. يقول شيمون بيريز وتقول ليفني وباراك وأولمرت: نحن لا مشكلة لدينا مع الشعب الفلسطيني لكن مشكلتنا مع حماس!! هذا الكلام يعني ببساطة: أنك إذا تركتني أحتل أرضك وأحاصرك وأمنع عنك كل أسباب الحياة فلن تكون لي مشكلة معك، لكن المشكلة تبدأ عندما تفكر في مقاومة الظلم.. فهل هذا كلام؟ الأمر الغريب أننا نجد من بيننا من يردد ذات الكلام ويطلب من الفلسطينيين الموافقة على أن تضربهم إسرائيل وقتما تشاء (ما دام عدد الشهداء لا يزيد عن عشرة في اليوم)، وأن تغلق المعابر في وجههم وتقتلهم ببطء، فإذا رفضوا وطالبوا بالحق في الحياة صاروا إرهابيين يقومون بترويع الإسرائيليين الودعاء الآمنين، كما يصيرون جاحدين بفضل الشقيقة الكبرى التي حرمت نفسها من اللقمة من أجلهم!! ويعلم الله أن حرمان المصريين من اللقمة لا علاقة له بفلسطين من قريب أو من بعيد.

إنني أحتار فيمن أعلنوا كفرهم بالعروبة، وسخريتهم من حكاية الشقيقة الكبرى ورغبتهم في أن نتفرغ لمصر، وسبب حيرتي هو أن هذا قد حدث بالفعل ولثلاثين عامًا دون انقطاع، فما معنى أن يقوم من خرج من المباراة وعاد للبيت فأكمل متابعة الماتش في التليفزيون بالتهديد بأن يترك الملعب؟! وما معنى أن يقرروا التفرغ لمصر وهم الذين تفرغوا منذ زمن لنهب مصر؟! وما حكاية سيناء التي يهدف الفلسطينيون إلى احتلالها وسكناها، تلك المقولة الفاجرة التي يرددها الفجرة ويُكذبها تشبث الفلسطينيين بأرضهم والموت دونها، ولو كانوا يرضون بأي قطعة أرض ما تمسكوا بحق العودة ولتركوا إسرائيل تنعم بالأرض المسروقة.

إنني لا أنكر على أحد حقه في أن يأخذ ما شاء من مواقف، بشرط ألَّا يتردد في إعلان مواقفه على الناس، لا أن يعلن عكسها. من حق حكومة مصر أن تتصاع لإسرائيل وتغلق معبر رفح أو أن تغلقه لأن ذلك يحقق أمنها، لكن هل يحق لها أن تعلن أن المعبر مفتوح بينما هو مغلق؟ من حق حكومة مصر أن تكره الفلسطينيين كما تشاء (فالحب مش بالعافية)، لكن هل من حقها أن تدعي مساعدتهم، وتملأ الدنيا صياحًا عن التضحيات التي تقدمها لهم؟ هل النصح بقبول الذل صار تضحية كبرى؟ إن زمن التضحيات التي قدمتها مصر في مواجهتها لإسرائيل قد ولّى، ولم تكن في حقيقتها سوى مساعدات من مصر لنفسها، وحتى لوكانت من أجل الأشقاء، فهل يجوز اليوم أن نمن عليهم بأن آباءنا وأجدادنا كانوا يساعدون آباءهم وأجدادهم!

إنني على عكس الكثيرين لا أحمل غضبًا على السيد أحمد أبوالغيط أو تصريحاته الصادمة، بالعكس أحمد له فضيلة الصدق مع النفس، وأراه خير معبر عن السياسة الخارجية المصرية دون مواربة أو تزويق. إن شخصًا كعمروموسى مثلًا كان خليقًا بأن يبيعك نفس البضاعة وهو يوهمك أنها طازجة ومفيدة!

ولئن كان الشاعر الراحل محمود درويش قد كتب (أنت منذ الآن غيرك) بعد استيلاء حماس على السلطة في غزة، وكتب قبلها (لا تعتذر عما فعلت)؛ فإن الشاعر عبد الرحمن يوسف قد كتب مخاطبًا محمود درويش في قصيدة عنوانها (اعتذر عما فعلت) بعد أن رأى درويش يشتد في قسوة على إخوة له:

إذا كنت يومًا عذرت الذي قد تهور

وهو يسير بدرب الخيانة

فاعذر بربك من قد تهور

وهو يسير بدرب الوفاء!

لا بد أن عبد الرحمن يوسف لم يعرف ما عرفه أحمد أبو الغيط من معلومات موثقة، وإلا لكان له موقف آخر يتفهم فيه احتياجات الصديق الإسرائيلي الذي روعته هجمات الفلسطينيين وأفزعت حمائمه الوادعة، ودائمًا الشعراء ينساقون وراء مشاعرهم، ثم يتبعهم الغاوون فيضلونهم، أما الدبلوماسيون من أمثال وزير خارجيتنا فيتبعهم المهتدون الذين يعرفون فضل تسيبي ليفني، وهم لها مؤيدون ولذراعها في الملمةِ ساندون.

وبالمناسبة فلست ألوم السيد أبو الغيط الذي تصرف كجنتلمان مع السيدة ليفني حين أمسك يدها عندما كادت تزل، فهذه هي تقاليد مصر النابعة من حضارة كذا ألف سنة، لكن الأمر المحير هو الحوار الذي دار ويدها في يده.. صرح بعض العارفين أن السيد أبو الغيط قال لها: تسيبي؟ فقالت له: عيون تسيبي، فرد مرتبكًا: أقصد تسيبي إيدي علشان كلام الناس!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

المحقونون بعقار الهلوسة

هل صارت مباراة في كرة القدم هي مشروع مصر القومي الذي تحتشد له الدولة المصرية شعبًا وحكومة؟ لا مصر ستحقق شيئًا في كأس العالم ولا الجزائر، والفريق الذي سيصل منهما إلى المونديال سيكون من فرق المستوى الرابع في كل مجموعة، أي سيكون حصالة الأهداف التي تتسلى بجمعها القوى الكروية الحقيقية في البطولة أثناء سعيها لبلوغ دور الستة عشر. هي ثلاث مباريات تعيسة لا أكثر سيخوضها الفريق الذي يصل إلى النهائيات، وما زلنا نذكر المباريات الثلاث التي لعبناها في مونديال ٩٠ عندما وقف اللاعبون الأحد عشر في حلق المرمى طوال الأشواط الست، ولم تكن لهم سوى هجمة واحدة في المباريات الثلاث أسفرت عن ضربة جزاء! فهل يستحق الأمر كل هذا العناء؟ هل يستحق كل هذا الهوس والجنون؟ لا هم سينافسون على كأس العالم، ولا سيصعدون إلى الأدوار النهائية وسيحتاجون إلى الدعاء في كل مباراة حتى تمر بأقل الخسائر. والله إنني لأعتقد أن الشيطان هو الذي يدير هذا الفيلم البائس، وأراه يجلس في غرفة الكونترول ممسكًا بأزرار الميديا المقروءة والمصورة وممسكًا أيضًا بخزائن الشعب الفقير المهزوم يوزع منها يمينًا ويسارًا على المشروع القومي للفوز على الجزائر بحجة أن هذا الفوز يرسم البسمة على شفاه المصريين.

ألم يعد من أمل في ابتسامة على وجوه المصريين إلا من خلال الفوز في مباراة كرة؟ والله إن الحصول على رغيف الخبز بدون معارك طاحنة من شأنه أن يرسم فرحة حقيقية على وجوه المصريين خير من الجريمة التي يرتكبها ملوك الطوائف في حق الشعبين المصري والجزائري، عندما يحاولون حرف وعي الناس وإلهاءهم عن واقعهم المرير من خلال مباراة تافهة، خاضت مثلها كل منتخبات العالم في هدوء، ودون سفالة متبادلة بين الشعوب. إن وسائل الإعلام في مصر والجزائر أثبتت أنها كرات لهب تنشر الحرائق بين الشعوب، وكلما خمد أوار حريق أشعلوا غيره. ومن أسف أن هناك مجموعة من الأشخاص يتصدرون المشهد بزعم أنهم من خبراء اللعبة والحقيقة أنهم عبارة عن مجموعة من العاطلين والزلنطحية، ويندر أن يوجد بينهم شخص واحد متعلم أو تتعدى ثقافته قراءة صفحة الرياضة في جريدة محلية، ومن أسف أن هؤلاء قد أصبحوا قادة الرأي في هذه الأيام السوداء.

إن المشكلة ليست بين مصر والجزائر، فلوأن المباراة كانت تقام بين مصر والسودان، أو ليبيا، أو تونس، أو المغرب، أو السعودية أو الكويت، أو أي دولة عربية أخرى كانت ستتحول على يد ملوك الطوائف إلى معركة حربية.. معركة تقوم فيها صحيفة معاريف الإسرائيلية بتهنئة الفريق الفائز كما فعلت بعد فوز الفريق المصري بهدفين في المباراة الأولى ضد الجزائر. المشكلة هي في ملوك الطوائف، وليست في لاعبي المنتخبين أولئك الملوك يقومون بحقن الناس بعقار الهلوسة، وليس عندي تفسير آخر لحالة الهستيريا الجماعية التي تسيطر على الشارعين المصري والجزائري سوى تعرضهما للحقن بعقاقير الفرفشة والهلوسة التي يزول مفعولها سريعًا ويترك صداعًا قاتلاً.

إنني من فرط اشمئزازي مما يحدث لم أعد أحب الكرة التي ذهبت بعقل الناس، وجعلتهم يستجيبون للشيطان القابع بغرفة السيطرة ويملئون الأفق صياحًا وصراخًا وعويلاً، يتصورون أنه فرط وطنية وفرط محبة للوطن. إن الوطنية الحقة هي في إبطال عرض الفيلم الرديء ورفض المشاركة فيه ليس من أجل الحفاظ على العلاقات مع شعب شقيق، فهذا أمل أصبحنا لا نحلم بإدراكه، ولكن من أجل الحفاظ على ما تبقى لنا من عقل وكرامة. هل من المعقول أن تصدر أوامر إلى وزارة الخارجية بإدارة معركة مباراة كرة قدم مع فريق عربي؟ وهل من المعقول أن تنشر الصحف أن وزير الخارجية قد أصدر أوامره للبعثة الدبلوماسية المصرية في الخرطوم بالإشراف على الملهاة وإدارتها وحشد الجماهير الكفيلة بتحقيق النصر؟ هل هناك عبث يفوق هذا العبث؟ إن البعثات المصرية في الخارج قد تخلت من ثلاثين سنة عن المصريين، ولم تعد تأبه لمشكلاتهم ومعاناتهم حتى إذا تعرضوا للضرب بالسياط على يد بعض الأشقاء المجرمين (والعجيب أن الجزائريين لم يكونوا أبدًا ممن يهينون العمالة المصرية)، لكننا بعد أن استسلمنا للجنون، فتحنا بوابات جهنم على المصريين الموجودين بالجزائر دون أن نكون قادرين على حمايتهم أو استيعابهم في سوق العمل الداخلي. إن المرء ليضحك من الأسى وهو يرى وزارة خارجيته تحتشد من أجل مباراة قد تمنح الناس سعادة زائفة في حالة الفوز مدتها ٤٨ساعة على الأكثر، ثم بعدما يفيقون من آثار الحقنة يبحث لهم الجالسون في الكونترول رووم عن جرعة أخرى في أسرع وقت تعيدهم إلى الغيبوبة، قبل أن يبدءوا في الكلام في السياسة أو يطالبوا بشربة ماء نظيفة، أو طبق خضار لم يتم ريه بماء المجاري!

إنني مثل معظم الناس أحب الكرة وأستمتع بمشاهدتها، لكن ليس في هذا السياق المجنون، وما رأيته طوال الفترة السابقة أصابني بالحسرة على مصر التي ستخرج من المباراة بخسائر فادحة أيا كانت نتيجة المباراة.

مسلسل مكسيكي درجة عاشرة

متى يا ربي ينتهي هذا العرض الممل الذي تلاحقنا به وسائل الإعلام عن كرامة مصر المهدورة وشرف مصر المنتهك على يد الجمهور الجزائري في الخرطوم؟

إنني لا أجادل في سفالة وإجرام العناصر التي حملتها الطائرات الجزائرية إلى الخرطوم لحضور المباراة، لكني على يقين بأن ما يضايق أصحاب الفيلم الرديء من جماعتنا ليس فقط خسارة المباراة وضياع آمالهم في استثمار الحدث سياسيًّا، ولكن يضايقهم إخفاقهم الشديد في حمل عناصر بلطجية إجرامية إلى الخرطوم كما فعل الجزائريون. إن الحزب الوطني هو الذي هُزم في أم درمان وليس الشعب المصري، ولعل ما يثير حنق كوادرهم الحزبية أنهم لم يستغلوا خبرتهم في تجميع البلطجية كما عودونا أن يفعلوا أيام الانتخابات، لكنهم اصطحبوا معهم الشباب البسكويت من جماعة حورس وجيل المستقبل وما أشبه.. وقد ولى هؤلاء الأدبار أمام أول نفخة من المجرمين العتاة من الجمهور الجزائري. ومن أطرف ما قرأت في هذا الشأن ما كتبه الأستاذ فراج إسماعيل عن أنهم نسوا أن يصطحبوا معهم عنترة إلى الخرطوم وأخذوا بدلًا منه شيبوب! وعلى الرغم من هذا، فإنه من

العجيب أن عشرات الآلاف من البلطجية المسلحين بالمطاوي والسنج والسكاكين الذين كانوا يبيتون النية للعدوان - كما قرأنا وسمعنا - لم يفلحوا سوى في إصابة عشرين شخصًا ليس منهم أحد في المستشفى الآن! طبعًا لا أتمنى أن يصاب مصري واحد بخدش ولكن ألم نكن نستطيع أن نتعامل مع الأمر طبقًا لحجمه الطبيعي، خاصة وأن لجماعتنا تاريخًا مشهودًا في التسامح مع الصهاينة عندما يقصفون رفح المصرية من وقت لآخر، وأيضًا كانوا متسامحين مع البحرية الأمريكية عندما أطلقت النار في مياهنا الإقليمية داخل قناة السويس على مركب صيد، فقتلت صاحب المركب، ثم رمت لأهله مبلغًا ماليًا، ولم نعاتبهم حتى عتابًا رقيقًا؟!

يا حضرات المصريين.. اسمعوا وعوا.. إننا عندما نقوم بلعن شعب الجزائر من فوق المنابر الإعلامية ونستجيب للغوغاء الذين ينفخون في النار ويطالبون بقطع العلاقات مع الجزائر فإننا نرتكب في حق مصر إثمًا عظيمًا. إنني أخشى أن ما أكتبه سيضيع وسط عواء ذئاب الإعلام الضارية وضباعه التي تعيش على الرمم، وأشعر بعظيم الألم وأنا أجد أقلامًا كنت أظن أصحابها بني آدمين فإذا بهم خراف ضالة في أحسن الأحوال.

لن يستطيع المهاويس المحقونون بعقار الهلوسة أن يمنعوني من أن أظل على حبي لسيدي المجاهد العلامة العظيم الأمير عبد القادر الجزائري، وستي المجاهدة العظيمة جميلة بوحريد، والروائي المبدع واسيني الأعرج، ولن يستطيع الذين مسخوا لسان مصر وجعلوا اللغة العربية غريبة في بلد الأزهر حتى إن مصر خلت أو كادت من شعراء الفصحى بعد أن أصبح التعليم العربي في زمانهم معرّة جالبة للسخرية.. لن يستطيعوا أن ينسوني ما فعله الشعب الجزائري الذي كان يتحدث بالفرنسية وبذل جهدًا خرافيًا ليظل قابضًا على عروبته ولا يستحق منا بالتالي أن نسخر من لسانه.

ليس هناك من يختلف على إجرام وسفالة الجمهور الجزائري الذي حضر اللقاء، ولكن من قال إن هؤلاء هم شعب الجزائر.. إن مباريات الكرة بين الأهلي والمصري البورسعيدي غالبًا ما تنتهي بتكسير أتوبيس الأهلي وإصابة لاعبيه ومشجعيه، ومع هذا لم يقل أحد إن بورسعيد المدينة الباسلة هي مدينة القتلة والمجرمين. إن الذين ذهبوا إلى الخرطوم هم العصابات التي أطلقها الغوغاء من المسئولين هناك وهم يشبهون تمامًا نفس البلطجية الذين يستأجرهم الحزب الوطني في الانتخابات أو عند التصدي لشباب حركة كفاية، فهل بلطجية الحزب الوطني هم شعب مصر؟ لماذا إذن نصم شعبًا عربيًا بأكمله ولماذا نؤاخذه بما فعل السفهاء من مسئوليه السياسيين والرياضيين والإعلاميين؟ لماذا ونظراؤهم لدينا قد مضوا في نفس الطريق؟

إن الجزائر مثل مصر تمامًا يتنازعها تياران: أحدهما هو التيار العروبي القومي الذي يعتز بإسلامه ويفخر بعروبته، والآخر هو حزب فرنسا الذي يكره العرب والمسلمين ويسعى للانسلاخ عنهم، وهذا التيار هو صاحب اليد العليا في الجيش والحكم وهو الذي أحضر المحبطين والمهمشين والجياع إلى الخرطوم؛ ليشعلوا

النار في فكرة العروبة ذاتها. والأمر في مصر لا يختلف، فهناك عموم المصريين الذين يفخرون بانتمائهم العربي الإسلامي، وهناك حزب أمريكا الذي يتمسح في المصرية والفرعونية، ويستخدم عامية السوقة والرعاع في وسائل إعلامه. هذا التيار المتغرب هو الذي خلق المعركة وهو صاحب المصلحة في استمرار الحريق، وأعضاؤه هم الذين وصموا الشعب العربي الأبي في الجزائر بالحقير، وهم أنفسهم الذين وصفوا مصر قلعة العروبة بوطن الدعارة، أما المصريون الحقيقيون فلم يهينوا شعب الجزائر، ولا يمكن أن يسمحوا لأنفسهم بذلك، والجزائريون الحقيقيون كذلك لم يخطئوا في حق شعب مصر، ولا يمكن أن يخطر ذلك ببالهم، وبالتالي فالهوجة الحالية التي يطالب فيها الإنكشارية من الجانبين باعتذار الطرف الإنكشاري الآخر هي مسلسل مكسيكي درجة عاشرة لا يعنينا في شيء نحن أصحاب مصر الحقيقيين، وأصحاب الجزائر الحقيقيين.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

عملية سحب الخنزير

لقيت زيارة الرئيس مبارك للجزائر من أجل التعزية في وفاة شقيق الرئيس بوتفليقة تقديرًا كبيرًا في الشارع العربي وتساءل الناس في مصر: ما دامت المسألة بهذه السهولة فلماذا تركنا الأمور تتفاقم وتركنا العلاقات تتردى على المستوى الرسمي والشعبي إلى هذا الحد إذا كان في الإمكان منذ البداية وأد الفتنة بمكالمة تليفونية أو لقاء بين الرئيسين؟

في اعتقادي أن استدعاء القصة الشهيرة للحاخام والخنزير قد يكون مفيدًا هنا.. وتقول القصة المعروفة أن رجلاً كان يعيش في حجرة صغيرة ضاقت عليه وعلى أولاده قد ذهب إلى الحاخام شاكيًا رقة حاله وشظف ظروفه ورغبته في الانتقال إلى مسكن أوسع، فما كان من الحاخام إلا أن أحضر إليه خنزيرًا وضعه داخل الحجرة وطلب من الرجل الاحتفاظ بالخنزير لمدة أسبوع وبعدها يكون الحديث. ومن الطبيعي أن الرجل أوشك على الجنون أثناء ذلك الأسبوع حيث أحال الخنزير حياتهم إلى جحيم وجعلهم يتمنون الموت للخلاص من الحياة التعيسة في الحجرة الضيقة التي يشاركهم فيها خنزير قذر. بعد انقضاء الأسبوع لم يفعل الحاخام شيئًا سوى أنه قام بسحب الخنزير فعادت الحجرة للرجل كما كانت قبل أسبوع، وهنا أحس الرجل الذي كان يشكو من صعوبة العيش أن حجرته أصبحت جنة وشعر بأنه لا ينقصه أي شيء في الحياة!

نفس هذه القصة تتكرر في حياتنا البائسة طوال الوقت، فالسادة الحكام عندنا إذا شكونا إليهم ضيق العيش وقسوة الحياة أو إذا طالبناهم بالإصلاح الديموقراطي وتحجيم الفساد أو إذا طالبناهم بالنهوض بالصناعة والزراعة والخدمات الصحية والتعليم، ولفتنا انتباههم للخطر الصهيوني وأهمية الوقوف إلى جانب الشقيق الفلسطيني - فإنهم يقومون على الفور باستحضار الخنزير ووضعه في غرفتنا وتركه يأكل ويبول ويتغوط وينام على فرشتنا. وفي اللحظة التي يصبح الانتحار فيها وجوبيًّا والموت هو الحل.. عندئذ يتفضل أصحاب الفخامة بسحب الخنزير.

هل تذكرون الوزير الذي اشتهر بوساخة اللسان والذي ظل لمدة أربع سنوات يسب دين أم رموز مصر العظيمة وينعت أشرف العلماء والكتاب والمفكرين بالألفاظ الساقطة، حتى زملاؤه الوزراء لم يسلموا من لسانه فأطلق في حقهم أوصافًا فاحشة؟ هذا الرجل أوصل مصر إلى حافة الثورة الشعبية، ولكن عندما بلغت القلوب الحناجر وقبل القارعة بثوان تتدخل حكمة الرئيس فيقيل الوزير ويريح شعب مصر من سفالته!

كذلك في موضوع الفتنة بين مصر والجزائر فلقد أسلموا القياد للغوغاء وحرضوا الإعلاميين الزلنطحية على قطع الروابط وفصم العرى مع الشعب العربي الأبي في الجزائر إلى حد قيام أحد الحيوانات بوصفهم بأنهم شعب المليون لقيط! كل هذا تفرج عليه وشاهده السادة الحكام بغبطة وسعادة، فتركوا النار تشتعل داخل نفوس المصريين والجزائريين ويكره كل منهم الآخر.. ولكن في لحظة مقدّرة يتقدم السيد الرئيس رمز التعقل ومنبع الحكمة الذي في يده مفاتيح الحل والعقد فيقوم بزيارة

شقيقه العزيز الرئيس بوتفليقة ويتبادل معه الأحضان والحوار الدافئ، ويتم نزع البغضاء من القلوب وإعادة الوئام والمحبة إلى النفوس، وهنا يعود الإعلاميون السفلة إلى حالتهم الآدمية القديمة ويأخذون في الحديث عن عظمة الجزائر بلد المليون شهيد، ونشرب جميعًا الأنخاب بعد أن صار بإمكاننا أن نستعيد حياتنا السابقة فنأكل طعامًا مسرطنًا ونشرب ماء ملوثًا ونتنفس الهباب ونسعد بالوزراء الكسالى وننعم بالتعليم المتدني والخدمات الصحية المنحطة والحياة الرديئة، حتى إذا فكرنا أن نشكو أو نتذمر مرة أخرى أعادوا لنا الخنزير!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

زمن الإسكافية

يا طوبة حمرا وطوبة خضرا وطوبة

البنّا يضرب فيها بالموال

خليكي لولاد الشقا مخطوبة

أغنى غنى اللي ما له غيرك مال

(فؤاد حداد)

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

رجل الحمّام.. الجامعي

أحيانًا أسأل نفسي: هل قصد التشكيل العصابي الذي استولى على البلد أن يهبط بمستوى التعليم إلى هذا الحد المسف، أم أن المسألة لم تكن مقصودة، لكنها جاءت كنتيجة فرعية للإهمال الجسيم لمصالح الناس والتركيز فقط على مصالح القراصنة؟ في اعتقادي أن التربص بالتعليم كان مقصودًا، وأن الغرض من تخريبه تمهيدًا لتدميره تمامًا كان أن يتساوى في الجهل الذين التحقوا بالمدارس والجامعات والذين لم يلتحقوا. لكن ما الفائدة التي يمكن أن تعود على القراصنة من تخريب التعليم؟ الإجابة كما أتصورها هي كسر العزة في النفوس وفرض الذلة والمسكنة على الناس، ذلك أن الفرد المتعلم حقًّا يكون شامخًا واثقًا من نفسه تملؤه الآمال العريضة، ويشعر بوجود بدائل وخيارات في هذه الحياة، ويكون في العادة - حتى وهو فقير - قادرًا على مناطحة الأقوياء والدفاع عن وجهة نظره، والفوز عليهم في أي حوار، وإفحامهم وإلزامهم جانب الدفاع، وهم يحاولون تمرير الخيبة، وصبغها بكلام تافه مضلل، من عينة الهيكلة والتعويم ومؤشر البورصة وثقافة السلام وقبول الآخر والاعتدال والممانعة. وفي ظني أن الفارق الأساسي بين المعارضين لحكم السادات والمعارضين الآن هو أنه أيام السادات كان الطلبة متعلمين والخريجون متعلمين، والعمال متنورين ومتأثرين بالتعليم، وهو الأمر الذي نجح الحكام في التغلب عليه في الثلاثين سنة الأخيرة، فأصبح الجهل الفاضح هو سمة الخريجين. وطبيعي أن الجهلاء ومحدودي التعليم هم أقل من غيرهم ثقة بالنفس، وأكثر استعدادًا لقبول ما لا يمكن قبوله في الظروف العادية.

وما لا يمكن قبوله في كل بلاد العالم هو أن تكون الوظائف المتاحة للشباب من خريجي المدارس والجامعات في طول البلاد وعرضها هي الوظائف الرثة قليلة القيمة والتي لا تحتاج في حقيقتها إلى أي قدر من التعليم. ومثال على هذه الوظائف هي وظيفة (رجل الحمّام) وهي العمل الذي يقوم به الشباب داخل المولات، والسينمات، والمطاعم، والكافيهات، والمعارض، في الحمامات الملحقة بهذه الأماكن تجد داخل دورة المياه شخصًا لا وظيفة له سوى أن يناولك منديل كلينكس بعد أن تغسل يديك! مع أنه بالإمكان أن يوضع ورق الحمام في متناول الناس؛ ليأخذوه بأنفسهم. ويلاحظ أن عامل الحمام الذي لا يحصل على أجر في الغالب، ويعمل بالمجان يقوم بتخريب المجفف الكهربائي المعلق على الحائط، لأنه يراه عدوًّا يسلبه البقشيش الذي يشكل كل دخله. وقد حكى لي أحد رجال الحمام في مرارة عن صاحب الكافيتريا الدنيء الذي يقتسم معه البقشيش! هذه واحدة من الوظائف المتاحة للخريجين الآن، بالإضافة إلى وظيفة أخرى منتشرة أيضًا وفي نفس الأماكن التي يقبل عليها الناس للتنزه وتناول الطعام.. تتلخص هذه الوظيفة في أن يقبل عليك شاب محييًا، ويبشرك بأنه إذا كانت نمرة تليفونك المحمول تتضمن رقم زيروفإنك قد فزت بجائزة قيمة، وبطبيعة الحال كل التليفونات بها زيرو، ثم ننتقل للخطوة التالية وهي الذهاب إلى المكتب وعرض البضاعة التي لا تخرج في العادة عن تايم شير أو برامج حج وعمرة. ثالثة الوظائف المتاحة للخريجين هي وظيفة فرد أمن وهي بالطبع لا تحتاج إلى أي قدرات أو مهارات، وهذه الوظيفة بالذات

متاحة أكثر من غيرها لحراسة المنشآت الترفيهية، والوقوف بأبواب المولات، ومجمعات التسوق والمدارس، والـ□يلات والقصور، ولا تخلو إعلانات الوظائف بالصحف يوميًّا من طلب موظفي سيكيوريتي حتى أصبحت تنافس في وفرتها إعلانات طلب مندوبي مبيعات، وهي الوظيفة التي يمر بها عادة كل الخريجين حتى يأذن الله بالفرج. ولا ننسى أنه بكل محطات البنزين ينتشر عشرات من الشباب الذين تكتشف من أول نظرة أنهم يفيضون عن حاجة المكان وليس لهم عمل حقيقي، لكن صاحب المحطة الناصح يستزيد منهم لاكتساب البريستيج وتحسين الخدمة ما دام في النهاية لا يدفع لهم مليمًا! الكلام السابق كله ينطبق على الخريجين العاديين، أما الآن فلنتحدث عن المتميزين والنوابغ من خريجي الجامعات والمعاهد، وهؤلاء ليسوا كغيرهم.. تجدهم في القاهرة والإسكندرية وعواصم المحافظات يشغلون الوظائف في محلات كوستا، وسيلانترو، وبينوز، وستاربكس، وسينابون، وكنتاكي، وماكدونالدز، وبيتزاهت، وسبارو، وهارديز، وغيرها من سلاسل محلات الطعام والشراب الأجنبية التي أصبح الحصول على وظيفة Waiter بها أمل الملايين من الشباب!

أما الشاب الذي ينجح في أن يجتاز حقول الألغام ويعلّم نفسه بنفسه، ويتغلب على النظام التعليمي البائس، ويهزم القراصنة الذين صاروا ينعمون بالسعادة بعد أن فرضوا الجهل على الشباب وجعلوهم لا يرون في الوظائف العجيبة السابقة شيئًا عجيبًا.. هذا الشاب الذي يقوم بتثقيف نفسه، ويملك الجسارة للتقدم لامتحانات القبول بالخارجية أو بالتمثيل التجاري، ويحلم بأن يشارك البهوات وظائفهم الوجيهة ذات الجهد المنعدم والمزايا الوفيرة، فإن الأمر ينتهي به في الغالب إلى الانتحار، وإلقاء نفسه في النيل مثلما فعل الشهيد المصري.. عبد الحميد شتا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

مصر في زمن الإسكافية

كنت في زيارة إلى لندن ذات يوم عندما كُسر كعب حذائي، وانفصل عن بقية الحذاء بينما كنت أسير بالشارع، فأخذني أحد أصدقائي إلى دكان صغير يعمل به إسكافي شديد الهمة والنشاط، تعرفت على الشاب وكان اسمه باتريك ووجدته مغرمًا بمصر، ويتمنى زيارتها. تبادلت معه الدعابة والنكات حتى خرجت من عنده ونحن تقريبًا أصدقاء.. والحقيقة أن باتريك الإسكافي الإنجليزي قد أعاد الكعب إلى الحذاء بمهارة يحسد عليها. تمر السنوات، وتجعلني الصدفة التقى بالإسكافي العظيم مرة أخرى في مكان لم أتصور أبدًا أن ألقاه به.. صادفته وأنا بصحبة صديق في إحدى المدارس الدولية الإنجليزية بالقاهرة الجديدة، كان باتريك الإ سكافي يدخن البايب في فناء المدرسة بعدما أصبح يشار إليه بالمستر باتريك مدرس اللغة الإنجليزية! لم أصدق أن باتريك يقوم بالتدريس. وقتها توجهت إليه وسلمت عليه فلم يتذكرني، لكني حدثته عن شعوري بالامتنان نحوه عندما أتقن عمله وأصلح حذائي بمنتهى الاقتدار، فتذكرني وضحكنا كثيرًا. الجميل أنه لم يتنصل من ماضيه، ولم ينكر أنه باتريك الإسكافي العامل بالدكان بشارع (موزلي)، لكنه أكد لي أن المسئولين بالمدرسة هم الذين التقطوه أثناء قدومه إلى مصر للسياحة وألحوا عليه وأقنعوه بأن يعمل مدرسًا بمصر، فلما استنكر، وشرح لهم أنه لم يحصل على قسط معقول من التعليم، ولم يتلق تدريبًا على التدريس أقنعوه بأن التدريس بمصر لا يحتاج إلى شيء من هذا! وأنه يكفيه فقط أن لغته الأم هي اللغة الإنجليزية حتى لوكان يعمل بتصليح الأحذية. وزاد باتريك في شرحه، فقال إنه بدأ العملية وهو متوجس وموقن من الفشل، غير أن الإدارة شجعته، بالإضافة إلى أن أولياء الأمور أنفسهم قد أبدوا رضا وسعادة بأدائه، وصاروا يتوددون إليه حتى صدق هو نفسه أنه مدرس جيد! ولم ينس باتريك أن يؤكد أن مثل هذه المدارس بمصر تمتلئ بزملائه الإسكافية، وغيرهم من سائقي التاكسي والبوابين الذين اكتشفوا أن مدارس علية القوم بمصر تطلب مدرسين من بينهم!

خطرت على بالي حكاية باتريك الإسكافي بينما كنت أقرأ ديوان الشاعر عبد الرحمن يوسف الجديد (حزن مرتجل). سرحت مع عبقرية عبد الرحمن وشاعريته الفائقة وأبديت اندهاشًا بيني وبين نفسي، لقد علمت أن هذا الشاعر الموهوب هو من مواليد عام ١٩٧٠ بما يعني أنه تلقى تعليمه في الثمانينيات وأوائل التسعينيات، فكيف وأين تعلم لتتبلور موهبته وتظهر بهذا التوهج في ظل حالة الخراب التعليمي التي نعيشها؟.. شاعر آخر أثار دهشتي لنفس الأسباب هو الموهوب الجميل تميم البرغوثي الذي يكتب بالفصحى وبالعامية شعرًا رائقًا ينضح بالموهبة وبالشعور، لقد علمت أن تميم البرغوثي من مواليد عام ١٩٧٧ وهذا يعني أنه ظل بالتعليم حتى عام ٢٠٠٠ فأين يمكن أن يكون قد تعلم ونحن نعلم أن التعليم قد تعرض للانهيار منذ ما يقرب من ثلاثين عامًا حتى أكاد أصرح بضمير مستريح أن مدرس اللغة العربية يشارك عموم الناس جهلهم باللغة العربية، فكيف يمكن أن يخرج من بين تلامذته شاعر؟ وماذا بعد أن تصدر الجهلاء المشهد وسيطر الذين يجيدون الرطانة باللغة الإنجليزية بدون أي ثقافة أو عمق؟

لم تطل حيرتي في تفسير الأمر بعد أن علمت أن عبد الرحمن يوسف قد تلقى تعليمه بالدوحة ولم يتعلم بمصر، كما علمت أن تميم البرغوثي هو ابن الشاعر الفلسطيني الكبير مريد البرغوثي والروائية العظيمة رضوى عاشور. هنا اتضح الأمر وعرفت أن شاعرية الشاعرين مردها بعد الموهبة التعليم والتربية التي تلقاها كل منهما بعيدًا عن مدارس مصر. ألقت بي هذه الحقيقة في وهدة اليأس لأنني شعرت أن مصر الموهوبة التي طالما وصفناها بأنها ولادة تلفظ أنفاسها الأخيرة، وكسرت قلبي فكرة أنه لن يظهر بمصر أي شعراء لهم قيمة في المستقبل المنظور؛ لأن خريجي الجامعات الذين يعملون بالطب والهندسة والمحاماة والمحاسبة والتدريس وغيرها لا يحسن أغلبهم الكتابة بلغة سليمة، ويمكن النظر إلى تعليقات القراء بالمواقع الإلكترونية بالصحف لإدراك معنى كلامي هذا ورؤية أن بعضًا من أساتذة الجامعة لا يكتبون جملة تخلومن خمسة أخطاء! في الماضي أتت وفود الشعراء عام ١٩٢٧ من كل مكان بالوطن العربي لتبايع أحمد شوقي أميرًا للشعراء، واليوم تخلوالساحة إلا من شاعر أو اثنين لم يتعلم أيهما بمصر، ومنابعه الشعرية تمتد خارجها، وليس لها أي فضل في تكوينه إلا من حيث إن مصائبها تلهمه للكتابة! وعلى الرغم من أنني من عشاق شعر العامية إلى جانب الشعر الفصيح إلا أنني أصبحت أضيق به في السنوات الأخيرة لإدراكي أن الشعراء الجدد يكتبونه لجهلهم باللغة العربية، وليس عن اختيار حر كالعظيم فؤاد حداد مثلًا الذي كان يمكنه أن يكتب بالفصحى بسهولة، لكنه اختار العامية عن قصد.

سامح الله شعب مصر الذي فرط في أعز ما يملك، ولعن الأغبياء وذوي البلادة الذين عملوا على صبغ البلاد بصبغتهم، وطبعها بطبعهم!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

القاهرة التي حلقت زيرو

أحب فيلم ليلة سقوط بغداد، ولا يقلل من استمتاعي بمشاهدته استناده لفكرة خاطئة تمامًا! لكن أهم ما فيه أن المخرج المبدع محمد أمين نجح في نقل المخاوف التي تعتري المصريين وأوضح مصدرها عندما أكد على أن أعداءنا هم إسرائيل وحلفاؤها وليسوا ليبيا وسوريا وفلسطين وقطر والسودان!

الفكرة التي استند إليها الفيلم هي أنه بعد اجتياح العراق وسقوط بغداد أصبحت كل العواصم العربية في مهب الريح وباتت تشعر أنها يمكن أن تلقى ذات المصير وهو الأمر الذي دفع الأشاوس أو من كانوا يتشاوسون إلى الانصياع التام خشية الموت الزؤام فأعلن الرئيس اليمني علي عبد الله صالح تصريحه الشهير بأن على الجميع أن يحلقوا لأنفسهم بأنفسهم لأن من لا يفعل ستتم الحلاقة له رغم أنفه!.. والحق أنه كان في طليعة الحالقين وكان أول من أخذ شعر وذقن و.. عمل فتلة أيضًا!

استمع للنصيحة في ذات الوقت أيضًا الرئيس الليبي معمر القذافي فنادى على الأمريكان وطلب منهم أن يأتوا لبلاده وقام بتسليمهم برنامجه النووي الذي كان سريًّا بالكامل فأخذوا الخرائط والأبحاث وتسلموا المعدات وعرفوا كل التفاصيل بما فيها أسماء العلماء الذين وقفوا مع ليبيا وساندوا حقها العلمي ومنحوها عصارة خبرتهم إيمانًا بالروابط والأحلام المشتركة، وعلى رأسهم العالم الباكستاني عبد القدير خان الذي تحول في زمن برويز مشرف من بطل قومي إلى سجين تحت التحفظ وذلك بسبب بركات الذين قاموا بالحلاقة لأنفسهم ولم يكتفوا لكن حلقوا لمن ساعدهم أيضًا!

الفكرة الخاطئة التي استند إليها محمد أمين في فيلمه الجميل أنه تصور أنه بعد سقوط العراق فإن الدور قد أوشك أن يحل بمصر، ناسيًا أن الدور قد حل على مصر من زمان وأنهم قد بدءوا بها وحلقوا لها زيرو قبل أن يفكروا في العراق أو ليبيا واليمن والسودان. نعم بدءوا بمصر فاستولوا عليها بدون طلقة رصاص واحدة وبعدها أصبح سقوط العواصم العربية سهلًا وقليل التكلفة!.. ومن يتأمل الصورة يكتشف أن سقوط القاهرة قد سبق سقوط بغداد بسنوات، وبعدها أخذت مصر في التصرف كدولة تحت الاحتلال تنفذ كل ما يملى عليها سواء تعلق الأمر بالمساعدة على احتلال العراق وتقديم الدعم اللوجستي وعبور القوافل الحربية قناة السويس لقتال الأشقاء، والتقارير والتحذيرات المفبركة التي تحذر من أسلحة العراق الممنوعة كما ذكر الصحفي الأمريكي سيمور هيرش! هذا غير المشاركة في حصار الفلسطينيين وبناء الجدار الفولاذي وذلك بعد مباركة قصف غزة بالفوسفور الأبيض، وأيضًا معاداة ليس المقاومون في فلسطين فقط ولكن عداء فكرة المقاومة ذاتها واتهام من يقف لإسرائيل بكل التهم وتشويهه والسخرية منه كما حدث مع السيد حسن نصر الله عندما كانت لبنان تتعرض للهجوم الوحشي الذي لم ينقذها منه غير توازن الرعب الذي أحدثه حزب الله وتمكنه للمرة الأولى من مبادلة الإسرائيليين قصف المدن وهو الاحتكار الذي ظل إسرائيليًّا منذ بداية الصراع عام ٤٨.

لكل هذا يؤسفني يا محمد أمين أن فيلمك الذي أحببته كثيرًا تم بناؤه على فكرة خاطئة وهي الخوف من سقوط القاهرة التي لم تعد للأسف تقهر سوانا!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

رأس المال الجبان.. هل هو خسيس أيضا؟

أزداد غمًّا كلما طالعت الصحف أو شاهدت التليفزيون، وأشعر بالحسرة على مصر التي كانت.. ثم راحت في الوبا.

يعتصرني الحزن على أهلي الذين تطعمهم الحكومة خضراوات وفواكه مروية بماء المجاري. ويقتلني أن التقارير التي كشفت عن هذه الجريمة أوردت على لسان المسئولين المجرمين أن غياب الاعتمادات المالية هو السبب في تلويث جميع الترع بمصر، وعدم القدرة على معالجة مياه المجاري، وأن الحكومة الفاسدة استسلمت للأمر، وتركت الفلاحين يستعملون الماء المخلوط بالخراء في ري مزروعاتهم.

وتذهلني الأخبار عن الدلتا التي سيبتلعها البحر بشكل مؤكد خلال عشرات قليلة من السنوات، وأن الجيل الحالي سيشهد اختفاء جانب منها بما عليه من حياة. ويفاجئوننا بأن إنقاذ الدلتا ما زال في الإمكان إذا توفر مبلغ ستة مليارات جنيه!

وفي التليفزيون نطالع على شاشاته كل المستشفيات تمارس الشحاذة من أهل الخير بعد أن أصبح التسول المهين هو السبيل الوحيد للاستمرار، وتقديم الخدمات الصحية.

يتساءل الواحد وهو على وشك الجنون: وأين ميزانية مصر؟ وفي أي شيء تذهب فلوس المصريين؟ ولماذا لا تخصص لتنظيف الترع ومشروعات المياه النقية والصرف الصحي؟ ولماذا لا تذهب للإنفاق على المستشفيات وتغيير الوضع الصحي المنهار؟ وكيف نعجز عن تدبير ما ينقذ دلتانا التي يحيا عليها ثلثا سكان مصر؟

الإجابة هي: أن فلوس مصر يتم توزيعها بشكل منتظم على مجموعة من المليارديرات المتحالفين مع الحكم ولتذهب مصر بمن عليها إلى الجحيم. لا أفهم كيف يمكن أن ينشأ ملياردير في وطن بائس فقير.. هذا الأمر غير معقول وغير قابل للتحقق إلا عندنا.

وغير خاف أن مليارات ملك الحديد، وملك النحاس، والمنجنيز، والقلقاس هي نفسها فلوس مرضى الكبد الوبائي، والسرطان الذين تم حرمانهم من العلاج وترك مصيرهم في أيدي أهل الخير، في حين كان يمكن لهم أن يجدوا العلاج الكريم لو لم يأخذ كل ملياردير محظوظ فلوس علاجهم بالتواطؤ مع الحكومة! بل إنهم لم يكونوا ليمرضوا من الأساس لو لم يتم منح أراضي مصر بالمجان للمجرمين والقتلة؛ لأن فلوس هذه الأراضي كان يمكن أن تخصص لتنظيف الترع والصرف الصحي والمياه النقية ومشروعات الري النظيف.

كذلك المصانع والشركات المملوكة لشعب مصر، والتي تم إهداؤها للقناصة من المستثمرين الذين عرفوا أن بمصر حكومة تلهو بممتلكات المصريين، وأدركوا أن هذا الوضع قد لا يدوم، فلم يتركوا الفرصة واستولوا على المصانع والشركات بثمن بخس. والفرق بين الثمن الحقيقي والثمن المدفوع هو الفلوس التي كانت ستخصص

للبحث العلمي وللمفاعل النووي الذي يتذكرونه كل عام عند عقد المؤتمر السنوي للحزب، ثم يبولون عليه بعد انفضاض المولد.

فلوس المصريين التي كان ينبغي أن تخصص للتعليم وإصلاح حال المدرس بمنحه مرتبًا آدميًّا ذهبت إلى ملوك السيراميك والسجاد والموبايلات والنغمات والرنات. كل الرخص المشبوهة التي منحتها الحكومة للمحظوظين بدون أي مناسبة، وجعلتهم من أثرى أثرياء العالم كان من الممكن أن تصب عائداتها في صالح الجامعات والتعليم العالي الذي أصبحت مصر تعيَّر به بعد أن خرجت من التصنيف وأصبحت جامعة القاهرة تنافس جامعة جنوب بوروندي على المركز رقم عشرين ألف بين أفضل جامعات العالم!

والملاحظ أن فلوس شعب مصر التي قامت الحكومة بمنحها للأصدقاء لم تخطئ وتذهب أبدًا لملياردير يكون لديه قدر من الحس الإنساني والمسئولية تجاه أصحاب الفلوس الحقيقيين، والتي آلت إلى سيادته بمكرمة سلطانية. في الغرب يقوم أمثال هؤلاء بالإنفاق على البحث العلمي كما يقومون بالتبرع المستمر للجامعات ورعاية الموهوبين من الطلبة. إنني أكاد أنفجر من الغضب؛ لأن أي واحد من هؤلاء الأثرياء يستطيع وحده أن ينقذ الدلتا من الغرق، وأي واحد منهم يستطيع بمفرده أن ينفق على وحدات الغسيل الكلوي ومستشفى سرطان الأطفال الذي يصاب به الأطفال؛ لأن سيادته أخذ فلوسهم التي كانت ستخصص لدرء التلوث الذي سبب لهم المرض.

ولكن مما يؤسف له أن مليارديرات مصر الذين لا يتمتعون بأي إحساس لا يستخدمون المال إلا للإنفاق على الشهوات، فرجل الأعمال الذي اختلف معه أسياده ورموه في السجن سمعنا أنه أنفق نصف مليار جنيه في مضاجعة الراقصات وهو الذي كان يقوم بتصويرهن أثناء الأكشن! والآخر الذي استعان بسفاح مأجور لقتل عشيقته الغادرة ودفع له ٢ مليون دولار من أموال الأطفال المرضى، والثالث الذي يقتله الملل من الفراغ، فيقوم بدور المذيع في تليفزيونه الشخصي!

لقد صدعوا رءوسنا طيلة السنوات الماضية بالحديث عن أنبياء البيزنس وأهمية دورهم في المجتمع، وبشرونا بالحديث عن ينابيع الخير التي ستتفجر بين أيديهم، وحذرونا من أن نسائلهم أو نوجه لهم نقدًا؛ لأن رأس المال حساس وجبان، وقد يطفش إذا جرحنا مشاعره.. والآن لا أملك نفسي من التساؤل عن رأس المال الجبان.. هل هو خسيس أيضًا؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

الخنازير.. وإنفلونزا الخنازير

تدوي هذه الأيام صيحة حرب تحذر من إتمام شعائر الحج هذا العام في ظل حالة الهوس والخوف من إنفلونزا الخنازير. وتنشط أصوات ترتدي ثوب العقل والحكمة تطالب بإلغاء الموسم حرصًا على صحة الحجاج، وخوفًا من أن يصيبهم - لا قدّر الله - أي مكروه نتيجة الزحام الرهيب أثناء تأدية المناسك. ووجدنا من يطلب فتاوى من جهات رسمية بهدف الحصول على صك شرعي يؤيد إلغاء الحج هذا العام، وقام بعضهم بالاستشهاد بعمر بن الخطاب الذي أوقف حد السرقة في عام الرمادة. كما قام بركوب الموجة نفر ممن عرفوا بكراهيتهم العمياء للأديان وخاصة الإسلام، فوجدوا في الوباء الذي يطرق الأبواب فرصة يتخلصون بها من إحدى فرائض الدين الإسلامي.. بالضبط مثلما فعل نظراؤهم على الجانب الآخر عندما هللوا بشدة لذبح كل الخنازير على أرض مصر دون أن يكون موضوع صحة الناس في بالهم من الأساس!

لكني على الرغم من كل هذه الجعجعة، وكل هذه الهستيريا واثق من أن موسم الحج سيمضي في طريقه المعتاد، وأن شيئًا مما يطالبون به لن يحدث. ليس بسبب أن الحكومة ستحتاط من أجل رعاية الناس ولكن لأسباب مغايرة تمامًا. وهناك سيناريو أراهن بعمري على أنه سيحدث، وتتلخص مشاهده في أنهم سيشيعون حالة توحي بأن الحج قد أصبح بعيد المنال هذا العام، لكنهم سيتعمدون ترك الباب مواربًا حتى يفهم الناس أن الحج ما زال ممكنًا لكن بشروط صعبة، وأن على الذين يحبون الله ورسوله أن يدفعوا ثمن هذا الحب للحكومة والسماسرة والتجار وسواهم من الضالعين في بيزنس الحج.

ما سيحدث بدأت بشائره في الظهور، وأولى هذه البشائر هي إعلان الدكتور حاتم الجبلي وزير الصحة عن شهادة تمنحها وزارته لراغبي أداء الفريضة، وثمن هذه الشهادة كما نشر على لسان سيادته بالصحف هو أربعمائة جنيه.. أربعمائة جنيه مقابل شهادة لن يستطيع الحاج أن يسافر بدونها! وهنا اسمحوا لي أن أطلق ضحكة قوية مجلجلة من القلب لها صوت وحشي، واسمحوا أن تكون ضحكتي على هذا النحو: نياهاهاهاهاهاه.. نياهاهاهاهاهاه.. ولقد لجأت لهذه الضحكة نظرًا لتعذر إطلاق أي أصوات إسكندراني لأسباب رقابية!

الحكومة التي من واجبها حماية الناس وتوفير الرعاية الصحية لهم بالمجان، وجدت في المصيبة فرصة سانحة لاقتناص عشرات الملايين من جيوب أولئك الذين تهفو قلوبهم لزيارة بيت الله الحرام عن طريق بيع شهادات صحية لهم. الحكومة المحترمة قررت استثمار الكارثة للحصول على قرشين. وهذا بالضبط ما تفعله بعض الشركات عندما تضع بالصحف إعلانات طلب وظائف، ثم تمنح المتقدمين ورقة بيانات يملئونها مقابل ثلاثين جنيهًا يأخذونها من شاب يحتاج للعمل! هذا هو ما تنوي وزارة الصحة فعله.. أن تقدم للناس شهادات صحية مختومة مقابل فلوس. سيقولون إن هذه الفلوس ستكون مقابل الكشف والتحاليل الطبية والموجات فوق البنفسجية وتحت القرمزية وبجوار القرنفلية. لكن الحقيقة التي يعلمها كل الذين سبق

لهم الحصول على الشهادة الصفراء قبل التوجه للحج أو العمرة هي أن الناس سيحصلون على الشهادة من المراكز الصحية دون إجراء أي كشف طبي، ودون أن يتمتعوا بالموجات البنفسجية والموجات الفوشيا. بل إن الأمر الفاجع أن السادة الموظفين سيهددون الحاج الذي يكتفي بدفع الأربعمائة جنيه فقط بأنهم سيعطونه حقنة كبيرة قد تضايقه، وتؤلمه أثناء أداء المناسك، أما إذا أراد الإعفاء من الحقنة فعليه أن يفتح مخه! وبهذا فإن اليغمة ستتسع للجميع.. الحكومة التي تلهف ٤٠٠ جنيه بإيصال رسمي، والموظفين الذين سيقبضون مقابل الإعفاء من الكشف تحت بند (كل سنة وانت طيب يا حاج). وأنا شخصيًّا حصلت على الشهادة التي تفيد تطعيمي من دفعة أمراض قبل السفر للعمرة دون أن أحصل على أي تطعيم، والحقيقة أنني لم أكن أرغب في الهروب من التطعيم، لكن الموظف الذي ختم لي الشهادة وأعطانيها، وهو يبتسم من أجل الحصول على (المؤنن) أخافني من أن أطلب التطعيم خشية أن يكون فاسدًا مثل الموظف ورؤسائه.

هذا أحد الأسباب الحقيقية التي تدفعني للظن بأن موسم الحج لن يتم إلغاؤه أبدًا، لكن سيتم التلويح بالإلغاء من أجل الحصول على مكاسب. بالعربي سيقومون بتعطيش السوق حتى تُحدث الندرة أثرها في النفوس، فيجد الراغب في الحج نفسه مستعدًّا لبيع عفش البيت من أجل أداء الفريضة التي صارت عزيزة.

هل تظنون أن كل الجهات التي ترتزق من الحج تتحمل ترف إلغائه؟ ماذا تفعل البعثة الرسمية للدولة التي يهبر أفرادها بدل السفر ويستمتعون بالأكل والشرب والإقامة المجانية؟ وماذا تفعل بعثة وزارة الداخلية، وبعثة وزارة الأوقاف، وبعثة وزارة الصحة، وكل هذه البعثات التي تنحت من لحم المواطن المصري؟ لن ترضى كل هذه الجهات أن تستمع لأي آراء تطالب بتأجيل الفريضة هذا العام.. قد يسمحون فقط بصدور بضعة فتاوى لصالح إلغاء الحج من أجل تحلية البضاعة فقط، لكنهم في الوقت المناسب سيستصدرون فتوى تكون بمثابة عصا موسى تلتهم كل الفتاوى التي تتلوى على الأرض وتعلن أن الحج هذا العام حلال وواجب شرعًا.. وإن غدًا لناظره قريب.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

الذين ينتظرون الطير الأبابيل

تثور مناقشات حامية على مواقع ومنتديات الإنترنت بعد التقرير الذي نشرته صحيفة هاآرتس الإسرائيلية، والذي ورد فيه وجود خطة جاهزة عند الإسرائيليين في حالة نشوب حرب جديدة بالمنطقة ترمي إلى قصف الكعبة بغرض تدميرها أثناء الضرب المتبادل، ووسط لهيب المعارك، مع إلصاق التهمة بالصواريخ الإيرانية!

واستدعت هذه التقارير إلى الأذهان وفي المنتديات القصة المعروفة عن أبرهة الأشرم الذي كان قد ساءه ما بلغته مكة من المكانة الرفيعة لوجود الكعبة بها، وأنه قد بنى كنيسًا في اليمن بغرض منافسة الكعبة، غير أن قاصدي كنيسه كانوا قلة ضئيلة، الأمر الذي أوغر صدره فقرر أن يهدم الكعبة.

تحكي الروايات أن أبرهة عندما دخل مكة بعث إلى عبد المطلب ابن هاشم جد الرسول - عليه الصلاة والسلام - يخبره بما عزم عليه، ويقال إن عبد المطلب عندما لقي أبرهة حدثه في أمر الإبل والشياه التي استولى عليها جنده أثناء دخولهم المدينة، وطالبه باستردادها لأنها تخصه. وتمضي الروايات تقول: إن أبرهة صدم في الشيخ الجليل الذي لم يهتم لرجل أحضر فيلًا ضخمًا ليهدم به الكعبة التي تمثل أقدس موضع عند هذا الرجل وقومه، مما حدا به إلى التحدث إليه باستهانة قائلًا: لقد أكبرتك عندما رأيتك، وظننتك تستحق المكانة التي وضعك عندها العرب، فإذا بك تحدثني عن بعض الإبل. وهنا قال عبد المطلب قولته المشهورة: أما الإبل فإنها ملكي، وللبيت رب يحميه.

البعض يذكر هذه الحكاية باعتبارها دليلًا على حكمة الرجل وبعد بصيرته واستشفافه للغيب، والبعض يفسرها بتفاوت موازين القوى بين الطرفين التي لم تكن تسمح بالتصدي لجيش أبرهة الجرار.

واليوم يراودني حلم لا يبرحني منذ أن قرأت هذا التقرير أرى فيه إسرائيل وقد أغارت بطائراتها على مكة، وألقت بقنابلها على الحرم فهدمت الكعبة الشريفة. كل ليلة يزورني هذا الكابوس الفظيع، فهل يستطيع أحد أن يطمئنني إلى أن إسرائيل التي تحفر تحت المسجد الأقصى بهدف تقويضه وبناء الهيكل على أنقاضه ستجد من يمنعها من تنفيذ أم الجرائم؟.. هل في حالة إذا ما فكر الإسرائيليون حقيقة في تنفيذ هذا العدوان الصارخ على العالم الإسلامي ستجد من يتصدى لسلاحها الجوي، أم أن العالم العربي والإسلامي سيتسلح بحكمة عبد المطلب وسينتظر من رب البيت أن يتصرف ويبعث بإمداداته وبقوات الدفاع الجوي الإلهي وسلاح الطير الأبابيل؟

في ظني أنه ما لم يتداع المسلمون من ماليزيا حتى مراكش للذود عن المقدسات، فإن الكابوس الذي نخاله غير واقعي قد يحدث بالفعل، ولا ننسى أن أصواتًا قد ارتفعت في الغرب بعد أحداث ١١سبتمبر طالبت بقصف مكة، كما لا ننسى أن الكعبة قد تم هدمها من قبل على يد الحجاج بن يوسف الثقفي الذي قصفها بالمنجنيق، ونفس الأمر فعله القرامطة، ولم يشأ الله حينها أن يرسل الطير الأبابيل ربما لأنه

أراد أن نفهم أن حماية مقدساتنا هي مسئوليتنا، وأنه إذا كان للبيت رب يحميه، فإن الله العلي القدير قد أوكل إلينا مهمة حماية بيته، وأن انتظار الطير الأبابيل قد يطول!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

الشيطان يلعب

اعتادت الولايات المتحدة أن تخرج على العالم بصرعة جديدة من حين إلى آخر وكلما اقتضى الأمر.

الغرض من هذه الصرعات التي تتغير باستمرار هو الطرق على رأس العالم وجعله لا يفيق أبدا، واستغلال السطوة الإعلامية الهائلة والقوة السياسية والعسكرية التي جعلت بلدان العالم تضع الرغبات الأمريكية والمزاج الأمريكي على أجندتها طوال الوقت، واستغلال ذلك في عجن العالم وتشكيله على النحو المطلوب. يصل الأمر أحيانا لدرجة أنني أتصور أن مهرج السيرك هو من يفعل ذلك لا دولة عظمى!

دعوني أذكركم بصرعة العام ٢٠٠٠، هل تذكرون مشكلة الصفرين قبل مطلع الألفية الثالثة عندما حذروا العالم من الكوارث التي قد تحدث لكل الجهات التي تستخدم الكمبيوتر؛ لأن تصميم أجهزة الكمبيوتر التي لا تعرف الصفرين قد يترتب عليها تساقط الطائرات من السماء وانطلاق الصواريخ من منصاتها وانفجار المعامل والقنابل النووية والإشعاعية في كل مكان. وحبس العالم أنفاسه، ووقف على أطراف أصابعه من الإثارة والرعب وعقارب الساعة تقترب من الثانية عشرة ومطلع العام الجديد يقترب.. ولم يحدث شيء، فقط نجحت الولايات المتحدة في أرجحة الكرة الأرضية، وجعل العالم يرقص على الإيقاع الأمريكي، وجعل القضية التي شغلت بال الأمريكان فترة قليلة - ووجدوا لها معالجة سريعة - جعلوها قضية كل البشر في أنحاء العالم لمدة عام كامل. وقبلها بعام كانت صرعة الخسوف الكلي للشمس يوم ١١ أغسطس ٩٩ عندما جعلوا الناس تغلق الأبواب والشبابيك، وتحكم إسدال الستائر، وتختبئ تحت الأغطية خوفا من الأمراض الخطيرة وسرطانات الجلد والحروق الكاوية والإصابة بالعمى، بينما خرجوا هم يحتفلون بالقمر وهو يحجب الشمس في الحدائق والمتنزهات، ووقفوا يتفرجون علينا ونحن نتخبط في أشياء لا نفهمها، وكالعادة ندعوللحديث عنها في التليفزيون كل من يشاركنا الجهل بها!

مرة أخرى نواجه (تفنينة) جديدة لعام ٢٠٠٣ هي مرض (السارس) الفتاك الذي أقنعونا أنه يوشك أن يقضي على الجنس البشري، فاضطربت أحوال الناس وتأثرت حركة التجارة والسياحة والسفر في العالم كله بسبب أن مواطنا في الصين أصيب بالمرض، ومواطنا آخر في كندا تشككوا في إصابته! وحتى الآن لم يخبرنا أحد عن مصير السارس، وأين ذهب، وكيف بدأ، وكيف انتهى! الأمر يحتاج إلى باحث مدقق يحلل لنا أسباب اختراع أكذوبة السارس، وأسباب إنهاء الحدوتة بشكل مفاجئ!

لا ننسى كذلك الرعب الذي نشروه من الجمرة الخبيثة، والرسائل التي قيل إنهم عثروا عليها مليئة بالبودرة، والمعامل التي نشطت في تحليل المادة البيضاء، والصحف التي فبركت أخبار الخطر الداهم.. وكالعادة لم يخبرنا أحد بنتيجة

التحليل، ولم تتعطف علينا أمريكا بأن تخبرنا بحقيقة الموضوع، ولماذا توقف من كانوا يرسلون طرود الموت؟ ولماذا مات الموضوع بالسكتة المفاجئة؟!

لهذا لا أستطيع أن أنظر ببراءة إلى منظمات مثل الفاو أو منظمة الصحة العالمية، وأراها أدوات تشارك بعلم أو بدون علم في العرض الكبير الذي يقدمه العم سام؛ لتخويف الناس وبث الرعب في نفوسهم.

كذلك لا أستطيع أن أنظر ببراءة إلى قصة إنفلونزا الخنازير التي يشغلون بها الدنيا كلها في حين أن ضحايا الإنفلونزا العادية أكثر بكثير من ضحايا إنفلونزا الخنازير، وأتصور أن المكاسب الرهيبة لشركات الأدوية المنتجة للقاح لها دور كبير في العمل على إثارة الهلع في نفوس الناس، حتى يضغطوا على حكوماتهم لاستيراد المصل الذي لا نعرف ولا نملك أن نعرف عن فعاليته أي شيء.

ولهذا أعتقد أن الآلة الإعلامية الأمريكية تعمل وفق استراتيجية تهدف لنشر الفوضى في العالم، والاستفادة إلى أقصى حد من مناخ الرعب المصاحب للفوضى التي تحدث بفعل الصرعات الأمريكية التي لا تنتهي.

ومع هذا فلا أملك سوى الإعجاب بالأمريكان، وقدرتهم الفائقة على إنتاج الصرعات والأكاذيب، وعلى تحريك العالم كأنه لعبة في يد الشيطان!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون E-BOOK

شو ها الإيام؟

بيقولوا لك من عرق جبينه
طلّع مصاري ها الإنسان
طيب كيف هيدا وكيف ملايينه
وما مرّة شايفينه عرقان!
(زياد رحباني)

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

وحيد حامد يقابل النطع

على طريقة إسماعيل يس يقابل ريا وسكينة، أو أبوت وكوستيللو يقابلان فرانكنشتين أفكر في كتابة رواية أو فيلم سينمائي عنوانه: وحيد حامد يقابل النطع. في هذا الفيلم يمكن أن أحكي عن مصر وما حدث لها من بعد حرب أكتوبر، ويمكنني أن أعرض للمشاهدين كل صور التخريب التي قام بها الصحراويون في قلب وعقل مصر، كما أستطيع أن أنقل مشاهد عن الناس المستورين الذين تحولوا إلى متسولين يطلبون اللقمة الذليلة من سادة الصحراء. ويمكن للرواية أيضًا أن تتطرق إلى القرار المصري الذي صار مرهونًا برضاء أهل الصحاري والقفار، والحقوق المصرية الضائعة تحت نعال أصحاب الزفت والقطران، والقانون الذي يتعطل إذا كان أحد أصحاب الفيافي والفلوات طرفًا في القضية!

قفزت فكرة السيناريو السابق إلى ذهني بعد أن شاهدت تحفة وحيد حامد ويسري نصر الله السينمائية الجديدة (احكي يا شهرزاد) واستمتعت بالغزل والنسج والتضفير السينمائي الرومانسي الهامس حتى وهو يتناول أحداث القتل والغدر والخيانة والفساد. الفيلم يقدم منى زكي في أجمل أدوارها على الإطلاق، والذين انتقدوها وأطلقوا فيها ألسنتهم هم الجهلاء الذين استمدوا فكرهم وثقافتهم من تعاليم أبي جهل وأبي لهب.

يتناول الفيلم أربع قصص لأربع نساء إحداهن هي المذيعة نفسها التي تقدم حكاياتهن على الشاشة، ثم تصبح هي بعد ذلك بطلة لقصة لا تختلف عن قصصهن التي تفضح الرجال الأشاوس في وطن فاسد ساسته فاسدون ونخبته انتهازية، وهم يملئون المجتمع جورًا وغدرًا ونذالة. قدم الفيلم نماذج تمثل طبقات المجتمع.. فهناك الشخصية التي جسدتها سوسن بدر لفتاة مثقفة من الطبقة المتوسطة تحلم برجل عادي في مجتمع عز فيه الرجال العاديون، وتصل بها حساسيتها وذكاؤها ومنطقها البسيط إلى مصحة الأمراض النفسية! وهناك الشقيقات الثلاث ساكنات الحي العشوائي اللاتي يتم تداولهن على يد عامل أجير في الدكان المملوك لهن، وقد قدمت الأدوار الفنانات رحاب الجمل وناهد السباعي ونسرين أمين.. وحكايتهن تذكرنا برائعة يوسف إدريس (بيت من لحم) عندما كان الشيخ الكفيف يعاشر الأم والفتيات الثلاث على أساس أنه ليس على الأعمى حرج.. أما بطل وحيد حامد فكان مبصرًا ومع هذا فإنه لم يبصر الهاوية التي اندفع إليها عندما أقام علاقة مع الشقيقات الثلاث بعد أن وعدهن بالزواج! النموذج الثالث كان الفتاة الأرستقراطية ابنة الحسب والنسب التي تعمل طبيبة أسنان، وقامت بالدور الفنانة المغربية سناء عكرود في أول أدوارها بمصر، وفي الفيلم تقع بين براثن رجل سياسة محترف وصياد ثروات يسعى لابتزاز النساء وسلبهن أموالهن، وقدم الدور باقتدار الفنان محمود حميدة، وهو نموذج شديد الصدق لرجال السياسة الذين نعرفهم، ونلمس آثارهم، ونرى بصماتهم في مسرح كل جريمة يرتكبونها في حق الوطن. ورابعة النساء بالفيلم هي بطلته المذيعة التي جسدتها منى زكي وصراعها مع الزوج الذي جسّده الفنان حسن الرداد الذي يحلم باختياره ضمن رؤساء التحرير الجدد، ويرى أن موضوعات

حلقاتها التليفزيونية تسبب له حرجًا مع المسئولين، الأمر الذي يجعلها توافق على تقديم حلقات إنسانية خالية من السياسة من أجل خاطره.. لكن المشكلة تكمن في أن الأنطاع لا يرضون عن الجيد والأصيل من الأعمال أيا كان توجهها.. سياسي أو اجتماعي أو اقتصادي، ولا يرضيهم سوى التافه والسخيف والباعث على القرف الذي يتفق مع أذواقهم الشخصية وفكرهم الضحل، فيتم استبعاد الزوج من المنصب رغم إجادته الرقص؛ لأن هناك من يرقصون أفضل ويملكون عقولًا خاوية في نفس الوقت!

استمتاعي بالفيلم جعلني أدرك لماذا يكره بعض رجال البادية غلاظ القلوب الكبيرَ جدًّا - رغم أنوفهم جميعًا - وحيد حامد، وعرفت أن حقدهم الدفين عليه يرجع إلى أن كل أموال زفتهم وقطرانهم لم تستطع أن تصنع مبدعًا رفيع المستوى في قامته أو في نصف قامته، ذلك أن تربتهم المالحة لا ينبت بها سوى الشوك والصبار، وأنهم إذا ما أرادوا أن يذوقوا طعم الحياة بفنونها وبهجتها وأفراحها، فإنهم يشدون الرحال إلى الخارج.. أما في الداخل فلا يوجد سوى الجدب والجهامة والموت الأسود.

أقول هذا لأنني علمت أن الفنان العظيم وحيد حامد قد قابل مصادفة أحد الأنطاع، وأن هذا النطع قد تطاول على كاتبنا الكبير، ولم يدرك أنه بفعلته الشائنة يتطاول على الجمال والصدق والتفوق والموهبة، أو ربما كان يعرف ويقصد ما فعل عن غل وعدوانية تليق بنطع كبير.

أستاذ وحيد، هل توافق على أن أشرع في كتابة قصة عنوانها (وحيد حامد يقابل النطع) أروي فيها قصة تغلغل الأنطاع، وتسيدهم داخل بلدنا وشرائهم ذمم وضمائر أناس لم يكن يخطر على البال أن يتلوثوا؟

لقد كتب نزار قباني عما حاق بمصر منذ بضعة عقود فقال:

من ينبئ المتنبي أن كافورًا فكك الأهراما

وأن عبدًا أسودًا قد باع التراما

فهل يتعين أن أخبر المتنبي بالمصيبة الجديدة وأقول: من ينبئ المتنبي أن نطعًا بليدًا أحمق قد تطاول على عمه وسيده وسيد الذين أخطئوا فأنجبوه.. الكبير وحيد حامد؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

من وكسة لخيبة يا قلب لا تحزن

عندما أقرأ أو أسمع عن إنسان قرر أن يبدل دينه ويعتنق دينًا جديدا تنتابني دهشة حقيقية وأمعن التفكير في الأمر محاولًا أن أستشف الأسباب التي تدعو شخصًا يدين بدين يقدّر أتباعه بالملايين يعده بالجنة ويؤكد له على كفر الآخرين.. إلى دين آخر أتباعه بالملايين يعده بالجنة أيضًا ولا ينسى أن يؤكد له كفر الآخرين!

أنا أعرف أن الكثير من القراء سيقولون إنه ربما شرح الله صدره للدين الجديد ووجد نفسه متعلقًا به ومستعدًّا للتضحية بكل شيء من أجل ما آمن به. وهذا في الحقيقة هو ما يدهشني.. لماذا؟ لأنني أعتقد أن الأديان جميعًا تدعو للخير وتقاوم الشر وتحرض الناس على الإخاء والرحمة والمساواة، والأديان جميعًا تحوي أشياء منطقية يسهل فهمها وأخرى غيبية تتخطى قدرات العقل ولولا الإيمان ما صدقها أحد. وعندما يريد أتباع ديانة أن يتحامقوا ويتنطعوا فإنهم يتحدثون عن الأشياء الغيبية لدى أديان الآخرين باعتبارها خرافات لا يليق بالإنسان العاقل تصديقها، وكأن غيبياتهم وميتافيزيقياتهم هي معجزات وخوارق، أما نفس الأشياء لدى الآخرين فهي هلوسة وخزعبلات!

أيضًا فإن الأديان تتشابه في أنه يقوم على حراستها دائمًا رجال دين يأكلون بسبوسة وبقلاوة وبغاشة من قيامهم بالمهمة التي لا يجيدون سواها وهي نشر البغضاء وتلوين القلوب بالسواد وترويع الناس وإلقاء الرعب في القلوب من المصير الأسود الذي ينتظرهم إذا لم يقوموا بكذا وكذا ويمتنعوا عن كذا وكذا. وهذه الكذا المطلوب القيام بها لا تخرج عن إطاعة الحاكم المجرم وتركه يفسق ويفجر والكذا التي يتعين الامتناع عنها قد تكون مقاومة الظلم والمطالبة بالحقوق!

لهذا فإنني كلما سمعت عمن قام بتغيير دينه فإن الأسئلة تفترسني: هل وجد الوقت الكافي لدراسة دينه دراسة متعمقة أدت إلى رفضه، ثم عرج بعدها على الأديان الأخرى فغاص في كتبها وتفاسيرها وشروحها حتى اهتدى في النهاية إلى أن دين كذا هو الأجدر بالاتباع؟ هل معقول أن يكون الأمر قد مضى على هذا النحو؟ في الحقيقة أن هذا السؤال يؤرقني لأن هذه هي الطريقة الوحيدة التي يمكن من خلالها أن أصدق أن شخصًا قد غير دينه عن اقتناع.. وهذا الأمر ليس باليسير لأنه لا يقدر عليه سوى العلماء والفلاسفة أمثال روجيه جارودي مثلاً. أما المواطن المسلم البسيط أو القبطي البسيط فلا يعلم عن أديان الآخرين إلا ما يسمعه في الجامع وفي الكنيسة وهو كفيل بتنفيره من دين الآخر. أما إذا ما مد بصره بعيدًا عن تعاليم رجال دينه وحاول أن يفهم بنفسه فإنه لو كان مسيحيًّا سيشاهد رجال دين مسلمين يسبحون بحمد الحاكم ويعبدونه من دون الله ويقومون بتفصيل الفتاوى على مزاج السلطة، وسيجد أسامة بن لادن مـاثلًا في الصورة، كما سيجد مناخًا دوليًّا يحرض على كراهية المسلمين.. فما الذي قد يغريه وسط كل هذا باعتناق هذا الدين وهو الذي كما أسلفنا لا يملك القدرة على تنحية القشرة الفاسدة حتى يظهر له جوهر الدين العظيم؟ ولو كان هذا المواطن البسيط مسلمًا فإنه سيجد كنيسة لا تحترم الدولة وقوانينها ولا تنفذ أحكام القضاء وقد تركت عبادة الله وتفرغت للسياسة بكل ما فيها من دسائس

ومكائد وألاعيب ومناورات، وسيجد قسيسين يملئون وعي الأتباع بأفكار عن المسلم الغازي المحتل الظالم الذي حل ضيفًا ولا يريد أن يرحل، وإذا نظر غربًا فسوف يرى البينيدكت المتعصب بتاع العيال! كل هذا سيحجب عن المسلم البسيط سماحة المسيحية الحقة التي لن يرى منها شيئًا! ولا ننسى أن الأديان انتشرت بفعل حلاوة أخلاق معتنقيها.. فالإسلام على سبيل المثال انتشر في الهند وإندونيسيا والصين وباقي بلاد آسيا ثم في إفريقيا بدون حروب أو غزوات وإنما انتشر عن طريق التجار الذين أغرت أمانتهم وصدقهم وحسن خلقهم الناس بالدخول في دينهم.

والسؤال هو: ماذا بقي اليوم في أخلاق الناس مسلميهم ومسيحييهم يمكن أن يغري ويلهم ويُحتذى بعد أن توحش الناس على يد السلطة وصاروا فصيلين لا ثالث لهما: شحاتين وحرامية؟!

وعلى الرغم من أن الله وحده هو المطلع على القلوب فإنني لا أصدق وسط هذه الظروف المزرية أي شخص يغير دينه.. وليسامحني الله!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

حيطة شعبان عبد الرحيم.. الواطية

حملت صحف الأسبوع الماضي تغطية موسعة لحادث دخول شعبان عبد الرحيم المستشفى إثر تعرضه لأزمة تنفسية أحدثت له غيبوبة، مما استدعى نقله الفوري إلى غرفة العناية المركزة ووضعه على جهاز التنفس الصناعي.

من اللحظة الأولى ولغت الصحف جميعها بلا استثناء في دم شعبان عبد الرحيم، ومشت على جثته في طريق الإثارة، وبحثًا عن بعض الأكشن الذي يزيد التوزيع، على حساب سمعة وشرف رجل بسيط لا يعرف حقوقه، ولا يفهم كيف يوقف هؤلاء المعتدين عند حدودهم.

كتبت الصحف أن سبب الغيبوبة هو تعاطي شعبان لمخدر الحشيش، وسبقوا معامل تحليل السموم في هذه النتيجة، وأعلنوا أن ملابس شعبان كانت تحوي قطعة من الحشيش حددوا وزنها بدقة (١٦ جراما).

بصرف النظر عن صحة الوقائع السابقة من عدمه، فإنه من الواضح أن شعبان عبد الرحيم قد أخطأ في حق نفسه أكثر من مرة. أخطأ عندما لم يفهم أن قانون اللعبة الفنية يقضي بأن يملأ يده بالطعام طول الوقت ليحشو فم الصحفيين كما يفعل زملاؤه ذوو الخبرة والحصافة الذين يضمنون ألا تنشر الصحف عنهم إلا كل ما يشرف، بالرغم من غياب ما يشرف معظم الوقت، ولو أدى الأمر إلى فبركة واصطناع الأخبار الكاذبة. وأخطأ شعبان عبد الرحيم أيضًا عندما لم يقم أقاربه الذين أدخلوه المستشفى بحشو فم الممرضين والتومرجية حتى لا يفرح أحدهم بالعثور على قطعة حشيش في جيب الجاكيت ويجري بها على رؤسائه، وهو لا يخفي سعادته، وكأنه موظف شريف أدى واجبه! مع أن موظفين شرفاء مثله في مستشفى آخر قد انتزعوا الرصاصة من ظهر تامر لإخفاء دليل الاتهام بحق ضابط الشرطة الذي قتل تامر بسلاحه الميري!!

ما بال الصحافة تتربص بالبسطاء من الناس والفقراء منهم بالأخص، وتتعامل معهم بهذا التحيز، مثلها في ذلك مثل أجهزة الأمن التي لا يضرب الساديون من أفرادها إلا الفقراء والبسطاء من أبناء الشعب؟ وما بال الصحافة تنتهك خصوصية الفقراء، وتضع صورهم مشفوعة بالاتهامات عندما يكونون موضع اتهام، في الوقت الذي تمتنع عن كتابة الاسم، وتكتفي بالحروف الأولى أو لا تشير لأي حروف على الإطلاق عندما يكون المتهم من ذوي المال والحيثية والنفوذ؟

هل نسيتم أن الشخص الذي قام بالاعتداء على لاعب الإسكواش أحمد برادة منذ سنوات، وسدد إليه في ظهره طعنة بالسكين.. هذا الشخص لم يتمكن البوليس من التوصل إليه حتى الآن. وكلنا نذكر أنهم ألقوا القبض وقتها على ولد متخلف عقليًّا اسمه (محمد ولعة)، وقدموه للنيابة التي قضت ببراءته فورًا؛ لأن حجم التلفيق والاصطناع كان مفضوحًا للغاية. ومن يومها تم إسدال ستائر النسيان على الموضوع، والسبب أن الجاني الحقيقي كان من أولاد الذوات الذين لا يمكن أن يأتي ذكرهم في الصحافة، ولا تقديمهم للمحاكمة. وأحمد برادة نفسه لم يتمسك بحقه

وأنكر معرفته بالفاعل، وتمت تسوية الأمر بينه وبين قاتله أو من حاول قتله بعيدًا عن ساحة المحكمة. ووقتها تحلت الصحف بالمسئولية والموضوعية ولم تلهث وراء الإثارة، ولا استبدت بها شهوة النشر والرغبة في التوزيع وحفظت للناس أعراضهم، فلم تشهّر بالمجرم وأهله، ولم تكتب اسمه أو تنشر صورته. كل هذه العفة الصحفية لم تكن لوجه الله أو لوجه المهنة، وإنما كانت بسبب حصانة الجاني وأهله، أما محمد ولعة وأهله الفقراء فليذهبوا إلى الجحيم!

مسكين شعبان عبد الرحيم.. لا شك أنه الآن يضرب كفًّا بكف غير مصدق ما يحدث له من تحقيقات ونيابة وفضائح وتشهير؛ لأنه يعرف من خلال انخراطه في الوسط أن الكثير من زملائه من أهل الفن يتعاطون الحشيش، وما هو أقوى من الحشيش بعلم الدنيا كلها دون أن يجرؤ أحد على فضحهم أو النيل منهم. ولا شك أن شعبان لا يصدق ما يحدث حوله؛ لأنه قد رأى بعينه راقصة شهيرة شاهدها الناس على سيديهات كانت توزع على قارعة الطريق وهي تضاجع رجل أعمال في أكثر من عشرة أفلام مختلفة صورها لها رجل الأعمال الذي كان يتسلى بتصوير خليلاته، ورغم هذا لم تلحق بسمعتها شائبة، بل وخرجت من التجربة مرفوعة الرأس بعد أن تبارت الصحف والقنوات التليفزيونية في إظهار ملائكيتها وطهرها وحسن نيتها، حين أظهروها كضحية للرجل الشرير الذي زعمت أنه زوجها دون أن يطلب منها أحد دليلًا على هذا الزواج، واكتفوا بكلمة شرف منها! لم تتهمها صحيفة واحدة بالدعارة، وتركوها تملأ الدنيا ولولة وصياحًا على الأخلاق الخربة، والزمن الرديء الذي وضعها في طريق الرجل الذئب، وهي الطاهرة البتول والخضرة الشريفة!

مسكين يا شعبان يا بن البلد، يا طيب وجميل وبريء من الرياء والنفاق، يا من تعامل معك الجميع باعتبارك فقرة مسلية، وليس إنسانًا له حقوق يتعين حفظها، ونظروا إليك باعتبارك صاحب حيطة واطية يسهل تسلقها والتغوط إلى جوارها!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

آثار الحكيم.. الرائعة

لا أشاهد التليفزيون إلا مصادفة، ومع ذلك فقد كانت صدفة جميلة تلك التي جعلتني أشاهد حلقة من برنامج (ستوديو مصر) من تقديم الناقد الفني طارق الشناوي، وأتصور أنها حلقة معادة سبق للناس رؤيتها. في الحقيقة أدهشتني آثار الحكيم بصدقها ونصاعة رؤيتها وعدم خشيتها من قول الحقيقة التي يتواطأ عليها الجميع. سألها طارق عما يسمونه بالسينما النظيفة.. تلك التي تخلو من القبلات ومشاهد العري وقد أصبحت موجة أو تيارًا حاليًّا في السينما المصرية، وأوضح أن آثار قد سبقت النجوم الحاليين في فرض هذا المفهوم على المخرجين في الأفلام التي شاركت فيها. قالت آثار إنها بالفعل لم تقبل أبدًا المشاهد الساخنة في الأفلام لأن المخرجين يستخدمون جسد الفنانة كأحد المشهيات التي يستدرجون بها الجمهور لصالات العرض وإنها ترفض أن تكون سلعة في سوق للنخاسة.

وهنا تدخل طارق الشناوي موضحًا أن هناك مشاهد قد تقتضيها الدراما ويتم تأديتها وإخراجها بدون ابتذال، وضرب لها أمثلة ببعض الأفلام المميزة التي حوت قبلات وشيئًا من الجنس دون أن تكون سببًا للإثارة بقدر ما كان من شأنها تعميق الدراما وتوصيل الفكرة وفتح باب التأمل. قالت آثار الحكيم ردًّا على هذا المنطق القوى إنها تتفهم كل هذه الأسباب لكنها مع ذلك لا تثق في وجود المخرج الأمين الذي يفعل كل ما ذكره طارق الشناوي لأنها لا ترى سوى مخرجين يستخدمون النساء كتوابل وبهارات على نحو فج ورديء. وهنا قام طارق بتذكيرها بفيلم (يا دنيا يا غرامي) والذي كانت مرشحة فيه لتأدية الدور الذي لعبته هالة صدقي وسألها: ألم تشعري بالندم بعد رؤيتك للمشهد الذي كان سببًا للرفض عندما قام بإخراجه مجدي أحمد علي بصورة رائعة؟ فأجابت آثار بأنها لم تكن تعلم أن المخرج سيكون أمينًا ومبدعًا على هذا النحو، ولو كانت واثقة من هذا لقبلت القيام بالدور.

عند هذه النقطة قرر طارق الشناوي أن يطرق الحديد وهو ساخن فسأل آثار عن القبلات الفنية التي هي مجرد تمثيل وليست حقيقية بالمرة فلماذا إذن الإصرار على رفضها بما يضيع فرصة القيام بأدوار مميزة في أفلام كبيرة؟.. لم تستدرج آثار للفخ وأجابت بأنه ليست هناك قبلات تمثيل.. فالقبلات كلها حقيقية!! ولما أبدى طارق اندهاشه علقت آثار بأن الفنان عادل إمام قد أوضح في أحد البرامج التليفزيونية أن القبلات التي يؤديها على الشاشة هي قبلات حقيقية تمامًا وليست تمثيلاً، وأردفت آثار: الممثلون بشر وليسوا أخشابًا أو أصنامًا وعندما يقتربون من بعض ويندمجون في مشاهد ساخنة فإنهم يتأثرون ولا تصدق من يقول لك العكس، وضربت آثار مثلًا بالممثل براد بيت والممثلة أنجيلينا جولي عندما كانا يمثلان معًا فيلم (مستر ومسز سميث) وكيف أنه بعد الفيلم ترك زوجته جينيفر أنيستون وارتبط بأنجيلينا جولي.

لم يستسلم طارق الشناوي ورمى بآخر سهامه عندما ذكّر آثار الحكيم بأن تقطيع المشاهد في السينما لا يسمح بالاندماج أو الاستجابة لأي شيء حقيقي في هذه المشاهد شديدة القصر، فضحكت آثار في سخرية ونوهت إلى أن هذا الكلام عن

التقطيع يمكن به الضحك على الناس لكنه غير حقيقي لأن الممثلين يتأثرون ولو لثوان وهذا يفتح الباب لعلاقات حقيقية خارج الكادر.

حقيقة لقد أذهلتني آثار الحكيم بصدقها النادر وأنا أؤيدها فيما ذهبت إليه وأعلم أن كل ما قالته في هذا الشأن حقيقي، وهي فيما قالت لا تدين أحدًا ولا تلقي مواعظ، لكنها تتحدث في حدود ما تقبله كامرأة تريد على كونها فنانة أن تكون زوجة وأمًّا فاضلة.. أمام نفسها على الأقل!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فنان عجيب.. لا يكذب!

كنت أستمع إلى حوار إذاعي مع الملحن زياد الطويل تحدث فيه عن مشواره الفني عندما سأله المذيع عن ذكرياته التي يحب أن يحكيها للمستمعين مع الفنان عبد الحليم حافظ، وأهم المواقف الطريفة التي تختزنها ذاكرته للعندليب عندما كان يزورهم بالمنزل للقاء والده الموسيقار الراحل كمال الطويل.

أجاب زياد في بساطة وتلقائية أثارت دهشتي: عندما توفي عبد الحليم حافظ لم يكن عمري يزيد عن ١٢ عامًا وبالتالي لا أستطيع أن أزعم وجود ذكريات تربطني به.

ما أدهشني هو أن زياد الطويل هو في حدود علمي الشخص الوحيد الذي أجاب مثل هذه الإجابة ردًّا على مثل هذا السؤال طوال الثلاثين عامًا الماضية.

وبقدر بساطة وتلقائية الإجابة بقدر ما احترمت الرجل بشدة وقدّرت صدقه، وتماسكه النفسي، وعدم انقياده للغواية التي كان يمكن أن تدعوه لاختلاق قصص وأفلام، وتأليف روايات وحواديت عن حوارات طويلة ومواقف لا أول لها ولا آخر، وأيام بلياليها قضاها بصحبة حليم داخل مصر وخارجها، وربما ادعى كما فعل غيره أنه كان حاضرًا أثناء تلحين أغنية كذا، أو أنه قام بتعديل كلماتها التي لاقت استحسان عبد الحليم حافظ، أو أنه اشترك مع والده في وضع بعض الجمل اللحنية.

أقول هذا بسبب أن عبد الحليم بالذات قد كثر بشأنه الأفاقون والنصابون، والغاوون للشهرة الكاذبة الذين ادعوا أن صداقة حميمة ربطتهم به، وذكريات مثيرة جمعتهم معه لدرجة أن أحد الصحفيين أصحاب الخيال الواسع نشر منذ عدة سنوات قصة مفضوحة في سلسلة من الحلقات بمجلة أسبوعية حكى فيها قصة حبه لإحدى الفتيات التي كانت بالصدفة صديقة للفتاة الوحيدة التي أحبها العندليب، وروى حضرته فصولًا من قصتي الغرام المتوازيتين، وقص على القراء جانبًا من تفاصيل جلسات العشاق الأربعة على شط النيل! كما أفاض صاحبنا النصّاب مع كل حلقة في رواية سهراته الليلية مع حليم يتبادلان الشكوى من تباريح الهوى وكل يحكي لصاحبه عن لوعته ويبثه أشجانه، وقد ختم الحلقات بسفريتهما معًا إلى لندن بعد فشل قصتي الحب في محاولة منهما للنسيان والفرار من الحب وذكرياته!

والغريب أن صاحبنا هذا الذي اختلق كل هذه الخزعبلات ووجد الجرأة لنشرها، لم يشاهد عبد الحليم في حياته إلا على الشاشة كما ذكرت أسرة الفنان! وأذكر أن السيناريست الأستاذ وحيد حامد قد كتب وقتها في نفس المجلة مقالًا ناريًّا تناول فيه ظاهرة النصب باسم الفنان الراحل، وفنّد القصة الخيالية للصحفي الذي يصغر عبد الحليم حافظ بربع قرن!

ولم يكن هذا الشخص هو الوحيد الذي افترى على عبد الحليم الكذب وتشعلق في قطاره، وإنما كثيرون فعلوا هذا بدون حياء، وبعضهم للأسف كانوا من بين أصدقائه المقربين، وقد جمع بينهم اختراعهم للحواديت التي لم تحدث، والزعم بأنهم كانوا يفكرون بدلًا منه، ويأخذون القرارات نيابة عنه، ويختارون له الكلمات والألحان

وأنه لم يكن يخطو خطوة إلا بمشورتهم، وقد كادوا ينسبون لصديقهم الراحل أنه كان يستأذنهم إذا أراد دخول الحمام!

لهذا، فقد أدهشني رد زياد الطويل عندما نفى أن تكون له أي ذكريات مع عبد الحليم حافظ، ويبدو أن نشأته في كنف والده الفنان العظيم جعلته يأخذ عنه الصدق والكبرياء والنفور من الادعاء والبطولات الزائفة. \∞ ∞ ∞ ∞ ∞ ∞

شو ها الإيام؟

كنت قد شرعت أكتب مقالًا عن الرئيس الأمريكي جورج بوش الذي نجح بمهارة فائقة في تفادي حذاءين طائرين أقلعا من قدمي الصحفي العراقي منتظر الزيدي، واتجها صوب وجه الرجل. واخترت للمقال عنوان: (الصرمة والترويع.. عملية باتا ٤٤). غير أنني توقفت في نصف المشوار وصرفت النظر عن الموضوع وشطبت ما كتبته؛ لأنني قدرت أن الدنيا كلها ستكتب في هذا الموضوع، ولن يكون بوسع القارئ وسط هستيريا السعادة أن يعرف من كتب ماذا! لهذا فقد حولت الدفة إلى موضوع آخر أراه أكثر أهمية يتعلق بأننا شعب كل شيء فيه يُنسى بعد حين.

كثيرًا ما تفتح الصحف شهية القراء على فضيحة، وتواصل نشر تفصيلاتها عدة أيام متصلة حتى يتعلق بها الناس، وينتظروها كل صباح، وفجأة ينقطع التيار، ويتوقف الإرسال وينسى الناس الموضوع بعد أن تشغلهم فضيحة أخرى.

كتبت الصحف في شهر فبراير من هذا العام عن فضيحة توظيف أموال بطلها شاب هارب خارج البلاد كان يقوم بعملياته بالاشتراك مع ابن وزير اسمه عثمان، ووقتها تقدم العديد من الضحايا ببلاغات للنيابة، وصدر حكم بحبس ابن الوزير لم يتم تنفيذه طبعًا؛ لأنه لم يستدل على عنوان الوزير! بعد ذلك أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح، ولم نعد نسمع أي شيء عن الولد الهارب إلى أمريكا، ولم نعرف هل بُذلت أي جهود لإعادته، وماذا عن أموال الضحايا، وما مصير القضايا التي رفعوها على النصاب وصديقه ابن الوزير عثمان، وما مصير الحكم القضائي الذي صدر بحبسه. والآن هل من جريدة بنت حلال تعيد فتح الموضوع.. ليس بغرض تحقيق العدالة أو حبس الجناة لا سمح الله، بل من أجل تسلية القراء الذين لهم الحق في معرفة كافة تفاصيل الفضيحة، ولا ينبغي أبدًا أن نفتح شهيتهم، ونقدم لهم (الأوردوفر)، ثم نرفع المائدة فجأة ودون تمهيد!

فضيحة أخرى نشرت تفصيلاتها الصحف في شهر أغسطس الماضي عن محام تم ضبطه متلبسًا داخل لجنة الامتحان بكلية الحقوق يجلس على مقعد الطالب هشام سامح عاشور ابن نقيب المحامين وبحوزته رقم الجلوس الخاص بالطالب. وقد اعترف المحامي الغشاش بأنه حضر لأداء الامتحان دون علم الطالب، فلما سألوه عن رقم جلوس الطالب وكيفية وصوله إليه، قال إنه استولى على رقم الجلوس من خلف ظهر ابن نقيب المحامين ودون علمه! هذا وقد قامت الجامعة بفصل الطالب سنتين، وتم تحويل الأمر إلى النيابة التي أفرجت عن المتهم بكفالة بعد أن اعترف على نفسه بالقيام بالتزوير وكذلك سرقة رقم جلوس الطالب. وقد علل الأستاذ سامح عاشور وقتها الحدث بمؤامرة يقودها ضده خصومه في النقابة، وهو الأمر الذي نفاه هؤلاء الخصوم، وتساءلوا في دهشة: إذا كنا نحن الذين حرضنا المحامي على أن يسرق رقم جلوس الطالب، ودبرنا ذهابه إلى الامتحان في يوم يتصادف غياب الطالب فيه، وفعلنا كل هذا لأجل إلصاق تهمة التزوير بابن النقيب فلماذا نفى المحامي أي علاقة للطالب بالموضوع، ولم يكمل سيناريو المؤامرة وشال القضية لوحده؟

أسئلة كثيرة أثارها نشر الموضوع الذي تابعه الناس دون أن يعرفوا الحقيقة فيه من الخيال.. وفجأة أدرك شهرزاد الصباح فخرست عن الكلام المباح، وذلك على الرغم من عدم وجود أوامر بحظر النشر. فهل من جريدة أخرى بنت حلال تفيدنا بآخر تطورات الموضوع، خصوصًا وأن الأستاذ سامح عاشور الرجل المعروف بمواقفه المحترمة له عليهم حق نشر الحقيقة كاملة بعد أن أساء إليه نشر أجزاء منها.

يصدح بجانبي الآن بينما أكتب الفنان زياد رحباني في أغنية رائعة عنوانها (شو ها الإيام) لا أراها تبتعد عما نتحدث عنه، يتساءل فيها زياد عن هذه الأيام التي وصلنا لها. يقول زياد:

شو ها الإيام اللي وصلنالها

قال إن غني عم يعطي فقير

كأن المصاري قشطت لحالها

عا هيدا نتفة وهيدا كتير

ولأن زياد يعلم أنه يتحدث عن نكتة لا يصدقها عقل عن الفلوس التي قفزت من نفسها وتوزعت على الناس فإنه يسألنا: حلوة دي؟ فلما نرد قائلين: حلوة دي.. يخرج لنا لسانه قائلًا: حلوة دي تعجن في الفجرية! ثم يمضي زياد لنقطة أبعد ويتحدث عن رجل عصامي عمل نفسه بنفسه مثل رجال الأعمال عندنا فيقول:

بيقولوا لك من عرق جبينه

طلّع مصاري ها الإنسان

طيب كيف هيدا وكيف ملايينه

وما مرة شايفينه عرقان!!

فترد الفرقة: مش صحيح، فيسألهم في دهشة: مش صحيح؟ فيجيبونه: مش صحيح الهوى غلاب! حقًّا، كيف يكون الرجل أيّ رجل قد عمل ثروته من عرق جبينه رغم أنه لم يحدث أن شوهد مرة وهو (عرقان). ويكمل زياد عن نفس رجل الأعمال:

الغني من تلقاء نفسه حابب يوزع ورق المال

ما إنه بخيل أبدًا على عكسه

أتذكركن يا ولاد الحلال

وترد الفرقة: ليل يا لال. فيسألهم: ليل يا لال؟ فيجيبونه: ليل يا لال.. ليلي طوّل.

كلنا يا زياد ليلنا طوّل، وما من ضوء في نهاية النفق، فقط عسكري أمن مركزي يحرس الظلام!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

حفل توقيع في مارينا

ظهر في الحياة الثقافية في مصر منذ فترة تقليد نقلناه عن الغرب متمثل في إقامة حفلات توقيع للكتب الجديدة بالمكتبات، وفيه يلتقي الكاتب بقرائه وجهًا لوجه.

ساهم في بزوغ هذه الظاهرة فتح مكتبات حديثة بالقاهرة والإسكندرية على النسق الغربي تسمح للزائر بالجلوس، وتصفح الكتب، وتناول الشاي أيضًا.

وكان من حظي أنني دعيت مرات عديدة للقاء القراء في حفلات توقيع بتلك المكتبات الجديدة وهو الأمر الذي منحني سعادة لا حدود لها.

في الأسبوع الماضي كنت على موعد وحفل توقيع في مكان غريب أشد الغرابة أو هكذا تصورته في البداية. دعاني الصديق طارق قنديل صاحب مكتبات (المركز المصري الأمريكي) لحفل أقامه في أحدث فروع مكتباته على ضفاف البحيرة الصناعية في بورتومارينا! وطارق قنديل هو شاب مصري عاشق للكتب قضى جانبًا من حياته بالولايات المتحدة، ثم عاد للإسكندرية؛ ليبدأ سلسلة مكتباته، وآخرها على شاطئ القرية السياحية الأشهر في مصر.

حرصت على الحضور في الموعد المتفق عليه، ولكن عطلني تكدس الطريق الساحلي بالسيارات المتوجه أصحابها لحفل تامر حسني. وصلت لأجد مجموعة من القراء تنتظرني بالمكتبة، وبدأت السهرة في التاسعة مساء، ولم تنته إلا في الفجر! كنت سعيدًا للغاية؛ لأنني وجدت من بين زوار مارينا مجموعة من الشباب الجميل الممتلئ بالحب والحماس لهذا الوطن والمتابعين الجيدين للكتب، ولكن استرعى انتباهي أن من بين من حضروا بعض تلامذة الثانوي، وأغلبهم لا يقرءون بالعربية، وقد عرفت منهم أنهم لا يدرسون (عربي) في المدرسة بمصر! لكنهم يودون شراء الكتاب لأن عنوانه كووووول جدًّا! وأقبل جمع من الفتيات الجميلات يتحدثن مع بعض بالإنجليزية، وتشجعت إحداهن وأخذت نسخة طلبت توقيعي عليها. شعرت بسعادة وسألتها: هل ستقرئينه حقًّا؟ أجابت بلكنة أمريكية: لا.. سأهديه لأبي. بعدها حذت حذوها بقية الفتيات، وقد قررت كل منهن أن تشتري نسخة ثم تفكر في شخص عزيز تهديها له!

كان من بين الحضور عدد من الزوار العرب من السعودية وسوريا والسودان، وهؤلاء أرهقوني وأسعدوني في الوقت نفسه بالأسئلة عن توقعاتي لما تحمله الأيام القادمة لمصر التي يحبونها ويخشون عليها.

وقف بجانبي رجل تدلى كرشه أخذ يقلب في الكتب باستخفاف ثم سألني متهكمًا: هل تتوقع أنني حضرت إلى هنا من أجل القراءة؟ ابتسمت له في ود، ولم أعرف بماذا أجيب. زاد في إلحاحه: أنا أريد منك إجابة.. هل تعتقد حقًّا أنني أتيت إلى هنا لأوجع راسي بقراءة الكتب؟ نظرت إليه وقد ضايقتني سماجته وقلت: في الحقيقة أنا لم أفكر في أسباب حضورك، لكني أعدك بدراسة الموضوع. لم يتوقف وازدادت رذالته: الناس هنا تأتي من أجل الترفيه، وأنت تريد أن تعكنن عليهم بالكتب والقراءة! قال هذا وأمسك بأحد الكتب ثم وزنه في يده، وألقاه على المنضدة في جلافة. نظرت إلى

الناس حولي فوجدتهم مشمئزين من الجاهل السخيف. قلت له وأنا أنظر إلى كرشه العظيم: يا أستاذ، أنا لا أعتقد أنك تقرأ لا هنا ولا في أي مكان، كما لا أعتقد أنك أتيت للسباحة أو ممارسة الغطس، وأدرك أن وجودك داخل مكتبة يضايقك، ويضغط على أعصابك، كما أظن أن أوقاتك الجميلة تقضيها في مسمط خمس نجوم من تلك التي نشأت بالفنادق الكبرى لتلبية احتياجات أمثال سعادتك من الممبار والأباوة والسمين، ولعلمك أنا أعرف الكثيرين ممن يحبون لحمة الراس مثلك، لكنهم ياللعجب يقرءون أيضا. تعالت الضحكات، فخرج الرجل مهزومًا وهو يغمغم بكلام غير مفهوم.

عدت إلى المناقشة مع السيدات والسادة الذين تزايد توافدهم ولكن قطعها هذه المرة صوت حريمي خشن يعلو معترضًا. نظرتُ إلى صاحبته فوجدتها تشبه إله الشر عند الرومان رغم تأنقها الشديد! سألتني في حدة: أنت مؤلف هذا الكتاب؟ قلت: نعم. قالت: وكيف سمحت لنفسك أن تقول عن مصر إنها ليست أمك؟ إن مصر هي التي تتبرأ منك! لم تمهلني للرد، وإنما فتحت ماسورة مما تروى منه الخضراوات في الحوامدية: ولماذا تبقى فيها إن كانت لا تعجبك؟ ما تفارقنا يا أخي! إن مصر هي أجمل بلد، وحكام مصر هم أحسن حكام، وهذه الحكومة مهما فعلت من أجلكم فلن ترضوا عنها؛ لأنكم نماردة متبطرون، كما أن رجال الأعمال الذين تنتقدهم في كتاباتك هم بناة مصر الحقيقيون.. ثم زاد انفعالها وهي تقول: كفاكم حقدًا وإساءة لوطنكم!

كان شعوري بالقرف منها شديدًا فتركتها وخرجت، وخرج معي مجموعة من الشباب فسروا لي الأمر وقالوا: إن هذه السيدة هي زوجة فلان اللص الكبير، وهي كغيرها من زوجات اللصوص مدينة بكل النعيم الذي تعيش فيه لحالة الفساد التي تسيطر على البلد، وهي تخشى أن تنصلح أحوال مصر ولو قليلًا حتى لا تفقد العز والهيلمان، والسيد زوجها مرشح لتقديمه للمحاكمة ضمن كوتة الأشخاص الذين يتم التضحية بهم من حين لآخر كدليل على الطهارة والشفافية.. وهذا سر عصبيتها. وقد طلب مني الشباب أن أعذرها.. فعذرتها!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

نوبل للسلام.. جائزة هزلية

لا تحظى جائزة نوبل للسلام بأي تقدير من جانبي؛ لأني أراها جائزة هزلية أكثر منها معبرة عن مكافأة حقيقية يستحقها شخص بذل جهودًا دولية كبيرة ساحتها الكرة الأرضية لتحقيق العدالة ونشر السلام. إذ أين هو هذا السلام في عالم تملؤه الصراعات الدموية من كل جانب؟ وأين هي الشخصيات المستحقة لجائزة من هذا النوع؟ وأستطيع أن أتصور أن الرئيس أوباما بعد أن أكرموه بدون مناسبة ونفحوه نوبل للسلام أخذ يضحك من أعماقه على هؤلاء السذج الذين لم يروا أهلًا للجائزة سواه وهو الذي لم يسع إليها، ولم يعمل لها وبالتالي لا يتصور أنها يمكن أن تقترب منه بينما هو ما زال يتحسس خطواته في شهوره الرئاسية الأولى، ولم يفعل بعد ما يستحق عليه اللوم أو الثناء!

على أي الأحوال باراك أوباما ليس شخصًا سيئًا، ولكن المعضلة هي على أي أساس يتم منح أرفع جائزة للسلام للقائد الأعلى للجيش الذي يوقع كل يوم قتلى في صفوف المدنيين بالعراق وأفغانستان دون أن يستمع للأصوات التي تطالبه بسحب قواته؟

وفي الحقيقة فإن مشكلة جائزة نوبل أنها لا بد أن تقع على شخص يفوز بها كل مرة، وليست مثلًا مثل جوائز السينما التي قد يتم حجبها في أحد الفروع عندما لا يوجد فيلم يرتقي لمستوى الجائزة، ولهذا فهم يضطرون إلى منحها لأي أحد بصرف النظر عن جدارته. وعلى العكس من نوبل في علوم الكيمياء والفيزياء والطب التي لا بد من منحها لعلماء حقيقيين بشهادة لجان علمية محايدة على أرقى مستوى، فإن نوبل في الأدب تتدخل فيها السياسة - أحيانًا - ونوبل للسلام تعبث بها السياسة دائمًا. هذا وقد بلغ الشطط في منح الجائزة في بعض السنين حدود عبثية تقترب من الجنون منها مثلًا الجائزة التي تم اقتسامها مناصفة بين الرئيس السادات - الذي كوفئ على زيارته للقدس - وبين السفاح مناحم بيجن زعيم عصابة أراجون الإرهابية التي قامت بتنفيذ مجزرة دير ياسين! وقد قيل في تبرير منحها لزعيم الليكود الدموي أنها من أجل تشجيعه على اتخاذ خطوات عملية في المفاوضات على طريق السلام.. وقد كان الأولى والحال هكذا أن يسموها جائزة نوبل التشجيعية للسلام.

ولم يكن مناحم بيجن وحده من بين القتلة الذي حصل على الجائزة التي رصدها العالم ألفريد نوبل مخترع الديناميت للتكفير عن اختراعه، ولكن في عام آخر تم تقديم الجائزة مناصفة بين ياسر عرفات من جهة وبين كل من الإرهابي الصهيوني إسحاق رابين الذي قام بتكسير عظام الأطفال أثناء الانتفاضة الأولى، وشارك في دفن الجنود المصريين أحياء في عام ٦٧، ومعه الحمامة الوديعة شيمون بيريز قاتل الأطفال في مجزرة قانا. ويبدو أن القائمين على أمر الجائزة في سعيهم لإيجاد أي فائز لا يجدون غضاضة في الغفران لمجرمي الحرب، وفتح صفحة جديدة لهم مع الحياة، وكأن مؤسسة نوبل قد صارت مركزًا لتأهيل القتلة!

لهذا لا أجد الأمر غريبًا أو يدعو للاستنكار إذا دعوت في العام القادم إلى تقسيم جائزة نوبل للسلام بين السيد محمود عباس الذي باع قضية شعبه وأكل بثمنها

شاورمة، وهو أيضًا الرجل الذي انتهت رئاسته للسلطة الفلسطينية منذ يناير هذا العام، وما زال على رأس السلطة لا أحد يعرف كيف! وبين الوحش الآدمي بنيامين نتانياهو رئيس الوزراء الإسرائيلي الذي سيقوم قريبًا بهدم المسجد الأقصى على رءوس المسلمين، وبناء هيكل سليمان على أنقاضه.. فهل هناك بعد كل ما ذكرناه من يجد هذا الاقتراح غريبًا، أو داعيًا إلى الدهشة؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

قوة السلاحف

لما الإيران هجموا ثم اليونان هجموا

ثم الرومان دمروا والتتار هدموا

وكل واحد جه مسح قدمه

على اسم مصر

(صلاح جاهين)

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

القوة الناعمة لمصر

الذين يدّعون أن مصر قد فقدت قوتها الناعمة برحيل تحية كاريوكا واعتزال فيفي عبده لا يعرفون شيئا.

تابعت على مدى الأيام السابقة تشكيلة منتقاة من القمم العربية في الرياض، والدوحة، وشرم الشيخ، والكويت. ونظرًا لزيادة المعروض على المطلوب لدى المواطن العربي، فقد اضطرت أغلب القمم إلى تقديم عروض ترويجية مثل عروض كارفور كل خميس وعروض أولاد رجب أول كل شهر. وسط طوفان القمم ركزت بصري مع نقل وقائع قمة شرم الشيخ على شخصين أحبهما كثيرًا رحت أبحث عنهما وسط الزحام، ولم يهدأ خاطري إلا بعد أن لمحت نصف وجه السيد أحمد أبوالغيط يجلس خلف الرئيس مبارك، ولاحظت أن نصف الوجه هذا يحمل كل السعادة، والظاهر أن هذه السعادة مردها ثبوت كذب الشائعات التي تحدثت عن عدم حضور أبوالغيط المؤتمر بناء على طلب زعيم هدد بالرحيل لو رأى أبوالغيط هناك. والحقيقة أن هذه الشائعة الكاذبة قد وجدت من يرددها بسبب وجود سابقة في الشهر الماضي، عند قدوم السيدة تسيبي ليفني إلى القاهرة عشية العدوان الإسرائيلي على غزة. يومها اجتمعت وزيرة الخارجية الإسرائيلية بالرئيس مبارك. وعلى الرغم من مصاحبة أحمد أبوالغيط المُناظر للوزيرة الإسرائيلية في المنصب لضيفته، فإن أحدًا لم يدْعه للحضور وطلب منه الانتظار بالخارج. وبعد أن فرغت ليفني من مناقشة كل ما حضرت بشأنه خرجت؛ لتعلن على الملأ قراراتها الدموية بتدمير غزة وإلى جوارها الوزير أبو الغيط. هذا وقد ربط الناس بين وقوف ليفني بين يدي أبوالغيط، ثم وقوعها بين يديه في مشهد إنساني مؤثر، وبين تصورهم أن أبا الغيط كان يعلم بكل تدبير إسرائيل ويوافق عليه، والله وحده يعلم أن الوزير المصري كان (قاعد برة) ولم يسمع أي شيء. وأتصور أن وزير خارجيتنا قد حمل في صدره غضبًا شديدًا على السيدة ليفني حيث لم يجرؤ وزير خارجية قبلها أن يتركه بالصالون وحده.. صحيح أنها طلبت له عصير قبل أن تغادره لكن هذا لا يشفع لها فعلتها. وهو على أي حال لم يستقبل فعلتها بالصمت، لكن يقال إنه دعا عليها في سره، ولعل صبره عليها راجع إلى ما عرف عن الرجل من سعة صدر، فضلًا عن أن (القمْصة) في هذه الأمور قد تكلفه منصبه، وبهذا لا يعود قادرًا على خدمة القضية الفلسطينية من على القهوة! وهي التي نذر حياته لها، وقد سمعناه كثيرًا يتحدث عن التضحيات التي قدمتها مصر من أجل القضية، وأظنه يحسب تضحياته الشخصية من ضمنها، ومنها تضحيته بالبقاء برة! وأتمنى ألا يترك الأمر أثرًا في نفس أبوالغيط وألا يستمع إلى كلام المرجفين الذين يراهنون أن شيمون بيريز أو أولمرت أو أيا من كان لا يستطيع أن يعقد اجتماعًا بوزيرخارجية أجنبي في غياب وزيرة خارجية إسرائيل. لكل هذا، فقد أسعدني وجود الرجل في شرم الشيخ وطمأنتني نسبيًّا السعادة المشوبة بالحذر التي رأيتها على محياه وهو يتلفت خوفًا من قدوم تسيبي ليفني من حيث لا يحتسب!

رجل آخر بحثت عنه وسط الحضور في شرم الشيخ، ثم هدأ خاطري بعد أن سمعته يخطب كالأسد في المؤتمر، هو السيد عمرو موسى الأمين العام للجامعة العربية، وهو الرجل الذي ألهمت مواقفه الشُّجاعة الشعراء والمغنين في مصر، وعلى رأسهم شعبان عبد الرحيم صاحب الأغنية الشهيرة التي نقلت موسى من منصبه بوزارة الخارجية إلى منصبه الشرفي بالجامعة العربية. لكن الحق يقال إن أحدًا لم يستطع أبدًا أن يُجلس عمروموسى برة طيلة تربعه على كرسي الخارجية المصرية. لكن يبدوأن كرسي الجامعة العربية الخفيف قد أغرى امرأة أخرى تشبه تسيبي ليفني في كراهيتها لرجالتنا، هي السيدة كونداليزا رايس.. أغراها بأن تمنع عمرو موسى من حضور اجتماعها بوزراء الخارجية العرب في نيويورك لمناقشة العدوان على غزة، لكن عزاء السيد الأمين العام أنه لم يكن وحده الذي مُنع من الحضور.. كان معه وزير خارجية قطر، ويبدو أن السيدة رايس كانت قد قررت عقد اجتماع للحمائم فقط من الذين يستمعون ولا ينطقون، لهذا فقد حرصت على إبعاد من عرف عنهم طق الحنك، فجعلت شعار الاجتماع: الأشاوس يمتنعون! وإذا كان الناس قد أدهشهم أن يقبل وزراء الخارجية العرب حضور الاجتماع دون الأمين العام لجامعتهم العربية، ودون زميلهم القطري حمد بن جاسم، فإن الرد عليهم قد جاء حاسمًا: إذا كان الأمين العام والوزير القطري وهما من هما في دنيا الحضور المؤثر والصوت العالي قد رضيا البقاء بالخارج، ولم يصدر عنهما أي امتعاض، فماذا تريدون ممن لم يزعموا أبدًا أنهم من الأشاوس أو النشامى؟

لكن إذا كانت ظروف العمل الدبلوماسي ومستلزماته، قد تمنع أحمد أبوالغيط وعمرو موسى من إبداء الغضب أو التفوه بكلام غير لائق، فإن منظمات المجتمع المدني يجب أن تنهض بدورها، وتقوم بحملة لمناهضة النسوان المفترية، ووضع حد لتجبرهن وافترائهن.

وبعد كل هذا يكذب من يقول: إن القوة الناعمة لمصر قد ذهبت برحيل تحية كاريوكا وتقاعد فيفي عبده!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أبطال المستوى الرابع

كنت زمان من أكبر مشجعي فريق علي أبو النجا لكرة القدم، ولم تكن تفوتني مباراة له سواء من تلك التي تقام على ملعبه بأرض الجميل بالظاهر أو تلك المقامة على ملاعب الخصوم. وكنت أنظر إلى لاعبيه في احترام وإجلال مقدرًا فنهم الرفيع، وقدرتهم على إسعاد جماهير القبيسي والسكاكيني وبركة الرطل. وما زلت أذكر لمحات من مبارياتهم التي سجلت تفوقهم في دوري الأحياء على فرق مثل فريق طوسون القادم من شبرا، وفريق أرض يعقوب القادم من السيدة زينب، وميمي عبد القوي القادم من منطقة لا أعرفها. ورغم أنني لم أعرف أبدًا من هو علي أبو النجا، ومن هو ميمي عبد القوي، إلا أنه كان يكفيني حرفنة اللاعبين وتمريراتهم الساحرة، وقدرتهم على التحكم في الكرة. وكنت أندهش كيف أن لاعبين كهؤلاء لا يجدون فرصة للعب لأكبر الأندية كالأهلي والزمالك، على الرغم من حرفنتهم التي غلبت - في رأيي - كل نجوم الفريقين الكبيرين الذين يحظون بالشهرة والجماهيرية العريضة دون أن يملك أي منهم قدرات ومهارات فريقي المفضل.. علي أبو النجا.

غير أن حدثًا هامًّا غيّر رأيي وجعلني أعي من الأمرما كنت أجهله، ذلك أنني ذهبت ذات يوم للتقديم في اختبارات النادي الأهلي ومعي أصحابي، وهناك قابلت عددًا من نجوم دوري الأحياء، وعلى رأسهم نجومي المفضلون لاعبو فريق علي أبو النجا، وكباتن كبار آخرون قدموا من فرق الطشطوشي وشارع بورسعيد والبكرية، وقد ذهبوا مثلنا آملين في فرصة تنقلهم من دوري الكرة الشراب بالأحياء إلى الدوري الممتاز بأضوائه وفلوسه. هذا وقد جرت تقسيمة في الملعب الرئيسي للنادي الأهلي بالجزيرة ضمت عددًا من نجومي المفضلين ضد فريق الأهلي للناشئين، لكن هالني أن اللعيبة الذين أفخر بهم والذين طالما أمتعوني في أرض الجميل وأرض الخربوطلي كانوا عاجزين عن السيطرة على الكرة (الكَفِرْ) كما كنا نسميها، والتي لم نتعود اللعب بها في الشوارع، وكانوا تائهين في الملعب الكبير، ولهذا لم يتم قبول أي منهم. شكّل الأمر صدمة بالنسبة لي، لكنني أدركت بعد ذلك أن الكرة مستويات، وأننا على الرغم من حبنا لفريق حيّنا وسعادتنا به، إلا أننا لا يجب أن تشطح بنا الأطماع لحد تصور أن يفوز على الأهلي والزمالك.

كل هذا طاف بخاطري عندما كنت أشاهد النادي الأهلي يلعب في اليابان باعتباره بطلًا للأندية الإفريقية في بطولة يشارك بها فريق مانشستر يونايتد ممثلًا لقارة أوربا، فضلًا عن أبطال أمريكا الجنوبية والوسطى وآسيا وأستراليا. يوم مباراة الأهلي مع فريق باتشوكا المكسيكي كانت مصر كلها تتأهب للاحتفال بافتراس الأهلي لبطل أمريكا الوسطى بعد أن باعت وسائل الإعلام بكل الجهل والحماقة الوهم للجماهير المصرية، وجعلتهم يتصورون أن البطولة بين أقدام لاعبي النادي الأهلي الذين يحتاجون لبعض الحظ فقط حتى يعودوا بالكأس! كانت المباراة درسًا في فنون الكرة قدمه الفريق المكسيكي، ولم يكن فوزه على الأهلي وليد ضربة حظ، إنما وضح لي تمامًا أن المسألة هي مسألة مستويات، وأن الأهلي لو واجه هذا الفريق خمسين مرة متتالية لانهزم في أربعين منهم على الأقل، وأن الأهلي هو

صحيح بطل إفريقيا ونادي القرن بها، ولكن هو بطل على فرق كسيحة هزيلة غاب عنها اللاعبون العظماء في بطولات أندية أوربا. طاف ببالي أيضًا أن كل هذه النتائج المحلية الباهرة قد حققها الأهلي في غياب أي منافسة حقيقية في الدوري المصري. البطولة تبدأ ونحن نعرف أنها محجوزة سلفًا له بعد أن حشد لها كل ما يمكن حشده من إعلاميين يساهمون في تضليل الناس بالتغني بأمجاد فوزه على فرق بالكاد تدبر ثمن الفانلات، ويتغاضون عمدًا عن كل عيوبه ونقائصه، ويحشد الأهلي أيضًا خيرة الموجود من اللاعبين بمصر يشتريهم من الأندية الأخرى، ويفرغها من قوتها؛ ليستطيع أن يهزمها بسهولة، لدرجة أنه قد اشترى ذات مرة حارس مرمى هو نادر السيد وهو ينوي ركنه على الدكة، ودفع له كل حقوقه المادية فقط ليحرم منه الأندية الأخرى دون أن يكون في حاجة إليه! بالطبع لا أستطيع أن ألوم الأهلي على ثرائه وشطارته وتفوقه على كل الفرق المصرية، لكني ألومه لأنه لا يسعى للانتقال إلى المستوى الأعلى ويكتفي بالتحليق بالقرب من الرصيف ومغازلة الغوغاء الذين يحبونه كما هو، ولا يفهمون أن فريقهم يعد من فرق المستوى الرابع والأخير، ولا يمكنه أن يصمد في مواجهة فرق المستوى الثالث والثاني والأول طبعًا. وأنا لا أكتب هذا الكلام لحساب الزمالك أو غيره، فكل الفرق لدينا بائسة، والأهلي هو أفضلها، لكني قصدت أن يفهم الناس أن بطولة الدوري والكأس وبطولات إفريقيا، وخبراء اللعبة والمعلقين والاستوديوالتحليلي بكل القنوات، والذي يضم في الغالب زلنطحية وكفتجية، ويكاد يخلومن المتعلمين.. كل هذا لن يصعد بالأهلي إلى المستوى الثالث وسنظل أبطال المستوى الرابع للقرن الواحد والعشرين.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

السعوديون وقوة سلاحف النينجا

كتب محمد حسنين هيكل في مجلة (وجهات نظر) عدد يناير ٢٠٠١ يستعرض الوثائق الإسرائيلية التي تم الإفراج عنها، وغدت في يد الباحثين يستخلصون منها الحقائق التي كانت خافية عنهم لثلاثين سنة. من أهم ما ذكره هيكل في هذا العدد موقف المملكة العربية السعودية والملك فيصل من الأحداث الساخنة التي جرت في المنطقة وسبقت العدوان الإسرائيلي على مصر في ٥ يونيو٦٧. يبدي هيكل دهشته أن تتضمن الوثائق الإسرائيلية برقية من السفير الأمريكي بالمملكة (بيتر هارت) إلى وزارة الخارجية الأمريكية عن محضر مقابلته مع الملك فيصل، وفي ثنايا هذه البرقية كتب السفير الأمريكي: (ثم استجمع الملك حيويته ليقول لي: إنكم يجب أن تبذلوا أقصى جهد للخلاص من هذا الرجل الذي يفتح الطريق للتسلل الشيوعي - وكان يعني ناصر - ثم قال: لماذا تصبرون عليه؟ ألا ترون أنه لا يكف عن مهاجمتكم يوميًّا، مرة في فيتنام، ومرة بسبب كوبا، ومرة بسبب الكونجو؟) ويستطرد السفير الأمريكي: أبديت تحفظي، لكن الملك كان لا يزال مُصرًّا على أن ناصر يعادينا ويخدعنا، وأننا ما زلنا نحاول استرضاءه. وذكّرته بأننا عطلنا توريد القمح إلى مصر طبقًا للقانون ٤٨٠. وعقّب الملك (أوقفوا عنه الطعام تمامًا، وسوف ترون ما يحدث).

ثم ينتقل هيكل إلى التركيز على اللقاء الذي دار في لندن في ٢٩مايو٦٧ بجناح الملك فيصل بفندق (دورشستر) بين الملك السعودي و(ريتشارد هيلمز) مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، وتقول الوثائق الإسرائيلية: (وصل ريتشارد هيلمز إلى الفندق قبل الساعة الحادية عشرة مساء يوم ٢٩مايو، وكان في انتظاره هناك مستشار الملك الخاص وشقيق زوجته الملكة (عفت) وهو مدير المخابرات السعودية السيد (كمال أدهم). ولم يكن مع الثلاثة رابع، واتصل اجتماعهم إلى قرب الساعة الثانية صباحًا، ثم خرج ريتشارد هيلمز متوجهًا إلى المطار عائدًا إلى واشنطن.

ويعرج هيكل بعد ذلك على اللقاء الذي جمعه عام ٨٥ بالسيد كمال أدهم في بيته بالعاصمة البريطانية. في هذا اللقاء توجه هيكل إلى السيد أدهم بالسؤال عن لقاء الملك فيصل بمدير المخابرات الأمريكية قبل أسبوع من العدوان على مصر في فندق دورشستر ليل ٢٩مايو١٩٦٧. قال هيكل: (وعاد السيد كمال أدهم يسألني: هل تريد أن تتهم الملك فيصل بأنه تواطأ مع الأمريكان مباشرة، ومع الإسرائيليين بالوساطة ضد مصر؟). وقلت: (إنني لا أتهم الملك بشيء ولكني أسألك؟).. ويورد هيكل إجابة كمال أدهم كما يلي: (صديقك الرئيس (جمال) كان في مواجهة مفتوحة وعنيفة ضد المملكة، والملك فيصل مسئول عن مملكته. مسئول أمام أسرته. مسئول أمام إخوته وأبنائه يُسلّم لهم الأمانة كاملة كما استلمها. واجبه واضح أمام العرش والأسرة، وعليه أن يتصرف بما يحقق (المصلحة). لا تستطيع أن تسائل الملك فيصل إلا فيما هو مسئول عنه: العرش والأسرة، وهل نجح في حمايتهما طوال حكمه أو لم ينجح؟ وهل كانت المملكة أقل أو أكثر استقرارًا عندما تركها عما كانت

عليه عندما تسلمها؟ هذا هو المحك. كان الخطر الأكبر علينا هو صديقك الرئيس جمال. وبالنسبة لنا في المملكة فإن فيصل انتصر في التهديد الذي مثّله علينا الرئيس جمال).

تذكرت هذا العدد من مجلة وجهات نظر، ورجعت إليه من جديد بعد الأنباء التي تواترت من داخل المملكة عن تعذيب المواطنين المصريين وجلدهم بالسياط، وتساءلت حائرًا: ألم ينته الثأر بعد؟ أما حققت المملكة انتصارها الحاسم على عبد الناصر وعلى شعب مصر في يونيو٦٧ كما ذكر السيد كمال أدهم؟ فلماذا إذن يستهدفون المواطن المصري بكرابيجهم اللاهبة بعد مرور أكثر من أربعين سنة على النصر السعودي؟ إن المنتصر عادة ما يكون كريمًا مع من هزمه، خاصة وأن الشعب المهزوم قد قام بتقليد المنتصرين واحتذاء سلوكهم! لذاك فإنني في شدة الدهشة من منتصر لا يكفيه انتصاره، ويريد إذلال المهزوم إلى الأبد! أما كفاهم أنهم ألبسوا ثلاثة أرباع المصريين جلبابهم القصير وجعلوا الناس غارقين في الرذيلة مع أداء الصلوات في مواقيتها؟ أما كفاهم أنهم استخدموا ثراءهم الفاحش في شراء الأفلام المصرية، حتى نطلب منهم الإذن إذا أردنا عرضها! مع أنهم يُحرّمون الفنون وليس لديهم دور للعرض السينمائي؟ أما كفاهم سيطرتهم التامة على وسائل الإعلام المصرية المقروءة والمسموعة و(المشمومة)؟ أما كفاهم أنك تستطيع في مصر أن تنتقد الرئيس مبارك كما تشاء، لكنك لا تستطيع أن تنتقد العرش السعودي؟ ألا يعلمون أنه في العصر الذي لم يقصف فيه قلم ولم يُكبت رأي تم إغلاق صحيفة مصر الفتاة؛ لأنها طالبت بتدويل الأماكن المقدسة، وتم إغلاق صحيفة صوت العرب؛ لأنها انتقدت السعودية؟ إن الولايات المتحدة انتصرت على اليابان، لكنها بعد الحرب لم تجلد أبناءها، والإنجليز الذين هدم هتلر تسعة أعشار مدنهم لم يجلدوا الألمان. لا تقولوا لنا إنه القانون؛ لأنكم تعرفون أنكم لا تستطيعون تطبيقه على الأمريكان أو الإسرائيليين أو حتى الفلبينيين. إنها شهوة الانتقام من شعب طيب أطلق لفرط خيبته اسم مليككم المنتصر في معركته ضد مصر على أكبر شوارع محافظة الجيزة!!

إن ما يحدث يذكرني بكارتون سلاحف النينجا الذي كان يتفرج عليه ابني الصغير ثم تتلبسه قوة السلاحف، فيطيح في القطة الصغيرة التي يراها عدوًّا مناسبًا يستطيع أن يقهره دون خوف، فليت الأشقاء في المملكة ينتقون عدوًّا غير مقيد اليدين والقدمين، ويرونا كيف يستطيعون أن يمارسوا شجاعتهم عليه، ويرفعوا في وجهه كرابيجهم!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون E-BOOK

فاتنة الاستعراض

نشرت الصحف ووكالات الأنباء خبرًا عن صفقة سلاح ضخمة تم التوصل إليها بين الولايات المتحدة الأمريكية وبين المملكة العربية السعودية. وجاء في تفصيلات الخبر أن الصفقة تشتمل على ٨٤ مقاتلة إف١٥ من صنع شركة بوينج، وتحديث ٧٠ طائرة من النوع نفسه. كما تشمل الصفقة شراء ٧٢ من نوع بلاك هوك، علاوة على ٧٠ طائرة هليكوبتر أباتشي، و٣٦ طائرة ليتل بيرد.

علق المغفلون والذين يستطيبون أكل البالوظة بأن هذه الصفقة هامة للغاية في حفظ التوازن بالمنطقة ما بين العرب وبين كل من إسرائيل وإيران وأنها تشكل ردعًا كبيرًا وإضافة كبرى لمنظومة الأمن العربي، وقالوا إنها ستزيد من طمأنينة دول الخليج في مواجهة القوة الإيرانية المتنامية!

أما الأمريكان أصحاب المصلحة الحقيقية في الصفقة التي ضمنت تشغيل المصانع الأمريكية والحفاظ على مئات الآلاف من الوظائف للمواطنين الأمريكيين فلم يستطع محللوهم ووسائل إعلامهم إخفاء الحقيقة ولا مداراة سعادتهم بالحلفاء العرب الذين يمدون يد العون دائمًا للاقتصاد الأمريكي عند الأزمات ويدفعون في أشرعته الرياح اللازمة للانطلاق ويؤْثرون المواطن الأمريكي على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة تتمثل في حجم البطالة المنتشرة بين الشباب السعودي نفسه!

ليس جديدًا طبعًا معرفة أن الأسلحة التي يحصل عليها العرب الكرماء تتحول إلى خردة صدئة بفعل الزمن، وليس جديدًا أيضًا أنها لم تصد عدوانًا ولم تحفظ أرضًا أو تصن عرضًا في يوم من الأيام.. والتجارب ماثلة أمام أعيننا، ففي حرب الخليج الأولى عندما اعتدى صدام بقواته على الكويت وقام باحتلالها ثم مضى إلى مدينة الخافجي السعودية.. وقتها لم يجد أصحاب الأسلحة المدفوع فيها المليارات سوى أن يستنجدوا بالأمريكان رغم أن ما لديهم من أسلحة كان يفوق من حيث الكم والكيف ما لدى صدام حسين! ومثال آخر مضحك من فرط مأساويته هو المعارك التي دارت في مطلع هذا العام بين فصيل من شعب اليمن هم الحوثيون وبين القوات السعودية. في هذه المعارك رأينا الحوثيين الذين لا يملكون طائرات ولا دبابات ولا عربات مدرعة وكل ما في حوزتهم هو سلاح بعضه من القرن التاسع عشر وبعضه من مخلفات الحرب العالمية الأولى يتقدمون ويحتلون أراض في جنوب المملكة، ولم نر أثرًا للصفقات الجبارة التي تجعل إسرائيل تملأ الدنيا صراخًا متظاهرة بالرعب والهلع الذي دب في قلوب مواطنيها بعد أن عرفوا تفاصيل صفقات السلاح الذي سيدخل الخدمة عند جيوش معادية! والإسرائيليون طبعًا أساتذة في النصب والتمثيل لأنهم يقومون بأنفسهم باختيار السلاح الذي يتم توريده للدول العربية بعد أن يقوموا بتجريده من التكنولوجيا الحديثة ويقدمونه للعرب منزوع الدسم! وليس سرًّا أن الطائرة الإف ١٥ التي تحصل عليها إسرائيل بالمجان لها ضعف سرعة الطائرة التي تحصل عليها السعودية بثمن فاحش.

و أكثر ما يثير ضيقي في أخبار مثل هذه الصفقات أنها ارتبطت في ذهني دائمًا بمصائب تقع على رءوس العرب والمسلمين، ولعل البعض ما زال يذكر طائرات

الإواكس التي زود بها الأمريكان المملكة العربية السعودية في مطلع الثمانينيات وكنا ننام ونصحو وقتها على أخبار هذه الطائرات التي تعمل في الجو طوال الوقت وتستطيع رصد أي هدف متحرك على مسافات شاسعة وتقوم بالتنبيه والإنذار المبكر الأمر الذي يحبط أي هجوم مفاجئ، ولا أظنه ضروريًّا التأكيد على أن الطائرات الإسرائيلية التي قامت بالإغارة على المفاعل العراقي في بغداد وتدميره في صيف ٨١ كانت قد انتهكت الأجواء السعودية في طريقها لتحقيق هدفها، ويبدو أن طائرات الإواكس كانت وقتها في قيلولة ما بعد الظهر! لهذا فإن صفقات من هذا النوع المفتخر تخيفني وترعبني لارتباطها في خيالي بعدوان وشيك يقع علينا، وشكله في حالتنا الراهنة واقع على الإيرانيين.

ولا أظن الشاعر العظيم أحمد مطر كان مبالغًا عندما وصف الجيوش والأسلحة العربية التي لم تخض حربًا مطلقًا بأنها فاتنة الاستعراض التي تظهر فقط في العرض العسكري أمام الضيوف، وفي ساعة الجد تختفي تحت اللحاف!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الذين فهموا اللعبة

الكل فهم اللعبة.. لم يعد أحد يجهل أهمية الإعلام ولا أهمية إعلاميي مصر بالتحديد.

كان السعوديون أول من فطن إلى هذا الأمر بعد حرب أكتوبر ٧٣ وتنامي الثروة البترولية وقفزها إلى معدلات غير مسبوقة، وكانت الحاجة ملحة إلى مكانة كبيرة تحظى بها المملكة في المنطقة العربية لا تستند بالضرورة إلى تضحيات لا تملك ولا ترغب المملكة في تقديمها على غرار ما تفعله تركيا حاليًّا على سبيل المثال، وإنما أرادت المملكة أن تحصل على المكانة من خلال شراء الأصوات والأبواق الموالية مع إسكات أو إخراس الأصوات المناوئة. ومن هنا كان السيل العرم من المطبوعات والمجلات التي صدرت من لندن وغيرها وفتحت مكاتب لها في العواصم العربية قامت بتشغيل كبار وشباب الصحفيين فضمنت بهذا ألا يمس هؤلاء الصحفيون المملكة بكلمة نقد في تلك الصحف، وضمنت أيضًا أن الآخرين الذين لم يصبهم الدور بالعمل في تلك المكاتب سيحجمون أيضًا عن تناول سياسة المملكة وأحوالها بالنقد خشية أن يوضعوا في القائمة السوداء ويحرموا من تذوق الريال في المستقبل!

وكان من أغرب الظواهر في دنيا الصحافة هو ظهور الصحف المتخفية، فعلى سبيل المثال يقال صحيفة الحياة اللندنية وكأنها تصدر عن حزب العمال البريطاني، كذلك يقال صحيفة الشرق الأوسط الصادرة من لندن وكأنها إحدى إصدارات مؤسسة البي بي سي. ولا أدري لماذا لا يقولون صحيفة الحياة السعودية وصحيفة الشرق الأوسط السعودية؟ هل هي الرغبة في التنصل من الصحيفتين عند اللزوم أم ماذا؟

نفس الأمر تجده في القنوات الفضائية التي تملأ السماء والتي يعلم الجميع أنها قنوات سعودية مثل إم بي سي وروتانا وإيه آر تي والعربية وغيرها على الرغم من إنكار الأب لها وتبرئه الدائم منها، مع العلم أن الحمض النووي وتحليل مضمون كل المواد بها قادر على إثبات سعودية هذه القنوات التامة وعملها في إطار منظومة إعلامية لخدمة المملكة.. وهذا بالمناسبة لا عيب فيه، لكن العيب في الإنكار ومحاولة الإيحاء بأن هذه قنوات خاصة تعمل في خدمة أصحابها!

بعد اتساع البث الفضائي دخل اللعبة آخرون ولم يكونوا بالضرورة دولًا وممالك، لكن هناك من رجال الأعمال من فطن إلى أهمية حيازة قناة تليفزيونية أو أكثر وملكية صحيفة أو أكثر، وأعتقد أن النفوذ الإعلامي الذي يتمتع به الدكتور السيد البدوي رئيس حزب الوفد يعود في جانب منه إلى ملكيته لقنوات الحياة، والأمر نفسه بالنسبة لنجيب ساويرس صاحب أو وأون تي □ي، غير الصحف الخاصة. وأعتقد أن التجربة قد علمت رجال الأعمال أن من يمتلك صحيفة أو محطة تليفزيونية يصعب جدًّا أن يتعرض للنقد حتى من جانب الصحف المنافسة إذ يظل حلم العمل الإضافي وخدمات الاستشارة قائمًا يداعب الجفون طول الوقت. ولا أظنني أبتعد عن الحقيقة كثيرًا لو قلت إن واحدًا مثل رجل الأعمال أحمد عز الذي

يتعرض لموجات كاسحة (مستحقة) من الهجوم ليل نهار من الصحف والتليفزيونات الخاصة يمكن أن يجد وجوهًا مقبولة تدافع عنه وأن يمتلك حصانة من النقد كتلك التي يتمتع بها البدوي وساويرس وبهجت لو أنه قام بإنشاء قناة منوعات وأخرى رياضية يستقطب إليهما جانبًا لا بأس به من الثوار الذين يمطرونه بزخات قذائفهم ليل نهار!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

العَشرة بقرش

شاهدت أحدث أفلام دينزل واشنطن مع جون ترافولتا ويعرض حاليًّا في مصر باسم (اختطاف بيلهام) فأثار في نفسي مشاعر وأفكارًا لا أعلم إذا كانت صادفت غيري ممن شاهدوا الفيلم أم لا. الفيلم من النوع البوليسي المشوق، ويتعلق باختطاف أحد قطارات الأنفاق بمدينة نيويورك بواسطة عصابة من المجرمين المحترفين مع طلب فدية مقابل تحرير ركاب القطار. ما لفت انتباهي رغم أنه ليس جديدًا عليهم هو الحرص البالغ من جانب السلطات على أرواح الرهائن والاستعداد لعمل أي شيء ولو كان الاستجابة للخاطفين ودفع الفدية، مقابل ألا يراق دم بريء. ليس الحرص فقط من جانب المسئولين الرسميين ولكن احترام الحياة الإنسانية من جانب المواطن العادي، وهو ما تجلي في سلوك البطل دينزل واشنطن الذي أدان نفسه في جناية لكي يفتدي شابًّا لا يعرفه وينقذه من الموت. صحيح أن السينما الأمريكية تحرص على تمرير رسائل عن روعة وشجاعة وإنسانية المواطن الأمريكي، ولكن صحيح أيضًا أن المواطن الذي ينشأ في كنف حكومة ترعاه وتسبغ عليه حمايتها في أقصى بقعة من بقاع الأرض، ينشأ على تقديس أرواح بني البشر ومعرفة قيمتها. أما الذي ينشأ في دولة يعاير حكامها المواطن بكثرة شرب الشاي، واستهلاك السكر، ويتهمون المواطن بأنه يقوم بأعمال مشينة مثل الزواج والإنجاب، وتناول الإفطار وركوب الأتوبيس.. هذا المواطن الذي يكرهه حكامه، ويحتقرونه، ويتمنون موته لا يمكن أن ينشأ على احترام وتقدير الحياة الإنسانية، بل إنه قد ينظر إلى الموت على أنه راحة له وللآخرين من شرور الحياة ونطاعة الحُكام.

تذكرت الفيلم المصري الكوميدي اللذيذ (الإرهاب والكباب) الذي تدور أحداثه الخيالية في مجمع التحرير، حيث وجد مواطن بسيط نفسه دون أن يقصد إرهابيًّا في ذمته عشرات الرهائن، وتساءلتُ في براءة: ماذا لوأن صانعي الفيلم حاولوا أن يقدموا فيلمًا واقعيًّا يحكي عما نعرفه جميعا عن سلوك حكومتنا في أزمة رهائن كهذه؟ وهي بالتأكيد لم تكن لتفاوض الخاطفين أو تحرص على أرواح الرهائن كما فعل وزير الداخلية الخيالي الذي قام بدوره الفنان كمال الشناوي.. لكنها كانت ستندفع بكل الغشم التاريخي لتقتل الخاطفين والرهائن وتحل المشكلة من جذورها! دليلي على هذا ما حدث عند تحرير ركاب الطائرة المصرية المختطفة في مالطا في منتصف الثمانينيات ونتيجتها المأساوية.. كما لا ننسى ما حدث في السبعينيات من جانب المواطن سعد إدريس حلاوة، الذي أغضبه افتتاح سفارة للعدو الإسرائيلي بقلب القاهرة فقام في سورة غضب باحتجاز زملاء له بالوحدة المحلية بإحدى مدن محافظة القليوبية، واشترط للإفراج عنهم أن نلغي الاتفاقات مع إسرائيل، ثم ما كان من ضيق صدر السلطة التي لم تحاول التفاوض معه، أو كسب الوقت؛ لإنهاكه وتحرير الرهائن سلميًّا، لكن ولأنها حكومة أبية لا تخضع للإرهابيين، فإنها قتلته وأصابت الرهائن بجراح عندما أطلقت رشة جريئة من الرصاص عليهم جميعًا!

الحكومات المنتخبة هي التي تعرف قيمة المواطن وتحترم حياته، أما السلطات المستبدة المغتصبة للحكم، فإن المواطن لديها أهون من جناح بعوضة، لذلك لا

يستطيع أحد أن يلوي ذراعها، ولواحتجز جمهور استاد القاهرة يوم ماتش الأهلي والزمالك.

في نفس هذا الإطار وهذه الخلفية أشعر بالحزن للصفقة المزمع القيام بها بين الفلسطينيين وبين إسرائيل للإفراج عن العسكري شاليط مقابل ألف أسير فلسطيني. بالطبع لا يحزنني عودة الأسرى الفلسطينيين إلى أهاليهم، وإنما حالة الهوان العربي التي تجعل أهمية ولد إسرائيلي واحد عند أهله بألف رجل من رجالنا. ليس اللوم بالطبع على رجال المقاومة البواسل الذين أسروا فردًا واحدًا من جيش شديد القوة والتسليح، ولا هي شطارة من إسرائيل أن تقوم بأسر المواطنين العزل الذين لا صاحب لهم، وتجمع منهم الآلاف الذين سمح ضعف حكامهم بأسرهم، ثم تقاعس هؤلاء الحكام عن إعادتهم، ولكن فكرة أن أعداءنا يحترمون أبناءهم إلى أقصى حد ويقدسون حياة كل مواطن، وينظرون إليه على أنه الناس جميعًا، ويسعون سعيًا حثيثًا لإعادة أي أسير أو إعادة رفاته.. هذا هو ما يحزنني. الأمر نفسه شعرت به عندما قام السيد حسن نصر الله في عام ٢٠٠٤ بإعادة أربعمائة سجين عربي كانوا قابعين في السجون الإسرائيلية ومن بينهم مصريون، وكل ذلك في مقابل رفات جنديين صهيونيين قتلا منذ سنوات. ولطالما ألقت بي أخبار من هذا النوع في حيرة، فلم أعد أعرف هل أفرح لأن المواطن الإسرائيلي غال إلى هذا الحد، ونستطيع أن نفكه ببضعة مئات من العرب، ومن ثم نقوم بإسعاد مئات الأسر العربية مقابله، أم أغتم نتيجة هواننا على أنفسنا وعلى الآخرين.. هوانًا بلغ حد أن إسرائيل بعد أن هزمتنا في عام ٦٧ قامت بالقبض على آلاف الفلاحين بالقرب من شط القناة، وبادلتنا الواحد منهم مقابل بطيخة؟!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كرباجك يا عم الحكيم!

أشعر بالحزن عندما أرى إنسانًا قد حظي بقدر كبير من التعليم وانفتحت أمامه الدنيا على مصراعيها، ورغم ذلك إذا تحدث تطاير منه الهراء في الجو. ويضايقني أكثر أن يكون محل ثقة الناس، وقد يرددون كلامه دون أن يتصوروا أبدًا أن البعيد.. حمار.

كنت في العيادة عند واحد من أكبر الأطباء صيتًا وشهرة، وتطرق الحديث بينه وبيني إلى أحوال البلد، والانهيار الشامل الذي أصاب كل شيء. كان من رأي سيادته أن هذا الشعب (المصري) هو شعب مدلل، والحل الوحيد حتى تنتظم الأمور، وتعود الحياة إلى طبيعتها هو الكرباج!! أجل.. كان هذا هو رأي الطبيب الكبير الذي تطوع به دون أن أطلبه. الحل لكل مشاكل المصريين هو استعمال الكرباج معهم. اقشعر بدني وأنا أستمع إلى روشتة حكيم الزمان من أجل علاج مصر من الفساد وتدني الخدمات وانعدام الضمير، وتهاوي الأخلاق، وانهيار التعليم والعلاج والثقافة. والغريب أنه لم يقترح الكرباج علاجًا نقوِّم به المجرمين الذين نهبوا البلاد وأفسدوا العباد، وإنما يريد أن يضرب به الضحايا! قلت له: ألا ترى يا دكتور أنك تجنح نحو المبالغة بسبب ضيقك الذي أفهمه من سلبية الناس، واستكانتهم للظلم؟ قال: هذا الشعب الكسول لا أمل فيه، وقد أفسدته بالأساس مجانية التعليم، وجعلت كل جربوع يريد أن يصبح طبيبًا! زادت دهشتي، وقلت: يا دكتور، هذا الكلام كان من الممكن أن يقال منذ ٣٠ سنة عندما كانت هناك لا تزال مجانية وكان هناك تعليم، ووقتها بالطبع كنت سأرد على كلامك وأفنّده.. أما الآن فلا وجه لترديده من الأساس. لم تكن هذه هي المرة الأولى التي أستمع فيها إلى هذا الرأي الفاسد سواء عن الشعب اللي عاوز ضرب الكرباج أو عن المجانية التي خرّبت التعليم.. استمعت إليه مرة من ماسح أحذية ومرة من سمكري سيارات، وأكثر من مرة من عجلاتي ومكوجي وقرداتي، مع أن الكرباج كلما لاح لا يطول سواهم ومع أن المجانية الحقيقية هي أملهم الوحيد، لكن عذرهم أنهم أناس بسطاء لا تسمح لهم حصيلتهم المعرفية إلا برؤية الغابة التي يحيون فيها، والعذاب الذي يصلون ناره، ويتطلع كل منهم إلى شيء من الإنصاف، ولا يتصور الحل إلا من خلال كرباج عادل ومعادل للكرباج الظالم الذي يلهبهم.

أما هذا الحكيم الذي لف، وطاف، وشاف، وقرأ، وسمع، وتعلم فما عذره؟ ولماذا يمتلك نفسًا شريرة إلى هذا الحد؟ ثم وهو الأهم كيف تصور أن هذا الكلام سيقع مني موقعًا طيبًا، وكيف خطر بباله أنني قد أوافقه عليه؟ هل اعتاد في عيادته الفخمة أن يلتقي المشتغلين بالكتابة والصحافة واعتاد أن يتداول معهم هذه الأفكار الفاسدة، وربما بعض الجاهلين منهم قد علموه هذا الكلام فأراد أن يبهرني بثقافته؟ هل تصور أن حاجتي إلى روشتته وعلاجه ستجعلني أهز رأسي موافقًا على كلامه الفارغ؟ ربما كان محقًّا إذا تصور هذا؛ لأنني كثيرًا ما أعرض عن الجاهلين ولا أجادلهم، أما هذه المرة ومع هذا الجاهل بالذات الذي لهف في الكشف ٢٠٠ جنيه، فلم أشأ أن أتركه يسعد بتخاريفه. قلت له: يا عم الحكيم، ألا تكفينا كرابيج المملكة،

فتريد أن تزيد إليها سياطا جديدة؟ ثم من أخبرك أن المصري لا يتم جلده كل يوم من صحوه عند شروق الشمس حتى إغمائه بعد منتصف الليل بالبطالة والغلاء والذل والهوان، في المواصلات، والمصالح الحكومية، وطابور العيش، وأقسام الشرطة، والمدارس، والمستشفيات؟ المصري يتم جلده إذا دخل مستوصفا أو عيادة طبيب أو معمل تحاليل، وتهدر كرامته إذا تعامل ليس مع مخبر وأمين شرطة وإنما إذا تعامل مع طبيب أو تمرجي أو ممرضة، ويتم سلخه من الثلاثي المرح السابق ذكره كل بقدر اجتهاده. هل تعلم أن الممرضة التي تنظم الدخول إليك قد هبشت مني ٢٠ جنيهًا حتى لا تقذف بي لموعد مع سيادتك قرب الفجر؟ كل من يقدمون الخدمة الطبية يظهرون للمريض الوجه الخشب، ولا يبتسمون له إلا بقدر امتلاء محفظته. وخدمتهم رغم ذلك متدنية وبدائية. وفي الغالب لا يتورع الطبيب الباطني عن إرسال المريض لأصدقائه الجراح وإخصائي القلب، وطبيب العظام، والعيون، والأسنان، ومعمل التحاليل، والأشعة، ليأخذ كل منهم نصيبه من الغنيمة. مصر هي البلد الوحيد الذي يموت الناس فيه من افتقاد العلاج في الوقت الذي يعاني الدكاترة من البطالة، ويذهبون لبلاد الزفت والقطران حيث يتم ضربهم فعلًا بالكرباج!! هذا الشعب يحتاج إلى الرحمة يا عم الدكتور لا إلى الكرباج.

خرجت من عنده أنظر إلى الروشتة التي كتبها لي في شك، ثم حسمت أمري، وقمت بتمزيقها؛ لأنني بصراحة خفت منه، وعقدت العزم على أن آخذ عسل نحل وحبة البركة، فإذا استمر ألم المعدة فسأسافر إلى بلاد تحنو على الإنسان، ولا يفكر كبار أطبائه في ضرب الناس بالكرباج!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

حمام بالفريك

من المصطلحات السياسية الشائعة مصطلح الحمائم والصقور الذي يعبر عن نهجين مختلفين في التعاطي السياسي: أحدهما يجنح نحو التشدد، والآخر يميل إلى اللين رغم أن الهدف في النهاية هو تحقيق المصلحة الوطنية. وفي إسرائيل لديهم حمائم مثل رابين الذي قام بتكسير عظام الفلسطينيين أثناء الانتفاضة الأولى، ومثل باراك الذي شارك بالقتل بيديه، ومثل بيريز قائد سرب الحمام الذي قتل الأطفال في مجزرة قانا. والفرق بين حمائمهم وصقورهم هو أن الحمائم من أمثال أولمرت وليفني لا يقصفون سيارات الإسعاف كلها، لكن يتركون بعضها تقوم بنقل الأطفال المحترقين من الفوسفور الأبيض.

أما نحن فلا نعرف هذه التقسيمة، فساستنا ومسئولونا جميعهم من الصقور، فتجد بينهم الصقر المالطي المخيف كما تجد طائر العُقاب الجارح.

في الأسبوع الماضي صرح السيد أحمد أبوالغيط بأن مصر كانت على علم بتفصيلات الغارة الإسرائيلية على العمق المصري في السودان لكنها آثرت الصمت حتى لا تحرج الأشقاء السودانيين، وهذا موقف شديد القوة نحمده للسيد وزير الخارجية المصري ولا نرضى بأقل منه حتى تعلم إسرائيل أن عربدتها في السموات العربية ليست بلا ثمن! كما حدد أبوالغيط موقفه من العنصري البغيض ليبرمان وزير خارجية إسرائيل الذي وجه سبابًا منحطًّا لرئيسنا، وهدد بضرب السد العالي، فقال الوزير المصري إنه إذا التقى بليبرمان فإن يديه ستظلان في جيبه بالتأكيد، ولن يخرجهما لمصافحة الرجل. وهذا الموقف على شدته وقسوته يليق بصقر ينحدر من عائلة الجوارح التي لا ترحم. فقط تمنينا أن يكمل الرجل سكة القلب المتحجر إلى منتهاها، ويخرج يده من جيبه، ويفرد إصبعيه الخنصر والسبابة اللذين يدل أحدهما على الخصام وهو الخنصر والآخر على الصلح وهو السبابة، ويضعهما في وجه الرجل ليخيّره بينهما وأيا كان اختيار الوزير الإسرائيلي القميء يتعين على صقرنا الذي في الخارجية أن يصر على الصباع الصغير دليل الخصام، ثم يشيح بكتفيه ويبتعد.

أما ما قرأناه للدكتورة منار الشوربجي مطالبة الرجل باستراتيجية مصرية مدروسة للتعامل مع التطرف الإسرائيلي بديلاً عن دبلوماسية الجيب التي هدد بها، فلتسمح لي بالاختلاف معها؛ لأنها فيما يبدو أساءت فهم الموقف ولم تدرك أن عملية الجيب ليست منقطعة الصلة بما سيتلوها، والذي سيتلوها هو نظرة عتاب خارقة حارقة تضع الإرهابي ليبرمان في حجمه الطبيعي. ومن المؤكد أن هذه المواقف الراديكالية التي يصنف أصحابها كمتطرفين في الدفاع عن مصالح بلادهم ليست قاصرة على وزير الخارجية فقط، لكن في الأسبوع نفسه قام الوزير الفنان فاروق حسني وهو أحد الصقور الناهشة بقيادة موقف داعم للأطفال الفلسطينيين الذين أحرقت إسرائيل عيونهم بالفوسفور الأبيض فذهب إلى باريس وأعلن بعلو الصوت في خطاب تاريخي أنه آن الأوان لأن يعترف الجميع بأن الهولوكوست الذي ارتكبه الألمان في حق اليهود هو حقيقة يجب أن نعترف بها. أعجبتني خطبته بشدة وإن

كان لم يعدم منتقدين صرحوا بأن الأمر يذكرهم بالرجل الذي قام بدور نيرون في الاسكتش الشهير عندما قالوا له: ح تقول إيه يا نيرون سمّعنا.. متعنا بخطبك متعنا، فقال: ح ازعق زي الغووول، وأجعّر وأقول: تعاليلي يا بطة وأنا ما لي هه. وأنا بصراحة أعترض تمامًا على هؤلاء المنتقدين لأن نيرون الذي قال تعاليلي يا بطة ردد كلاما فارغا صحيح، لكنه في النهاية لم يمتدح عدوه، أما الوزير الفنان فقد أحرج إسرائيل عندما منحها تعاطفه في وقت تبيد فيه الفلسطينيين، وذلك من أجل إحراجها أمام نفسها وجعلها تتوارى من الكسوف وهو موقف شرس وعميق في مغزاه، لكن لا ضرر في أن نريهم شيئًا من بأسنا بين الحين والآخر! أما السادة الناقدون فإنهم لم يفهموا مغزى خطبة الوزير ولم يدركوا أنه في موقفه هذا قدم للفلسطينيين دعمًا لم يكونوا يحلمون به، وجبر خواطرهم التي كسرتها أطنان القنابل التي هوت فوق رءوسهم منذ شهرين فقط!

لهذا كله أدعوكم جميعًا لمساندة المواقف المتشددة التي ينتهجها الصقور من مسئولينا، ذلك أنها تشد من أزر المفاوض المصري وتجعله يحصل لنا على مكاسب عندما يلوح على مائدة المفاوضات بأنه سيغادر الغرفة، ويبعث لهم صقرًا يتفاهم معهم وهو الأمر الذي يثير فزع الإسرائيليين.

وأخيرًا أوصيكم بالإعراض عن الأقاويل التي ثارت مؤخرًا تنفي وجود أي صقور لدينا، وتؤكد على أننا نمتلك فقط أنواعًا مختلفة من الحمام، مثل الحمام الزاجل الذي ينقل الرسائل، والحمام الذي يهدل داخل الغيّة، ويرفرف في سعادة، وكذلك الحمام المحشي رز والمحشي فريك!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(تم الكتاب بحمد الله وتوفيقه)

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

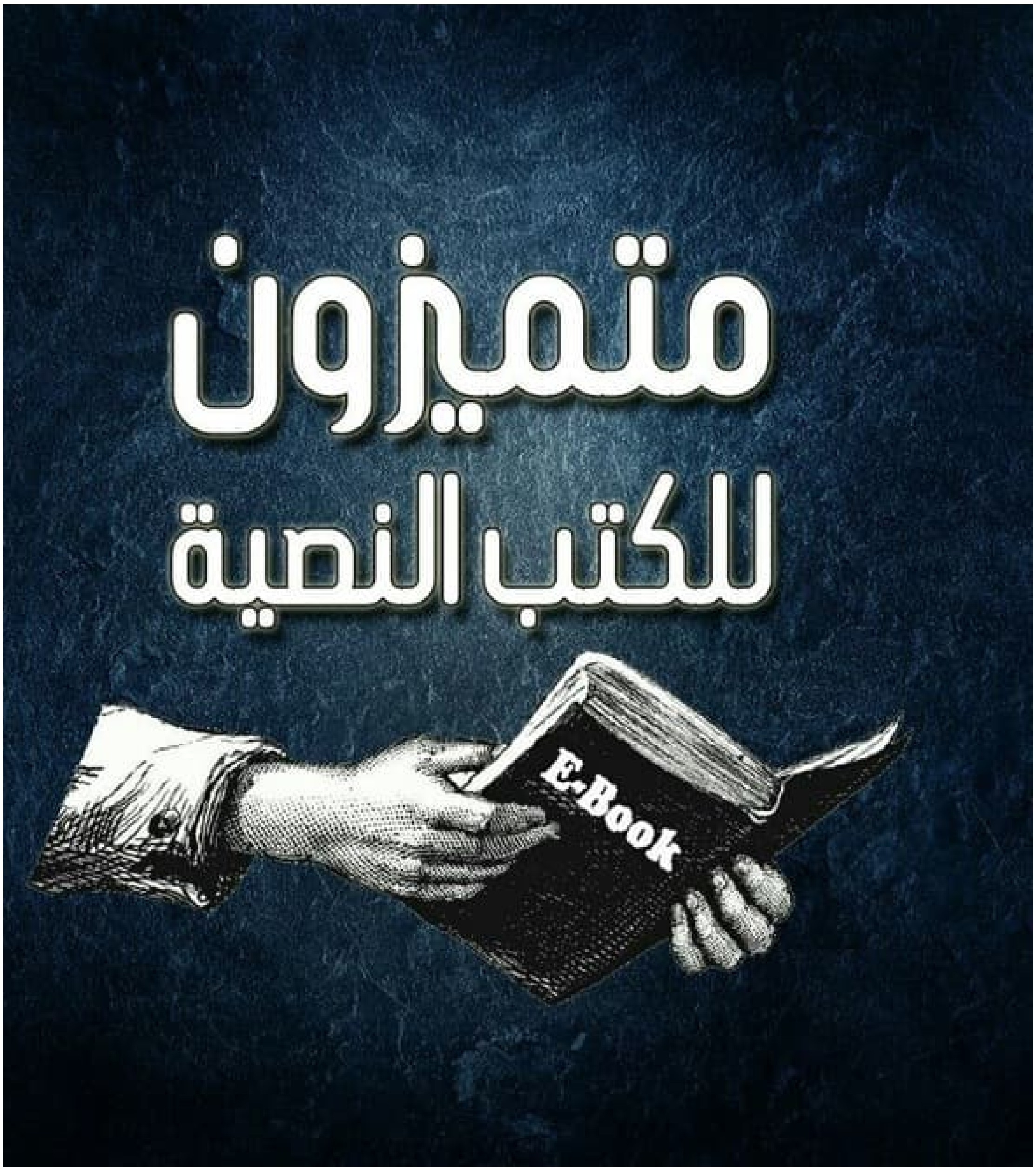
متميزون
للكتب النصية
E-Book

Group Link – لينك الانضمام إلى الجروب

Link – لينك القنـــــاة

الفهرس..

إهداء..

مقدمة

قطوف من النذالة

حنفي

أنانية بلا حدود

الكابوس الذي اشتريته

العبقري

الختم الوهمي

جناب السفير وحرمه

السمسار اللزج

أصحاب الجلالة.. الخونة

يا كارتر يا ندل

عبقرينو

عصام وفوزي

الدعم الدومينيكي..والدومينيكوكو

الذين أخذوا البِنْسة!

فاروق وسيد وبينهما طازج

الأستاذة وأزواجها الأربعة

فريكيكو.. لا تلمْني

متلازمة كوكي

رجال شمورت

قدّر الله وما شاء فعل

تلبيس الأتّوح في تهريب ممدوح

عم الأشاوس..وخالهم!

صحبة وأنا معهم

خلط السياسة بالجبن!

الكيميائي والأحيائي.. والبرمائي

عزت بلتكانة واليورانيوم المُخصّب

معسكر أبوقير

صباح التجلِّي.. في الأمان يا للِّي

الزلنطحية

الوصفة السحرية للصحيفة الناجحة

التعبيريون أنت إمامُهم

خريطة طريق إلى المتعاصين

تليفزيون السيد بنجر!

أخبار مشمومة

الفيلق الإعلامي.. العرمرم

صباح الخير على التفاعلي

أكذوبة التفاعل بين القارئ والكاتب

يا ترى انت فين يا مرزوق

يا ترى انت فين يا مرزوق

بريدي الإلكتروني

نزهة مجانية

يا لضيعة حياتي!

على اسم مصر

ياللي.. هويت المتين

الرأس الكبير الأصلع

سبحان الذي سخّر لنا.. الخواجة!

يا للي هويت المتين

فتوى إرضاع النطع

قصة لص

وحيد ألفونسو والوزراء الكاوتش

الإمتاع والمؤانسة
إن العين لتدمع
لعنة الله على ديفيد أوين
عباس خالي البندق.. على كاماتشو
نغمات أبو مازن.. ورنّاته
عروض كارفور للسلام!
الحكمة التي تُميت الضمير
المحقونون بعقار الهلوسة
عملية سحب الخنزير
زمن الإسكافية
رجل الحمّام.. الجامعي
مصر في زمن الإسكافية
القاهرة التي حلقت زيرو
رأس المال الجبان.. هل هو خسيس أيضًا؟
الخنازير.. وإنفلونزا الخنازير
الذين ينتظرون الطير الأبابيل
الشيطان يلعب
شو ها الإيام؟
وحيد حامد يقابل النطع
من وكسة لخيبة يا قلب لا تحزن
حيطة شعبان عبد الرحيم.. الواطية
آثار الحكيم.. الرائعة
فنان عجيب.. لا يكذب!
شو ها الإيام؟
حفل توقيع في مارينا
نوبل للسلام.. جائزة هزلية
قوة السلاحف

القوة الناعمة لمصر

أبطال المستوى الرابع

السعوديون وقوة سلاحف النينجا

فاتنة الاستعراض

الذين فهموا اللعبة

العَشَرة بقرش

كرباجك يا عم الحكيم!

حمام بالفريك